مذكراتي عن

الثورة العربية الكبرى

والثورة العراقية

بقلم

تحسين العسكري

[illegible]

الجزء الأول

مطبعة العهد — بغداد

سنة ١٣٥٥ هـ
١٩٣٦ م



المؤلف تحسين بك العسكري باللباس العربي

كيف نشأت الثورة العربية ؟

أسباب ونتائج

المقدمة

هذه مذكرات دونتها في اوقات الفراغ وفي فترات من الزمن ، وهي وصف مشاهد يومية وحركات ومغامرات وحروب ومعارك ووصف حياة شباب العرب المجاهدين ، ونبذ عما اتصل بي ووقفت عليه من شؤون الاحزاب والجمعيات العربية التي تألفت للمطالبة باستقلال البلاد واسترداد مجدها السليب وحقها المغتصب .

انني معتقد ان تأريخ النهضة او الحركة العربية يجب ان يكتب الآن ، لانه اذا انطوت صفحات الاحياء من إبطالها ورجالاتها فقد يكون عسيراً بعد ذلك تدوين تأريخ شامل لجميع اطوارها ودقائقها واسرارها ، وقد كانت النية منصرفة قبل مدة الى وضع تأريخ مفصل لها يستقى من مذكرات زعماء الحركة ومن شارك فيها باشراف لجنة من اهل العلم والدراية بها ، على نحو مافعلت الامم المعتنية بتأريخ ثوراتها ونضالها القومي ، فحالت دون هذه الامنية الغالية ظروف ونزعات نرجو ان يأزف وقت زوالها لأتحاف الامة واجيالها المقبلة بسفرها القومي الذي سيكون ولا ريب مفخرتها الخالدة ومنارها المتألق في الكفاح والنضال . لست ادعي ان ما صار في مذكراتي من اخبار النهضة العربية يسد فراغاً في تأريخها او يمثل احاطة تامة باطوارها ، لانه مجهود فرد وتأريخ النهضة لا يكون كاملا تاماً إلا اذا كان ثمرة جهود افراد كثيرين ساهموا في الجهاد واطلعوا على دقائق الامور بانفسهم ، غير ان هذه المذكرات

التي اقدمها الى ابناء وطني الاعزاء قد يكون لها شأن وقيمة اذا ضمت الى مذكرات اخواني ورؤسائي في العمل القومي ، ومن مجموع ذلك يتألف تأريخ تلك الحركة النبيلة التي وجهت الامة الى هدفها الاسمى وشقت لها الطريق الى المجد المؤثل ، واثنت عنها الامم والشعوب واعجبت بروعتها وجلالها اي اعجاب .

وقبل ان ابدأ بعرض مذكراتي على القراء ارجو من كل ذي اطلاع وعلم وصلة بالحركة العربية سواء قبل الحرب او في خلالها او بعدها ان يرشدني الى مواطن الخطأ او الغموض فيها ، فانني لا ابتغي من نشر مذكراتي مباهاة او دعوى فارغة ، وانما اقصد خدمة التأريخ وتدوين اخبار ووقائع اخشى عليها الضياع والنسيان ، واني مستعد للنزول على الحقيقة شاكراً من يدلني عليها ويرشدني الى محجة الصواب اذا ضللت او ابتعدت عنها والعصمة لله وحده .

وقد جعلت الكتاب في جزأين : الاول يتناول الوقائع من سنة ١٩٠٩ الى ١٩١٨ ، وفي هذه المدة حوادث الثورة العربية الكبرى . والثاني يتناول الوقائع من سنة ١٩١٨ الى ١٩٢٠ . وفي هذه المدة حوادث الثورة العراقية وتأليف الحكم الوطني في العراق .

سنة ١٩٠٩

في سنة (١٩٠٩) كنت تلميذاً في الصف المنتهي من المدرسة الاستعدادية العسكرية في بغداد ، وذلك بعد اعلان الدستور العثماني وكان عمري حينذاك (١٧) سنة ، فغمرني شعور الحرية والانطلاق كما غمر غيري من الشباب العراقيين الذين تذوقوا حلاوتها ، و يعود الفضل في ذلك الى استاذي (الدكتور سامي بك سليمان) الذي كان حينذاك استاذنا في الكيمياء والفيزياء ، وهو الاستاذ الوحيد الذي كان ينتهز الفرص لارشادنا الى طريق الصواب وطريق

الحرية والاستقلال ! وكان انقلاب ٣١ مارت سنة ١٩٠٩ يوم اراد السلطان عبد الحميد الثاني التغلب على الاحرار وخنق الحرية والغاء الدستور فهذه الحركة الرجعية ولدت فينا شعوراً كريماً ونزعة حرة ، وكنت في تلك الايام السوداء افضل الموت على العودة الى الرجعية والاستبداد ، فرأيت احسن وسيلة لمناصرة الاحرار ومناهضة توحيد صفوف المدرسة وتوجيه الفكرة الى هدف واحد وهو (العصيان ضد الاستعباد) ونجحت بخطتي هذه ، وتآمر الجميع لرفع لواء العصيان ومعاضدة الاحرار ومناصرتهم ، باشرنا باعداد برقيات احتجاج ترسل الى الباب العالي في الاستانة تهدده بالثورة ضد السياسة الغاشمة ، وكانت هذه الاحوال تجري بصورة شبه سرية في المدرسة برغم قساوة التدابير وشدة النظام العسكري الذي كان سائداً وغطرسة ضباط المدرسة .

* * *

ولما ضاق بنا الامر لجأنا الى استاذنا الحر الدكتور سامي بك سليمان وكاشفناه بما اعتزمنا القيام به ، فبرقت اساريره وطفح وجهه بشراً وحبوراً بهذا الروح المبارك ، ولكنه طلب الينا التريث ريثما يتقصى الاخبار التي ترد برقياً من الاستانة ، وبالنتيجة كان النصر حليف الاحرار والفشل نصيب السلطان عبدالحميد واعوانه ، فأسقط عن العرش وبويع اخوه السلطان رشاد ، وهكذا انتهت هذه الحادثة التي تعد من الوقائع المهمة في التأريخ العثماني .

بعثت هذه النتيجة في الشباب روحاً طيبة واملا ونشاطاً ، وصرنا من ذلك التأريخ نراقب الاحوال والوقائع بعيون ساهرة ، فلا تمر حادثة إلا قلبناها ودرسناها درساً وافياً الى ان انتقلنا الى المدرسة الحربية في الاستانة في تشرين الاول سنة ١٩٠٩ وبعد مدة قصيرة فوجئنا ببادرة جديدة من اقطاب جمعية الاتحاد والترقي الذين قبضوا على زمام الحكم آنئذ ، فرأيناهم يخطون المناهج الجديدة لتتريك العناصر غير التركية الداخلة ضمن الامبراطورية العثمانية

فباشروا بنشر الدعاية واعداد الوسائل لتنفيذ هذه الخطة ، منها اندية تركية بحتة كانت تسير تحت فكرة (جون ترك) واصدار مجلات عديدة للغاية نفسها ، وهذه الحركة اثرت اسوأ تأثير في العناصر غير التركية كالعرب والاكراد والالبان ، وجعلتهم يحسبون الف حساب لهذه البادرة وشرعوا يفكرون في مصيرهم ومستقبل اقوامهم ، فلم يروا من مقر سوى ايجاد التدابير المقابلة لمجابهة خطر الخطة الموجهة ضد قومياتهم ، وطفقوا يؤلفون الجمعيات والاحزاب .

الاحزاب العربية

ومن جملتها تأليف اول حزب عربي باسم (حزب الاخاء العربي) الذي انتسب اليه كثير من الشباب المثقف ، كما تألفت هناك كثير من الاندية الادبية للغاية نفسها ، كالجمعية اللامركزية والمنتدى الادبي والجمعية الثوروية والجمعية العربية الفتاة في الاستانة ، والجمعية الاصلاحية البصرية ، وجمعية الاتحاد اللبناني في القاهرة ، والنادي الوطني في بغداد . ولما رأت جمعية الاتحاد هذه الفعالية اهتمت لاستدراكها وكلفت الشبيبة بلزوم التفاهم . وعليه عرض العرب عدة مطاليب اصلاحية سنأتي على ذكرها في حينه ، فطلبوا تنفيذها في الحال ولكن ممثلو جمعية الاتحاد والترقي وحكومتها اقنعت القائمين بالحركة الاصلاحية من العرب بانها قائمة بتنفيذها ، على ان التسويف والمماطلة دامت عدة سنين ولم ينجز منها شيء من الوعود والمواثيق .

جمعية جون ترك

كنت في ذلك الحين لا ازال تلميذاً في المدرسة الحربية وشوقي في ازدياد

لتتبع حركتنا المقدسة ، وكنت لا ازال اراقب الاحوال والتطورات في العالم بعين ساهرة بعد ان انتبهت بكل حواسي ، وذلك لما باشر الاتحاديون بتنفيذ خططهم المشؤومة الجديدة وهي تتريك العناصر غير التركية ، بحيث تكون كالبهائم تمشي حسب رغباتهم وتحت طوعهم ، خلافاً لمبادئهم الاساسية التي تمشوا عليها ونادوا بها على رؤوس الاشهاد في بادئ امرهم (وهي محاربة الاستبداد واعلاء شأن الدولة ، وتوطيد دعائم الاخوة والمساواة بين طبقات الشعب و بلا تمييز في الجنس والمذهب) .

الثورة الالبانية

اندلع لسان القلاقل في انحاء المملكة من جميع جهاتها واول من قام منتقضاً على الاتحاديين وسياستهم الهوجاء كان العنصر الالباني ، فاعلن الثورة ضدهم في البلقان واستمر على عصيانه زمناً غير يسير لانه كان من العناصر القوية الشكيمة في الامبراطورية العثمانية ، وقد بقي متراص الصفوف ومتحد الكلمة رغم وسائل التفريق والتشتيت التي لجأ اليها الاتحاديون .

وكان الشعب الالباني من اول الساعين لكسر اغلال الاستبداد والعامل المهم في اسقاط الامبراطور الطاغية عبد الحميد الثاني من اريكة الملك في ٣١ مارت سنة ١٩٠٩ .

الثورة في الجزيرة العربية

واقتفى اثر الالبانيين في الثورة والتمرد امام اليمن يحيى حميد الدين والامير عبد العزيز السعود امير نجد ، ثم عشائر حوران والكرك في منطقة سورية ففشلت السلطات الاتحادية في جميع محاولاتها ولم تنجح بأي حركة

قامت بها لقمع الثورات وكسر شوكة العناصر المتمردة وتهدئة ثورتها او تخدير الاعصاب ، ولما ايقن العرب ان الاتحاديين يلحون فى تطبيق مؤامراتهم فى جميع الجهات فازداد نشاطهم لتلافي الخطر الداهم ببلادهم وقوميتهم ، فشمروا عن سواعدهم والقوا بأنفسهم في ساحة النضال علناً ، وطفقوا يجاهرون الاتحاديين بالعدوان ، ووحدوا كلمتهم وصفوفهم في سنة ١٩١١ وكان اول من تطوع للجهاد من شبان العرب العسكريين المستنيرين في الاستانة تحت رآسة ضابط الركن المقدم عزيز بك علي المصري الذي ذاع صيته فى حركات اليمن وطرابلس الغرب والحجاز ، والشهيد سليم بك الجزائري ضابط الركن ، ونوري بك السعيد الملازم ضابط الركن ، فجمعوا حولهم نفراً من ذوي الهمم والغيرة القومية كالملازم جعفر العسكري ومزاحم الامين الباجه جي التلميذ في كلية الحقوق في الاستانة ، وعبد الله الدملوجي التلميذ فى كلية الطب ، في الاستانة ، وعاصم الجلبي التلميذ في دار الفنون العثماني ، والمقدم الشهيد عبد الكريم الخليل الشامي التلميذ فى كلية الحقوق في الاستانة ، والملازم طه الهاشمي ضابط الركن ، والتلامذة العسكريين جميل المدفعي ، وتحسين علي ، وفؤاد المدفعي ، وموفق الكامل البغدادي ، ومحمود حلمي الطرابلسي ، والسيد عيسى الوترى البغدادي ، ويوسف حنظل البغدادي وتوفيق الدملوجي الموصلي وعبد المجيد الانكرلي البغدادي والملازم المدفعي مهدي الرحال البغدادي ، والملازمان ضابطا الركن مصطفى الشامي ومحيي الدين شام والتلامذة في المدرسة العسكرية وصبيح نجيب العزي البغدادي ، ونوري فتاح البغدادي ، وعبد الغفور البدري ، ويحيي الموصلي ، ومحمد زكي البصري ، ويوسف العزاوي ، وابراهيم ادهم البغدادي ، وطالب الحقوق ثابت عبد النور الموصلي . وكانت نتيجة ذلك تأليف (جمعية العهد) السرية فى سنة ١٩١٢ فى الاستانة ومركزها فى حي بشكطاش فى دار الضابط نوري السعيد البغدادي ، التي لم تكن تبعد عن قصر الطاغية



فخامة نوري باشا السعيد



الاعضاء المؤسسون لفرع جمعية العهد في الاستانة : في الوسط من الصف الاول نوري باشا السعيد وعن يمينه الضباط ابراهيم ادهم بك ومحمود سامي بك وعن يساره تحسين العسكري وابراهيم بك الشامي وعيسى الوتري ، وفي الصف الثاني من اليمين محمود حلمي الطرابلسي وابراهيم الشامي وموفق كامل البغدادي ومحمود جلال البغدادي وصبحي الطرابلسي .

انور باشا سوى عشرات من الامتار ، وكان لها ايضاً مراكز اخرى كدار عزيز علي المصري ، ودار الشهيد سليم الجزائري . ولما رأيت لها منهاجاً مفيداً ونيات صالحة لخير البلاد انتسبت لها انا ورفقائي التلامذة والضباط الذين ذكرت اسماءهم آنفاً .

وكلما مرت الايام اخذ عدد المنتسبين اليها يزداد ، وكان معظمهم من الضباط العراقيين والسوريين والطرابلسيين واليمانيين والفلسطينيين ، ثم انشأت لها فروعاً فى الشام وحلب و بغداد والموصل والبصرة . وقد تم ذلك كله فى خلال سنة ١٩١٣ م . اما الاقطار العربية الاخرى كالحجاز وطرابلس الغرب وفلسطين واليمن ونجد فكان فيها للجمعية اعضاء منتدبون لبث الدعاية لها حسب البرنامج المقرر . وكان المركز العام للجمعية فى الاستانة كما قلنا ، لانها قلب الحركة الفكرية بالنسبة للبلاد العثمانية . وكانت المنشورات تطبع هناك وتنشر على زعماء الاقطار العربية ، والحماسة والتضحية والجرأة ماثلة في كل شباب عربي قاطن فى الاستانة ، وكان الجميع لا يبالون السلطات الحكومية ولا يهابون حتى فى اعز ايام حكمها . ومن امثلة ذلك اني شاهدت يوماً ثابت عبد النور احد منتسبي الجمعية بمدرسة الحقوق يسوق حمالا يحمل (١٠٫٠٠٠) نسخة من النشرات الثورية (غير مغلفة) وقد انجز طبعها في اهم مطابع الاستانة فى شارع (الباب العالي) من الجسر الكبير الى ان اتى به الى دار نوري السعيد فى محلة بشكطاش مجتازاً اكثر من خمس كيلو مترات (ماشياً) على ملأ الناس غير هياب ولا وجل .

حرب طرابلس الغرب

انذار ايطاليا للدولة العثمانية

ما انفكت الحكومة الايطالية منذ سنين تذكر الباب العالي بضرورة

وضع حد لسوء النظام والادارة والاهمال فى طرابلس، و بنغازي وبوجوب امتاع هذه البلاد بما تتمتع به سائر اقسام افريقيا الشمالية ، وهذا التغيير (المشار اليه من حيث تأييد الامن وترقية البلاد) الذي يقتضيه التمدن يجعل المصالح الحربية بحسب ما تستلزمه مصلحة ايطاليا فى اول درجة بالنظر لقصر المسافة بين تلك البلاد وشواطئ ايطاليا . و بالرغم من حسن مسلك الحكومة الايطالية التي كانت دائماً موالية ومعاضدة لتركيا فى كثير من المسائل السياسية فى العهد الاخير ، و بالرغم من اعتدالها وصبرها حتى الآن كانت الحكومة العثمانية تجهل رغائبها في طرابلس وفوق ذلك ان جميع مشروعات الطليان فى تلك الاصقاع كانت تصادف دائماً مقاومة مطردة لا تحتمل . فالحكومة العثمانية التي كانت حتى الآن تبدي عداء دائماً نحو الحركة الايطالية الشرعية فى طرابلس و بنغازي، ومازالت كذلك حتى الساعة الحادية (يعني حتى الساعة) اقترحت الحكومة الملكية (يعني الطليانية) ان تتفاهم معها واعلنت انها ميالة الى ان تمنح اي امتياز اقتصادي يتفق مع المعاهدات النافذة ومع شرف تركيا الاعلى ومصالحها . ولكن الحكومة الملكية لا تشعر الا انها فى احوال موافقة للدخول فى المفاوضات بهذا الموضوع — المفاوضة التي برهن الاختبار الماضي على عدم نفعها — وهي لا تشتمل على ضمانة للمستقبل ولا تكون الا سبباً للاحتكاك والنزاع .

ومن جهة اخرى فقد وردت الاخبار الى الحكومة الملكية من قنصليها فى طرابلس و بنغازي تفيد ان الحالة هناك خطرة جداً بسبب التحريض العام ضد الرعاية الطليان ، ذلك التحريض الذي زاده الضباط وسائر موظفي الحكومة ، فهذا التهييج خطر شديد ليس على الطليان فقط بل على سائر الاجانب على اختلاف جنسياتهم ، ولما اصبحوا قلقين على حياتهم شرعوا

يهجرون البلاد بلا ابطاء ووصول النقالات العسكرية العثمانيــة الى طرابلس زاد الحالة خطراً وحرجاً ، مع ان الحكومة الملكية نبهت الحكومة العثمانية الى نتائجه السيئة من قبل، ولهذا تضطر الحكومة الملكية الى ان تتخذ الاحتياطات اللازمة دفعاً للخطر الناجم عنه .

ولما وجدت الحكومة الايطالية نفسها مضطرة الى الحرص على شرفها ومصالحها قررت ان تحتل طرابلس و بنغازي احتلالا عسكرياً . هـذا هو الحل الوحيد الذي تعول عليه ايطاليا ، والحكومة الملكية تنتظر ان الحكومة العثمانية تصدر اوامرها حتى لا تصادف ايطاليا في الاحتلال معارضة من رجال الحكومة العثمانية وان لا تجد صعوبة في انفاذ ماتريد انفاذه ، و بعد ذلك تتفق الحكومتان على تقرير الحالة اللازمة . وقد صدرت الاوامر للسفير الايطالي في الاستانة ان يلتمس جواباً جازماً في هذه المسألة من الحكومة العثمانية في ٢٤ ساعة منذ تسليمه البلاغ ، فاذا لم تجاوب عليه كانت الحكومة الايطالية مضطرة الى ان تنفذ المشروعات المدبرة لضمانة الاحتلال وترجو ان يبلغ جواب الباب العالي المنتظر في ٢٤ ساعة لنا عن يد السفير العثماني في روما .

تشرين الاول ١٩١١ — سان جوليان

وزير خارجية ايطاليا

فوجئت الدولة العثمانية بانذار ايطاليا هذا ، فاعلنت الحرب بعده . وقد عودتنا الدول الاستعمارية انها لا تتورع عن اتخاذ اتفه الوسائل وسيلة للتدخل في شؤون البلاد الآمنة المطمئنة فتضمها على الاثر الى ممتلكاتها . وقد حدث في اثناء الحرب اليمانية السعودية سنة ١٩٣٤ ، ان اقتربت بعض البوارج الانكليزية والايطالية والافرنسية من ميناء الحديدة ، وقد كانت الاشاعات

عن هذه البوارج انها لم تأت الا للصيد ، او لحماية الرعايا الاجانب ولولا لطف الله بالعاهلين العربيين وحكمتهما فى الاسراع الى عقد الصلح لكان مصير هذه البلاد العربية السعيدة الاحتلال النهائي ، كما حصل في طرابلس الغرب اذ كانت الحكومــة العثمانية مشتغلة بتجهيز الحملات على امام اليمن ومحاربة الادريسي ، لذلك سحبت جل قواتها من طرابلس الغرب الى سواحل اليمن فخلا الجو للمستعمر ووجد الفرصة سانحة لمفاجأة طرابلس بالهجوم الفجائي بالرغم من ان المطلعين على الخفايا السياسية الاوربية كانوا يتوقعون ان تحتلها ايطاليا التي كانت حصتها حسب مقررات مؤتمر (الخزيراس) السري عام ١٩٠٤ م فى جنوب اسبانيا الذي اقتسمت فيــه الدول الاستعمارية ذات الشأن الممالك الافريقية الواقعة على سواحل البحر الابيض المتوسط ، فاحتلت فرنسا مراكش على اثر حادثة الدكتور موشان التي اتخذتها وسيلة للاستيلاء على مراكش ، وهكذا كان شأن اسبانيا فى تطوان والريف اذ كان السبب الاكبر لاحتلالها الشقاق الذي نشأ بين الاخوين مولاي عبدالحفيظ ومولاي عبد العزيز ، فاضاعا بذلك ملكهما وكان مكان احدهما فى طنجة والآخر في باريس يعمل خلاف اخيه .

* * *

ولم يكن القصد من سرد هذه الحوادث ذات العلاقة المباشرة لاحتلال طرابلس الا لنضرب للشباب العربي مثلا من جشع المستعمرين ليكونوا على حذر من التورط فى الشقاق والمنازعات الطائفية الممقوتة لانها تؤدي الى مصير كمصير طرابلس ومراكش والريف .

وقد باشر الايطاليون الهجوم على طرابلس الغرب بحراً وبراً ، ورغم دفاع الحكومة المستميت ودفاع اهل البلاد بضعة اسابيع ، فقد تمكن العدو



عزيز بك علي القائد العربي الشهير

من احتلال البلدان المهمة الواقعة على شاطئ البحر الابيض المتوسط : طرابلس الغرب ، خمس ، و بنغازي ، ودرنة ، وطبرق ، و بعض الملحقات الواقعة على الساحل نفسه . واكراه المدافعين على الانسحاب الى البلاد الداخلية بواسطة قواتهم الجسيمة واسطولهم العظيم ، فاهتمت الحكومة العثمانية (بعد خراب ...) و باشرت بارسال القواد والذخائر بطرق ووسائط شتى لنجدة فلول الجيش والعشائر (برغم انقطاع المواصلات البحرية والبرية وسد مضيق الدردنيل) وانقسمت المنطقة الى قيادتين : الاولى طرابلس الغرب التي كان يقودها المقدم اركان الحرب خليل بك (وهو خليل باشا الذي قاد الفيلق السادس في الحرب العامة في جبهة العراق) . والاخرى جبهة بنغازي الذي اسندت قيادتها الى المقدم انور بك (الذي كان وكيل القائد العام للجيوش التركية في اثناء الحرب العامة) .

* * *

وقبل تأليف جمعية العهد بدأت الاجتماعات السرية في الاستانة تعقد في دور الضباط عزيز علي المصري وسليم الجزائري ونوري السعيد . وكان من المقرر توزيع الاعمال على كل من يتوسم فيه النشاط والرزانة والاخلاص من شبان الاقطار العربية لبث الدعاية .

وفي السنة عينها استعرت نيران الحرب الاحتلالية والاستعماريه التي كانت تشنها الحكومة الافرنسية على حكومة فاس التي يرأسها السلطان مولاي حفيظ فسقطت في النهاية في ايدي الافرنسيين المستعمرين .

وفي تلك الاثناء احتل الانكليز شبه جزيرة طورسينا . واما الايطاليون فلم يكتفوا باحتلال طرابلس الغرب وبرقة بالقوة بل باشروا باطلاق نيران المدافع من اسطولهم البحري على ثغر بيروت الآمن ، فهدمت كثير من الابنية والعمارات . اما الخسارة في النفوس فكانت تنيف على ١٣٠ نسمة بين قتيل وجريح .

سفري الى طرابلس الغرب

وفي ١٢ مارت ١٩١٢ م تخرجت ضابطاً برتبة ملازم ثان في المشاة وعينت بالقرعة فى الفيلق الاول فى الاستانة ثم اشتركت في الاستعراض العام الذي اجرته القيادة العليا في ٢٣ نيسان سنة ١٩١٢ م بالاستانة . وقد كان اعظم استعراض جرى في تأريخ تركيا ، حضره جلالة الملك فرديناند ملك بلغاريا اشتركت فيه وحدات عديدة وحلقت فيه اول طيارة في تأريخ الطيران التركي من طيارات الجيش . وقد كان القصد من هذا الاستعراض تهديد الدول البلقانية المتهيئة للانتقام وتقسيم البلاد منتهزة فرصة انشغال الحكومة العثمانية بحرب دولة اخرى .

ولما شاهدنا الاعتداءات المتوالية على البلدان العربية قائمة على قدم وساق في الداخل وفي الخارج ، رأت الشبيبة العربية وفي مقدمتها عزيز علي المصري ان الفرصة سانحة لها لارسال من يمكنه التطوع من الضباط الى حرب طرابلس الغرب لمساعدة الشيخ احمد السنوسي رئيس القبائل العربية الافريقية بمنطقة طرابلس الغرب وحثه على تأسيس دولة عربية هناك تحت لواء سيادته واعلان استقلالها لتكون اول دولة عربية مستقلة في افريقية التي كانت ولا تزال تئن تحت نير المستعمرين ، فتطوع المقدم اركان الحرب الزعيم عزيز بك علي المصري وسافر متنكراً الى جبهة طرابلس الغرب فعين قائداً لمنطقة بنغازي . وحذا حذوه كثيرون من الضباط الطرابلسيين ، والسوريين ، والعراقيين ، من جمعية العهد وهم : شهيد الحرية الملازم صبحي الطرابلسي ، والملازم محمود حلمي (الذي هو الآن في الجيش العراقي برتبة مقدم) ، والملازم السيد عيسى الوتري البغدادي رحمه الله ، والملازم المدفعي اسماعيل الطرابلسي ، والملازم

سعيد المدفعي البغدادي ، وتطوعت انا وغيري من الضباط للالتحاق بقوة بنغازي وكل منا اختار له طريقاً للسفر . فاتفقت مع الملازم اسماعيل الطرابلسي ، والسيد عيسى الوتري البغدادي على السفر معاً ، والملازم السيد عيسى على طريق مصر والصحراء لنتمكن من الالتحاق بعزيز بك علي قائد منطقة بنغازي .

ان هذه الحركة اسرعت انتباه رياسة اركان الجيش في الاستانة فارادت ان تعرقل سفرنا ولكننا بفضل وزير الحربية محمود شوكت باشا البغدادي ، وكان رحمه الله لا يرى بأساً بتقوية العنصر العربي المجاهد للحيلولة دون استعمار الاوربيين للبلاد العربية .

فنلنا الموافقة على السفر وتذليل المصاعب والعقبات ، ومع انني كنت في عنفوان الحياة في مبدأ انطلاقي من المدارس لم اشأ ان اعيش عيشة ناعمة ولاسيما في بلدة جميلة مترفة كالاستانة ، فآثرت ترك ملذاتها وانسها في سبيل الواجب المقدس من جهة ، ولاقناع الوالدة العزيزة بضرورة السفر فزعمت لها اني ذاهب في البعثة العسكرية الى المانيا لئلا يشملها الغم والحزن فتحول دون سفري لدى الوزير .

اخذت الجواز متنكراً باسم (حسن العطار من اهالي حماه) لاتمكن من السفر مع رفقائي الذين انتحلوا شتى الاسماء في احدى بواخر شركات رومانيا وسافرت في ٢٧ نيسان ١٩١٢ م من الاستانة على طريق بيرة ، ثم كريد وفي طريقي شاهدت سفناً حربية ايطالية فاطلقت علينا احداهن منذرة طلقة واحدة في الهواء طالبة ايقاف الباخرة لتفتيشها فوقفت ودنا منا زورق بخاري وباشر تفتيش باخرتنا وهل تحمل ذخائر حربية للجيش العثماني او ضباطاً او جنوداً فلم تجد اثراً لذلك اذ كنا متنكرين ، فاطلقت سراح الباخرة

وسرنا فى طريقنا الى الاسكندرية .

بلغنا « الاسكندرية » فى ٢ مايس سنة ١٩١٢ ، و بعد ان مكثنا فيها يومين سرنا الى القاهرة لمقابلة (معتمد) الحكومة العثمانية ، السامي لدى الحكومة المصرية ، وكانت مصر يومئذ تحت الاحتلال البريطاني الموقت ، ليرشدنا الى الطريق الواجب سلوكها ، فمهد لنا الطريق بدلالة جمعية الهلال الاحمر المصرية التي كان لها فرع فى آخر محطة غربي الاسكندرية على طريق سكة حديد مربوط ، ثم زودنا باربعة آلاف ليرة انكليزية ذهبية اعانة من الشعب المصري لمجاهدي طرابلس الغرب ، فاشكل علينا نقل هذا المقدار من الذهب ، ففكرنا ان ننقلها بصفائح الغاز . فملأنا الصفائح بالدبس الراشي ووضعنا كل الف ليرة تحت الدبس في الصفيحة ، وهكذا تمكنا من اخفائها عن الانظار وايصالها الى القيادة العامة في (درنة) . سافرنا بالسكة الحديدية من الاسكندرية الى محطة « آخر تركيب » التي تبعد زهاء ١٥٠ كيلومتر عن الاسكندرية وهناك قابلنا بعض اعضاء بعثة السفر لجمعية الهلال الاحمر المصري فبسطنا لهم خطتنا فساعدونا وساعدوا غيرنا من الوافدين لمثل هذه الغاية على المبيت في مخيمهم وتوسطوا لنا في اكتراء الجمال لركوبنا ولنقل اثقالنا . وتحركنا من هناك فى ١٧ مايس سنة ١٩١٢ متوجهين نحو الغرب ومكثنا في مزرعة (جربولة) من مزارع الخديوي عباس حلمي فى الصحراء وفى اليوم التالي وصلنا « مرسي مطروح » وهي عبارة عن قرية بسيطة ، فيها ثكنة لخفر السواحل المصرية ، وكانت باخرة حربية خفيفة راسية فيها يقودها ربان مصري . واول من قابلنا فيها ضابط مصري رحب بنا واطعمنا ، ثم ذهب بنا الى الباخرة فى المرسى على ساحل البحر المتوسط ، وقدمنا الى قائدها ، واحسنوا وفادتنا بعد ان عرفوا غايتنا ،

فانصرفنا شاكرين لهم عطفهم ومكثنا تلك الليلة مع القافلة على مقربة من القرية . وفى اليوم الثالث استمررنا على السفر ومكثنا ليلا فى الصحراء الخالية وكذلك في اليوم الرابع واليوم الخامس . وكنا فى اليوم السادس في (سيدي براني) الكائن قريباً من الساحل . اجتمعنا هناك بضابط خفر السواحل الملازم محمد مرسي ، فوجدنا فيه روح الوطنية والشهامة العربية متجلية مشرقة ، رحب بنا ايما ترحيب واكرمنا غاية الاكرام . وفى اليوم السابع قصدنا الى موقع يبعد عن البحر قليلا فمكثنا في الاراضي الجبلية ليلة في العراء ، وفى اليوم الثامن وصلنا (بقبق) فنزلنا ضيوفاً عند ضابط مصري . وفي اليوم التاسع سافرنا منها ومكثنا فى الخلاء . وفى اليوم العاشر بلغنا (مرسي سلوم) الواقع على الحد الفاصل بين حدود طرابلس الغرب والمملكة المصرية . وهو الحد الطبيعي الفاصل بين الاراضي الصحراوية .

وكان هنالك ضابط انكليزي مستخدم عند الحكومة المصرية ، ومعه ضابط مصري برتبة صاغ(رئيس اول) متزوج بأمرأة ايطالية فلما عرفنا باشر يحقق عن هويتنا ويتعمق بالتحقيق ليحملنا على الاعتراف باننا ضباط اتراك فلم يفلح في محاولته ، لاننا شعرنا انه كان يقصد عدم السماح لنا باجتياز الحدود وكان فضلا عن ذلك يعاملنا معاملة سيئة بتأثير اصهاره الايطاليين خلاف ما عاملنا به الضباط المصريون حتى الضابط البريطاني . حينئذ صرنا نعتقد بأن حركة الايطاليين على طرابلس كانت لا تروق البريطانيين ، لذلك اظهروا كثيراً من التسامح فى سفر الضباط العثمانيين وانضمامهم الى ميدان الحرب . وبعد جهود ساعتين ، وبمعاونة الضابط البريطاني تمكنا من اقناع الضابط المصري باننا لسنا بضباط بل من اصحاب الحرف ، وقصدنا الذهاب الى برقة لاصطحاب اقاربنا الى سورية فاجاز لنا المرور من الحدود المصرية وبقينا

مثابرين على السير في الصحراء القاحلة اربعة ايام حتى وصلنا في ٧ حزيران الى اول معسكر للجيش العثماني في (طبرق) ومن هناك ركبنا الابل واغذذنا السير ثلاث ليالي فى الصحراء حتى وصلنا معسكر (عين المنصور) من توابع (درنة) فى (مقاطعة برقة) فقابلنا قائد بنغازي العام المقدم انور بك ، فابقانا في درنة خلافاً لما كنا نؤمل من الالتحاق بعزيز علي بك المصري ، وفي اليوم الثاني وزعنا على وحدات العشائر فعينت قائداً لعشيرة البراعصة التي يرأسها (سيدي العلوية) وهي من اشهر العشائر قوة وشجاعة ولهـا مواقف في صد غارات الجيش الايطالي .

الوضع الحربي

قوات الاتراك فى ٢٤ حزيران ١٩١٢ م

كانت جميع معسكرات الجيش العثماني تبعد عن السواحل مسافات تتراوح من ١٥ كيلو متر الى ٢٠ كيلو متراً نحو الجنوب ، وذلك لتكون مصونة من قنابل مدافع الصحراء الطويلة المدى ومدافع الاسطول الايطالي ، واما الخطوط الامامية فلم تبعد عن معسكرات العدو اكثر من (٥) كيلو مترات .

وينقسم ميدان بنغازي الى ثلاث مناطق ، وكان قائدها العام المقدم ضابط الركن انور بك (الذي عين وكيل القائد العام في سنة ١٩١٤) فى الحرب العظمى وهي:

المنطقة الاولى ـ بنغازي: بقيادة المقدم ضابط الركن عزيز علي بك المصري.

المنطقة الثانية ـ درنة : بقيادة المقدم ضابط الركن مصطفى كمال بك (رئيس جمهورية تركيا الغازي مصطفى كمال باشا) .

المنطقة الثالثة ـ طبرق : بقيادة العقيد ناظم بك ضابط الركن ، وكان

الرئيس الاول سليمان عسكري بك رئيساً لضباط الركن فى ميدان بنغازي .

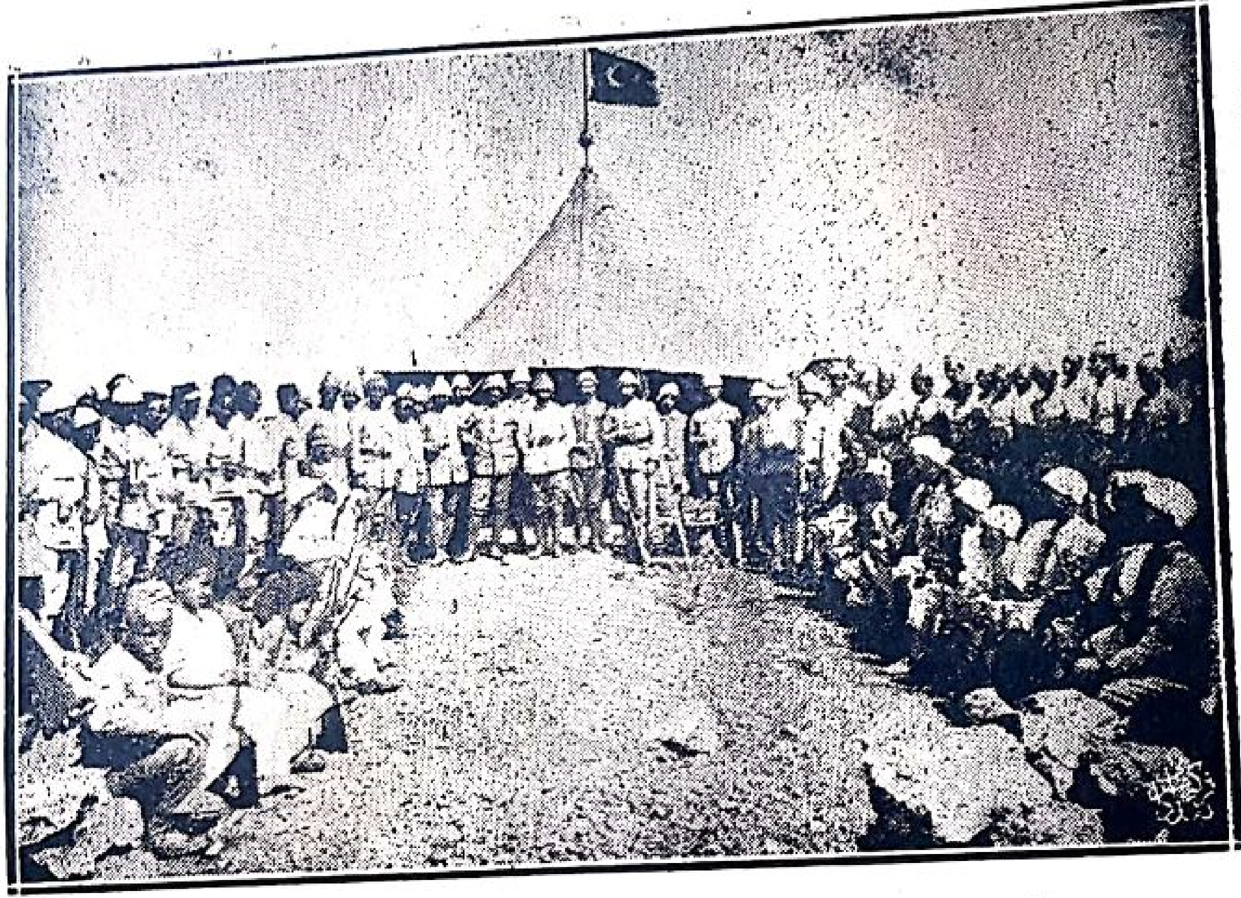
وكانت القوات في جميع الميادين مكونة من قليل من القوة النظاميـة : مشاة ورشاشات ، ومدفعية . والعشائر المتطوعة التابعة للسيد احمد السنوسي. وقد بقيت فى منطقة درنة التي كان يقودها مصطفى كمال بك . اما قوة درنة فكانت مؤلفة من سرية مشاة نظامية وتسع سرايا مشاة من العشائر باسم محافظية يقودها ضباط نظاميون مع ثلاث رشاشات هوجكس ، وثمانية مدافع صحراوية وجبلية عادية والف مجاهد من العشائر ومستشفى واحد تابع للهلال الاحمر المصري الذي انشيء باموال المصريين ومساعداتهم . واما الاعاشة فلم تكن حسب ما يجب ان تكون لبعد المواقع عن العمران ولعدم وجود وسائط النقل في الصحراء ، فكان الطعام فى كثير من الاوقات يوزع بتقتير واحياناً نبقى بغير طعام . واما الاراضي فكانت قاحلة ولكنها جبلية تكثر فيها اشجار الزيتون وفيها غابات فى اقسام قليلة منها ولكنها كانت بعيدة عن مضارب المقر العـام ، فكانت من حسن الحظ على مقربة من الغابات الخفيفة ، وكان الماء قليلا جداً و بعيداً عن المعسكرات ، وكان حر الصيف شديداً لا يقل عن درجة حرارة العراق وكنا نسكن في الخيام و بيوت الشعر .

عشائر طرابلس الغرب

كانت عشائر طرابلس الغرب تنقسم الى زوايا عديدة تحت امرة الشرفاء من اهالي الحجاز ، وكان سيدهم الا كبر يومئذ السيد احمد الشريف السنوسي رحمه الله ، ومقره فى (جغبوب) التي تبعد زهاء مائتي كيلو متر في الجنوب ، وكان مطاعاً من قبل جميع العشائر السنوسية المتدينة وهم حنبليون

وكانت حالة هذه العشائر الاقتصادية ضعيفة جداً لا يملكون سوى قليل من الابل يرعون بها فى الصحراء ، وكانوا قنوعين فيما هم فيــه وشجعاناً فى تحمل الشدائد والمشاق لا يعرفون الهزيمة في الحرب ، و يشتغل قسم قليل منهم بالزراعة ، يستخدمون فى حرثها الابل ، ولا يعرفون استعمال القهوة بالمرة . ولكنهم يكثرون استعمال الشاي الاخضر ، يشربونه خمس مرات يومياً اذا تمكنوا من الحصول عليه . اما لهجتهم العربية فهي اشبه باللغة البدوية العراقية ، واما لباسهم فهو غير اللباس العربي المعروف فى الجزيرة العربية ، يرتدون الحرام الابيض عوضاً عن العباءة ، والحذاء الاصفر المشابه (اليمني الحلبي) ، و يسمونه (بلغة) والطربوش الاحمر مع الكركوشة الزرقاء كالتي يستعملها قدماء اليهود في بغداد .

اما سلاحهم فكان المارتين هانري والشنايدر ، وليس لديهم من العتاد الا القليل . واما الذين يعرفون القراءة والكتابة منهم فكانوا ١ فى الـ ٢٠٠٠ والخيل عندهم قليلة جداً لقلة المياه ، وانما توجد عند الرؤساء فقط . وكانت العشائر شديدة الارتباط برؤسائها فانها تحبهم من صميم القلب حتى انهم ليقسمون برؤوسهم ، والزواج عندهم كثير جداً وفيهم قليل من الامراض الزهرية ولكنه آخذ فى الانتشار (مع الاسف) . واهم العشائر المشهورة في منطقة (برقة) : البراعصة . الحاسة . عبيدات . عائلة منصور ، درسه . وجميع رؤساء العشائر يقضون اوقاتهم فى الزوايا او قصر الرئيس الروحانى والجسماني (في وقت السلم) وهم من السادة ، ولديهم كاتب خاص وهؤلاء الرؤوساء لم يحاربوا بانفسهم بل كانوا يرسلون اولادهم واقاربهم لقيادة اتباعهم فى الحرب ، وكان الشيخ احمد السنوسي مشغولا بارسال النجدات من جغبوب والزوايا الاحرى ، ولكنه لم يشترك بنفسه في الحرب ولم يدع الى الحضور حين اعلن



الضباط العسكريون في حرب طرابلس الغرب وفي وسطهم انور باشا القائد المشهور

الخليفة الجهاد خوفاً من ان يسيطر على قيادة الميدان هناك ، ولكنه اشترك فعلا في الحرب العامة حين اعلن الخليفة الجهاد .

وقد رافق المجاهدين نساء وفتيات كن يقطن معهم في مضاربهم باسم (نفاكة) ، وعملهن الطباخة والغسيل وتسهيل الحاجيات الاخرى . وكان في معسكر المجاهدين ضباط متطوعون : منهم بضعة من المصريين ، وضابط انكليزي ، وثان الماني ، وثالث نمساوي . وقد حاول الضابط الانكليزي في احد الايام الدنو من معاقل العدو للاستطلاع فاصابته طلقات نارية من رشاشاتها اردته قتيلا وذهب ،أسوفاً عليه من زملائه لانه كان مملوءاً شهامة وغيرة على واجبه العسكري ، ولانه ما تطوع فى الجيش العربي الا لمناصرة الضعيف على القوي الغاشم .

* * *

لما كان العدو يهدد بعض المملكة العربية ، وكانت الحكومة العثمانية تبذل الجهود لازاحته بما تملك من القوة ، تحتم علينا نحن شباب العرب مناصرتها وشد أزرها ومكافحة العدو بكل ما نملك من قوة وعزيمة وتضحية ، فكنا معها متكاتفين متراصين في ساحة القتال وفي جميع الاحوال .

الوضع الايطالى

كانت الحرب قائمة باستمرار ، ولكن الايطاليين اتخذوا كل ما يستطاع اتخاذه من التدابير التي مكنتهم من تثبيت اقدامهم في تلك البقعة فباشروا انشاء قلاع محكمة ثابتة لاسكان جنودهم واتخاذها ثكنات تكون مراكز دفاعية عند الحاجة ، في ميادين القتال .

وقد انشأوا ثلاث قلاع من الحجر والسمنت حوالي بلدة درنة اقاموا

فيها المدافع والرشاشات ، واحاطوها بالخنادق والاسلاك الشائكة ، وحفروا الالغام ووضعوا المفرقعات حتى جاءت غاية في الرصانة ، ومع هـذا فانهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على المناطق الداخلية ؛ فكلما جربوا حظهم كان الفشل حليفهم ، ولكنه لم يمر يوم دون ان يرموا قنابلهم على معسكراتنا ويصيبونا بأذى . اما نحن فقد تمكنا من الحصول على محل مرتفع في ساحل البحر يبعد ٢٥ كيلو متراً عن معسكرنا و ٥ كيلومترات عن غربي (درنة) ووضعنا احد مدافعنا الصحراوية العادية لمقابلتهم بالمثل (حرب تمسكت) : وفي ٤ تموز ١٩١٢ باشرنا باطلاق نار مدافعنا على (درنة) المستحكمة من (تمسكت) فاثرنا فيهم الرعب والدهشة في القصبة ، وارعبنا قلب العدو بهذه المفاجآت الجريئة ، فجلب الاسطول من البحر واحاط بهذا الموقع وباشر باطلاق نار المدافع الحامية وحتى تمكن من اسكاتنا موقتاً ، ورغم كل محاولاته لم يتمكن من اراحتنا عن هذا الموقع ، فعينت قائداً (لتمسكت) وهـذا الموقع يعلو عن سطح البحر (٤٠٠) متر ويبعد عن البحر كيلو متراً واحداً ، ولكن الوصول اليه صعب جداً لوعورته . ولما رأى العدو هذا الموقع الذي يخشى منه ان يكون مهدداً لـ (درنة) ارسل علينا فوجين من المشاة الجبليين من (الآلبيني) المشهورة بفرق (تسلق جبال الالب اي حماته) .

وكانت هذه القوة مزودة بعتاد تسلق الجبال عدا الاسلحة النارية التي يستعملها الجنود عادة . بطريتين جبليتين مع اثنى عشر رشاشاً . واما سريتنا فلم يتجاوز عددها ١٥٠ بندقية ومدفعاً واحداً ، وكانت كل بندقية لا تتجاوز خراطيشها ١٥ طلقة ، واما قنابر مدفعنا فكانت خمس عشرة قنبرة لا غيرها ، فتقدمت قوتهم . وفاجأتنا قبل الفجر ، ومن حسن الحظ ان طبيعة موقعنا كانت حصينة جداً مساعدة للدفاع ، فكان خير مشجع لما في

الجنود من العزم القوي ، فلما اخذ العدو يتقدم قررت السرية على الدفاع حتى آخر طلقة تملكها . وفي الوقت نفسه ارسلت ساعياً —علي جواد خاص— الى القيادة العامة لاخبارهم بحدوث التعرض لمكاننا هـذا وقد حدثت المناوشات واخذت القوى تصطدم رويداً رويداً فاستطعنا من توقيف الحركات من طبيعتها لتأثير حرارة الطقس ، ثم بدأت القوة المباغتة بالهجوم في الساعة الرابعة بعد الظهر ، وحينئذ وصلنا الامداد ، فكانت الهدنة خير مساعد لنا ، واكبر ضربة عليهم ، فأسرنا منهم نحو مائة جندي وقتل منهم مايقرب من ذلك وولوا الادبار ، فتركوا اربع رشاشات غنيمة لسريتنا في كل الحالات لم تستعمل بطريات العدو نارها علينا ، لانهم دائماً يبعدونها عن ميدان القتال بل اكتفت بما يقذفه الاسطول من البحر لئلا تترك غنيمة لنا . وعلى اثر هذا النصر انعم علي السلطان رشاد بالوسام المجيدي ، من الرتبة الخامسة .

* * *

وردنا نبأ من الاستانة بسقوط وزارة الاتحاديين وتأليف وزارة الائتلافيين فاستبشرنا بهذه البادرة خيراً لعلمنا بمبدأ الائتلافيين ومنهاجهم القويم الذي يلائم مصالح القوميات المختلفة من حيث السياسة والادارة والمعارف واملنا كل خير على يد هذه الوزارة التي يرأسها الفريق ناظم باشا (والي بغداد سابقاً) .

الهجوم على درنة

في ٢٣ تموز قمنا بحركة هجومية عامة في ميدان درنة وكانت قواتنا مؤلفة من بطرية صحراء عادية ونصف بطرية جبلية (كان احد ضباطها الملازم سعيد

المدفعي البغدادي) ، وثمان سرايا تسمى بالمحافظية ، وسرية واحدة نظامية ، و ١٠٠٠ بندقية من المجاهدين العرب وتقربنا نحو الشمال ، ولما كانت تعوزنا المدافع الضخمة التي تعد من اهم ادوات الهجوم على القلاع ، رأى انور بك القائد العام (المجازف في جميع الادوار) ضرورة استعمال السلالم الخشبية عندما تدنو من القلاع لتسلق جدرانها ، ثم احتلالها بهذه الادوات البالية التي هي من بقايا ادوات الحروب القديمة المستعملة في اثناء الهجوم على حصن او قلعة ولكن كثرة ادوات العدو واحتياطاته وتدابيره الدفاعية التي كانت متوفرة لديه على اتم ما يرام ، حالت دون هجومنا الذى دام ٢٤ ساعة بلا فاصلة ، وكان الاسطول البحري من الشمال يحمي جيشه . وفي هـذه المعركة فقد سعيد المدفعي اصبعين من يده اليمنى بشظية من قنابر العدو اصابته وهو رافع يده بالايعاز لمدفعيته ، وقد ناهز عدد قتلانا المائتين وعدد الجرحى الثمانين لاننا كنا نتقدم على المكشوف في البراز دون ان تحمينا مدفعية قوية ومع ان مدفعيتنا عادية فلم يكن لديها العتاد الكافي ، فكانت القيادة تحتم ألا نطلق إلا عدداً معيناً من القنابر في كل معركة خشية الاسراف والنفاد بحيث ان جيشنا كان يطلق قنبرة واحدة لقاء خمسمائة قنبرة يقذفها علينا العدو من اساطيله البحرية وطياراته بلا غلو ولامبالغة . وكان العتاد لكل بندقية من بنادق المحافظة والمجاهدين لا يتجاوز ١٥ طلقة من طراز السلاح القديم كالمارتين هانرى ، واليوناني ، وغيرها بينما كان العدو مجهزاً بأحدث انواع السلاح واوفر العتاد. فكان لدى كل جندي ايطالي مالا يقل عن مئة طلقة على اقل تقدير فى كل وقت وكانت مدفعية العدو تمطرنا بقنابرها بغير حساب .

كان المقدم مصطفى كمال بك (الغازى مصطفى كمال باشا) معارضاً لهذه (التعبئة) وللهجوم المذكور فقد كان موقناً بفشله واخفاقه ، فكان كما توقع ولكن

شجاعة انور بك اعظم من ان تصور وتحدد ، فهو شجاع مقدام ، وشديد التفاؤل على الدوام ، وما كان يحسب للعواقب اي حساب على نقيض مصطفى كمال بك ، وعزيز علي بك قائد بنغازي اللذين كانا لا يخطوان خطوة إلا حسباً عواقبها ومغباتها ، وكانت خططهما الحربية التي يديرانها في جميع الاحوال ناجحة موفقة وكانا يتجنبان التهور والطيش ، ويحثان الضباط على الاعتدال وحسن التصرف والاحتفاظ بالقوات المادية والمعنوية لعلمهما باستمرار الحرب ونضوب منابع الاسعافات والنجدات الحربيـة لانقطاع سبيلها من كل الجهات . وكان انور لا تروقه هذه الارشادات لذلك كان الخلاف بينه و بينهما بادياً للعيان من ذلك الحين . لا يسعني ان اسرد جميع الوقائع الحربية التي جرت في هذه المنطقة ، لانني كلما وددت التفصيل اتسع الميدان امامي ، وتعذرت الاحاطة بكل ما وقع ، ويتطلب وقتاً كبيراً وتأليف مجلدات ضخمة عديدة لذلك وددت ان اختم مذكراتي هذه بالخلاصة الآتية :

مضت على هذه الحروب سنة كاملة ولم يتقدم الايطاليون عن خنادقهم قيد شبر الى الامام ، على كثرة المؤن والذخيرة لديهم وتوفر جميع الوسائل الحربية ومعداتها كالاسطول البحري والاسطول الجوي والقلاع الجسيمة والجيش النظامي والمدافع الضخمة والسريعة والمدرعات والمفرقعات والرشاشات وغيرها من الاسلحة الجديدة التي لم نملك منها شيئاً وانما كل ما كان عندنا رحابة الصدر ، والثقة بالنفس ، والحزم المتين .

ولما اعتقد الايطاليون ان القوة القهارة وحدها لا تكفي للتغلب على العرب ، وكانت هجماتهم المتوالية فاشلة في جميع الحملات في جميع الجهات ، رأوا ان يجربوا وسيلة اخرى وهي اغراء العشائر بالمال والمواعيد الخلابة التي

تعززها التهديدات ، فلم ينجحوا ايضاً . لان قوة الايمان والصلابة الوطنية اللتين كانت العشائر تتجلى بها ارفع من ان تخضع لاي تأثير كان .

خاتمة حرب طرابلس الغرب

دول البلقان تعلن الحرب على الدولة العثمانية

تشرين الاول ١٩١٢

ولما رأت الدول الصغيرة المجاورة كالصرب ، واليونان ، و بلغاريا ، والجبل الاسود ، الطامحة ببعض اقسام الامبراطورية العثمانية انشغال الحكومة العثمانية بحرب الطليان ، اغتنمت هذه الفرصة للاجهاز على الفريسة فاعلنت الحرب على الحكومة العثمانية وشرعت جيوشها تغير على الحدود في جميع الجهات حتى اضطرت الحكومة العثمانية الى طلب الهدنة مع ايطاليا وتم عقد الصلح معها والتنازل عن طرابلس الغرب والرضا باستيلائها عليها بعد ان حكمها الاتراك ما ينيف على ٤٠٠ سنة .

غير ان هذه الحادثة لم تثبط عزائم العشائر السنوسيين المجاهدين فانهم بعدما نقل قواد الحكومة العثمانية وضباطها من جميع الجبهات الى الحرب البلقانية بقوا مرابطين امام العدو مع من اثار الجهاد وانفصل عن الدولة العثمانية من الضباط العرب الطرابلسيين فاعادوا تنسيق جيوشهم من جديد واحتفظوا بالاسلحة والعدد التي تركتها لهم الحكومة العثمانية لمواصلة جهادهم ودفاعهم المستميت في سبيل اوطانهم واستقلالهم ، فداموا على الكفاح ١٨ سنة ولولا نفاد الذخائر والاحوال القهارة التي الجأتهم الى السكينة لكانت الحروب مستمرة في طرابلس الى يومنا هذا .

اما نحن فقد تلقينا من حكومة استانبول امراً بوجوب العودة الى

وحداتنا في الاستانة سريعاً ، فغادرنا ميدان الحرب الطرابلسية آسفين كل الاسف لعدم استطاعتنا الاستمرار اكثر من ذلك في تلك الصحراء القاحلة بعد ان كابدنا اشد المصاعب والاهوال وانواع الحرمان مما لم يكن التغلب عليه او تذليله من الهنات الهينات .

الاياب

غادرت في ١ تشرين الثاني ١٩١٢ درنة (معسكر بني منصور) ومعي رفيقاي الملازمان : صبري المدفعي ، والسيد عيسى الوتري البغدادي ، عائدين من الطريق التي سلكناها اول مرة على متون الابل الى مصر ونحن متنكرون و بعد مسير عشرين يوماً وصلنا الى الاسكندرية ، ومنها ركبنا القطار الى بورت سعيد ، ثم الباخرة الى بيروت ، ثم القطار الى حلب وقونية فالاستانة والتحق كل منا بوحدة عسكرية .

وكانت نيران الحرب بين الاحزاب التركية يومئذ مستمرة للاستيلاء على الحكم حتى حالف النجاح الاتحاديين الذين اغتالوا ناظم باشا وزير الحربية فاستولوا وجنوا على هـذه البلاد وشتتوا شملها حتى مكنوا منها — بسوء اعمالهم — الاجانب المستعمرين وتفرقوا هاربين من بطش الشعب الذي نقم عليهم اشد النقمة لما انزلوا فيه من فوادح النكبات . وكانت الحرب بين الحكومة العثمانية ودول البلقان حامية الوطيس يومئذ وكانت ولايات سلانيك ومناستر ، وبانية ، واشقودرة ، وقوصوة ، وادرنة . قـد اجتاحها البلقانيون والجيوش العثمانية موزعة اشتاتاً في ميدان البلقان منقطعة المواصلات ، تحارب الصرب واليونان في قلب البلقان ، فكان الميدان الرئيسي اي خط الدفاع استانبول في موقع جتالجه ، وكانت جيوش البلغار واليونان توالي هجماتها على

هذه الساحة ولكنهم لم يقووا على خرقها لرصانتها ومنعة موقعها تستند من جناحيها الى البحر ، ويساعدها الاسطول التركي من كلتا الجهتين على العدو ، لذلك دامت الحرب البلقانية مدة ثمانية شهور ، ومن حسن الحظ ان الطمع دب دبيبه بين الحلفاء المهاجمين من اجل تقسيم الاراضي الواسعة النطاق التي ما كانوا يحلمون بالظفر بها وقد نشبت هذه اللقمة الكبيرة في حلوقهم فتنازعوا عليها وتركوا العدو وقام بعضهم يناضل بعضاً ، فتيسر بذلك للحكومة العثمانية ان تنتفع من نزاعهم ، فسيرت جيشاً كثيفاً من ميدان جتالجة الى ولاية ادرنة فاعادها الى حضانتها ، ثم عقدت الهدنة بين الدول البلقانية بعد ان تركت لها خمس ولايات في القارة الاوربية عظيمة وعامرة تعتبر من اهم ولايات المملكة العثمانية واغناها .

عهد نشاط الاحزاب والانقلابات

التي حصلت في العاصمة العثمانية في الاستانة

بينما كانت وزارة كامل باشا منشغلة في المفاوضات مع دول البلقان المحاربة انتهز الاتحاديون هذه الفرصة فدبروا مؤامرة خطيرة لتنحية هذه الوزارة من الحكم والتخلص من كل رجل فيه جوهر يحول دون مطامع الاتحاديين فاغتالوا ناظم باشا وزير الحربية في اواخر كانون الثاني سنة ١٩١٣ . اغتاله انور بك في رابعة النهار وهو قائم بأعماله الرسمية في الباب العالي (وكنت من الشاهدين لهذه الرواية القاسية) فتمكن الاتحاديون من الاستيلاء على رئاسة الوزارة وتولية الفريق محمود شوكت باشا رئاسة الوزارة ، وكان الشعب يحترمه ويجله لخدماته التي قام بها ايام الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ ولما اسدى للامة في جميع عهود حياته من الاعمال الصالحات ، وفي

٣٠ مايس سنة ١٩١٣ وقعت الدول المحاربة على مقدمات الصلح فى قصر سن جيمس بلندن .

وكان محمود شوكت باشا رحمه الله يعمل جهد طاقته ليجعل من الدولة العثمانية المرتبكة المستضعفة دولة قوية تحيا في ظلال السعادة والامن ، غير ان الاتحاديين كانوا يراقبونه مراقبة دقيقة ويحسبون لنتائج اعماله الف حساب، لانهم لا يروقهم ان يرأس الشعب التركي عظيم كمحمود شوكت باشا العراقي فدبروا له مع طائفة من بطانتهم مكيدة خبيثة لا نجد حاجة الى بيان تفصيلها لانها اشهر من نار على علم .

وكثير من المطلعين ذكرها بالتفصيل فاغتالوه في ١٢ حزيران سنة ١٩١٣ على مشهد من الشعب في اهم شارع من الشوارع العامة في الاستانة متناسين خدماته للبلاد وصدقه في اعماله واخلاصه فى وطنيته ، وقد اتخذوا قتله ذريعة للانتقام من المعارضين لخططهم فاتهموه فيما اعلنوه للشعب ، بهذه الجريمة ، فاستطاعوا بهذا التمويه على الناس ان يحطموا حزب الائتلاف ومن يتبعه من الانصار ، وتم لهم ما كانوا يريدون ، وقد يجوز ان محمود شوكت لم يقتله الاتحاديون مباشرة وان الذين قتلوه انصار البرنس صباح الدين المعارض ، لانه كان يريد التخلص من نفوذ محمود شوكت باشا ليخلو له الجو وحده وحيث ان هذا الامر يروق الاتحاديين الذين هم ايضاً يريدون ازاحة امثال هذه الشخصية فقد رغبوا فى قتله وافسحوا للمجرم المجال ليستفيدوا منه في التنكيل بأعدائهم ، غير ان حيلهم هذه لم تفت الشعب الذي كان يقدر محمود شوكت باشا حق قدره ويعرف اخلاصه للبلاد ، فظهرت حقيقة الامر وعلم القاصي والداني بمؤامرة الاتحاديين الذين كانوا يحسدونه على مركزه الكبير بين الشعب ، وقد ايد ذلك لي ولغيري علي رضا باشا الالباني قائد

الفيلق الخامس عشر بحضور فريق من الضباط يوم كنا معه في الشام سنة ١٩١٨ فقال لنا ونحن عنده في المقر العام (وكان المقر نزل داماسكس بالاس في دمشق) بان جريمة اغتيال محمود شوكت باشا دبرت بتواطوء الاتحاديين تخلصاً من نفوذه ، وبرهن على ذلك بمشاهدته جمال باشا (محافظ الآستانة) في غرفة محمود شوكت باشا حين اغتياله و بيده الناظور يشرف به على موضع الجريمة ، وهو لا يبعد عن هذه الغرفة التي هي مقر وزير الحربية اكثر من ٨٠٠ متر .

وزاد فقال : ان جمال باشا قد استغل مغادرة محمود شوكت باشا لغرفته فدخلها لانها وحدها كانت تطل على موضع الجريمة ليبصر جريمة اغتياله وقال ان احد الضباط اتاه مهرولا الى هذه الغرفة فدخل عليه مذعوراً و بشره باتمام الجريمة دون ان يلتفت الى من في الغرفة ، ولعله اغتر فظن علي رضا باشا من المقربين او من انصار الاتحاديين ، ولكن جمال باشا لم يمكن هذا الضابط ان يتم حديثه فاسكته باشارة بينهما وشرع يأمر بتوقيف زعماء الائتلافيين بحجة ان القتل قد حدث من قبلهم ضد الاتحاديين وكان من جملتهم (الدماد) صالح باشا الذي شنق ، ثم ظهرت اشاعات اخذت الافواه تلوكها في ذلك الحين من مصادر موثوقة تؤيد نسبة الجريمة الى الاتحاديين . وهكذا قضى الاتحاديون بحياتهم الشيطانية على كل رجل يوجسون منه خيفة على سياستهم مهما كان مركزه واستطاعوا بقساوتهم وفتكهم بالرجال ان ينفذوا برامجهم على نحو مايشاؤون .

في العراق سنة ١٩١٢

لم تنشط الحركة العربية في قطر عربي مثل نشاطها في العراق ، تولي



معالي مزاحم بك الباجه جي

قيادتها الشباب المثقفون فيه فكانوا عمادها ولولبها ، ففي اوائل سنة ١٩١٢ هبط على العراق من الاستانة جماعة من الضباط العراقيين والتلامذة نفخوا في الشباب روح النهضة والمطالبة بحقوق البلاد ، وكان في البصرة السيد طالب بك النقيب يعد قطب الرحى وزعيم الحركة على الاطلاق ، وكان من اقوى مظاهر اليقظة العربية في العراق النادي العلمي الوطني فهو برغم صبغة العلم ونشر الآداب يعتبر نادياً سياسياً بل مجتمعاً قومياً لرجالات العراق ، اسس هذا النادي مزاحم الباجهجي ، وحمدي الباجهجي ، وبهجت زينل ، وابراهيم حلمي العمر ، ويوسف عز الدين من ضباط جيش الاحتياطيين . وكان يمد هذا النادي بالمال السيد طالب النقيب وغيره من الزعماء ، ولم يكن الاتحاديون يخشون حزباً سياسياً خشيتهم النادي الوطني العلمي الذي التفت حوله القلوب واشرأبت نحوه الاعناق ، وكان هذا النادي على اتصال وثيق بجميع الجمعيات السرية العربية المنتشرة في الاناضول وسوريا والحجاز ومصر .

وقد انشأ النادي جريدة تنطق بلسانه اسماها « النهضة » وكان صاحبها مزاحم الباجهجي ورئيس تحريرها ابراهيم حلمي العمر ، فكان لها دوي هائل لا في العراق فحسب بل في جميع الاقطار العربية حتى في الاستانة نفسها خاف الاتحاديون امرها فاستصدروا من مجلس الوزراء العثماني قراراً بتعطيلها الى اجل غير مسمى ، وحاولوا القبض على مزاحم الباجهجي وابراهيم حلمي العمر ، ولكنهما لاذا بالفرار الى البصرة اذ كان النفوذ العربي يعلو كل نفوذ . وكانت معظم صحف بغداد تناصر الحركة العربية عدا جريدة الزهور التي كانت تعتبر لسان حال الاتحاديين . ومن جملة الجرائد المناصرة الرياض ومصباح الشرق في بغداد وجريدة الاوقات في البصرة وهي لسان حال

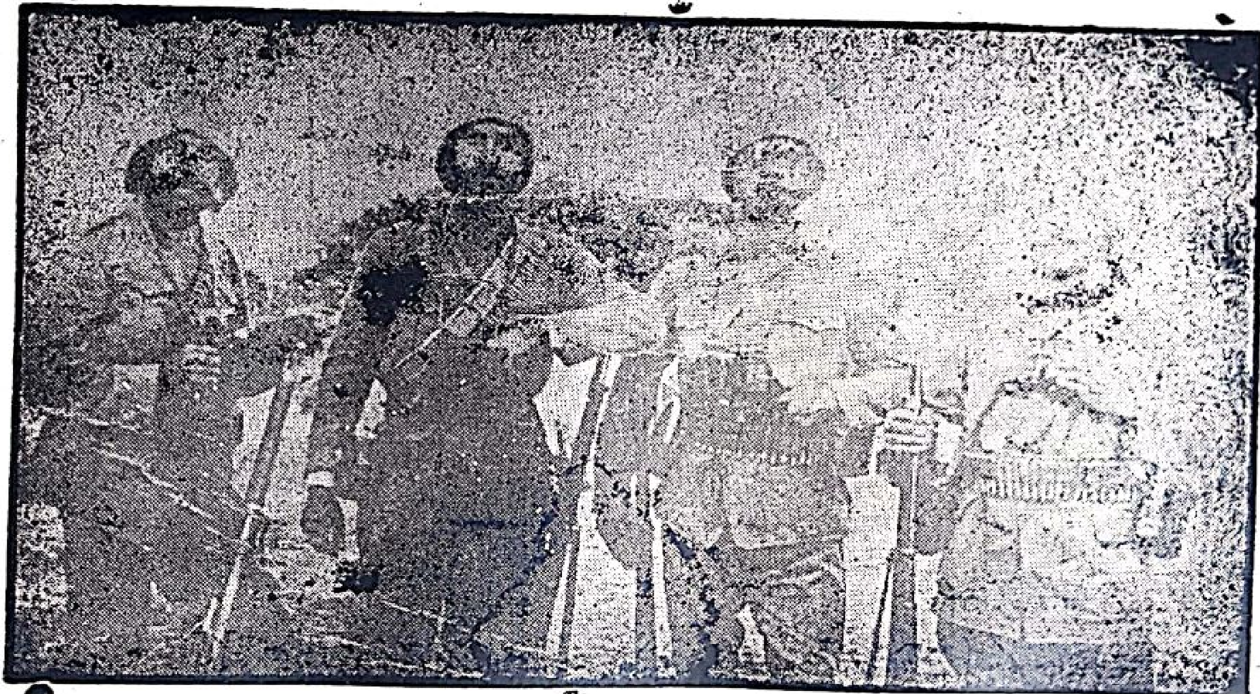
السيد طالب النقيب الذي كان يدعم نفوذه شباب العرب. وامير المحمرة وامير الكويت وامير مسقط حتى ابن السعود .

وفى الوقت الذى كان النادى العلمي الوطني يتظاهر بانه ناد علمي بحت غايته نشر الثقافة وتعليم اللغات ، كانت تعقد فيه اجتماعات سرية . وقد تجلت اهمية النادى العلمى الوطني وخطورة شأنه من الوجهة السياسية فى الاجتماعات التي عقدها علناً لمناهضة مشروع اصفر الصهيوني ، ولتأييد نادى الاصلاح فى بيروت ، والاتصال بالمؤتمر العربي في باريس فقد ابرق رجاله الى المؤتمر بواسطة توفيق السويدي العضو العراقي فيه منددين بسياسة الاتحاديين ومطالبين للامركزية الواسعة للبلاد العربية .

وكانت الاجتماعات تعقد على التوالي في دار يوسف السويدي ، وكان ابنه ثابت ، الذي اغتاله الاتحاديون فى اثناء مذابح الارمن وهو قائم مقام فى بعض اقضية ديار بكر ، يلهب الحماسة في الصدر بما اوتي من ذلاقة لسان وقوة جنان . ولعل من اهم الوقائع التى روعت الاتحاديين حادثة جرح الزعيم (المير آلاي) احمد بك قائد الدرك في بغداد واحد اساطين الاتحاديين ، جرحه عبد المجيد كنه الذي كان يعد من اقوى شباب العراق واكثرهم حماسة . وقد تجلت وطنيته وحماسته ايام الاحتلال البريطاني حتى افتدى وطنه بدمه الطاهر ، وقد حسب الاتحاديون حساباً دقيقاً للمرحوم السيد طالب النقيب فأوفدوا الى البصرة المير آلاي ضابط الركن فريد بك و بديع نوري بك متصرف المنتفك لاغتياله او ارساله مكبلا بالاغلال الى بغداد ، ولكن السيد طالب تغدى بهما قبل ان يتعشيا به ، فكان لذلك دوي هائل في العراق والاستانة ودلت هذه الحادثة على قوة النهضة العربية وتهيؤ العرب للثورات والقلاقل ، على ان الاتحاديين على ما اصابهم من محن



الضباط العسكريون في حرب طرابلس الغرب والثاني من اليمين المؤلف تحسين العسكري ومعه ثلاثة ضباط مصريون وهم من يسار المؤلف حافظ امين الاسكندراني وعن يمين المؤلف الصاغ عبدي والملازم محمد سلامة



مقر قيادة الجيش العثماني في حروب طرابلس الغرب سنة ١٩١٢ في درنه
وفى الوسط القائد العام انور بك والضباط العرب المجاهدون حوله

وارزاء في حرب البلقان ، وفي حرب طرابلس ، وفي نضالهم مع الائتلافيين ، كانوا يتربصون بالعرب الدوائر ، ولاسيما في العراق ، يعدون عليهم الانفاس ، ويعدون المعدات للقضاء عليهم عندما تحين الفرص ويأزف الوقت ، فلقد دبروا مكيدتهم ليوسف السويدي عضو مجلس الادارة ، ولابراهيم حلمي العمر ، فنفوه الى بيتليس على اثر عودته من البصرة ، وشتتوا شمل الضباط والمفكرين العرب بمختلف الوسائل والسبل .

بعد حرب البلقان سنة ١٩١٣

وفي نهاية الحرب البلقانية اعلن الالبان استقلالهم وانفصالهم عن الامبراطورية العثمانية ، والفوا حكومتهم الوطنية .

وبعد ان تم الصلح مع الحكومات البلقانية ، وتنفست الحكومة العثمانية الصعداء من غوائل الحرب الخارجية ، رأت الاحزاب العربية ان الوقت قد حان للسير بالقضية العربية ، فشرعت الجمعيات توالي عقد اجتماعاتها وتنظيم مناهجها وتوحيد صفوفها لحمل الحكومة على تنفيذ رغائب العرب ، وباشرت الجمعيات العربية تبث الدعاية في الاقطار العربية وتأسست الجمعية الاصلاحية بمصر وفروعها في بيروت والبصرة ، وكان السيد طالب باشا النقيب قائماً بتعضيد فرع البصرة ، واسس مزاحم الامين الباجه جي المحامي يؤمئذ النادي العلمي ببغداد ، واصدر جريدة باسم « النهضة » للغاية نفسها ، وقد حاول الاتحاديون ان يقضوا على هذه النهضة فخبطت مساعيهم .

ونذكر الآن اعمال المؤتمر العربي بباريس وخططه التي تتفق ومبادئ جمعية العهد في الاستانة :

اول مؤتمر عربي في باريس

١٨ حزيران سنة ١٩١٣

اجتمع المؤتمر العربي[١] في قاعة الجمعية الجغرافية بشارع سن جرمن برئاسة عبد الحميد الزهراوي ، فدامت الاجتماعات خمسة ايام متعاقبة ، وقرر في الجلسات مايلي :

١ــ ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب ان تنفذ سريعاً .

٢ــ من المهم ان يكون مضموناً للعرب التمتع بحقوقهم السياسية ، وذلك بأن يشتركوا في الادارة المركزية فعلياً .

٣ــ يجب ان تنشأ في كل ولاية عربية ادارة لا مركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها .

٤ــ المطالبة بتنفيذ المطاليب التي قدمتها ولاية بيروت بلائحة خاصة مصادقة في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩١٣ باجماع الآراء .

٥ــ اللغة العربية يجب ان تكون معتبرة في مجلس النواب العثماني ، وان يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية .

٦ــ تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية ، الا في الاحوال التي تقتضي الاستثناء .

٧ــ رغبة المؤتمر الى الحكومة العثمانية ، ان تكمل لمتصرفية لبنان وسائل ماليتها .

---

(١) القضية العربية لاحمد عزت الاعظمي .

٨— يظهر المؤتمر ميله الى مطاليب الارمن العثمانيين القائمة على اساس اللامركزية .

٩— سيجري تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية .

١٠— وتبليغ هذه القرارات ايضاً للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية ، و يشكر المؤتمر الحكومة الفرنسية شكراً جزيلا لترحيبها بضيوفها .

وقد بلغ المؤتمر العربي السفارة العثمانية في باريس مقرراته ، وارسل معها كتاباً هذا نصه :—

ياصاحب الدولة

انفاذاً للقرار الذي اصدره المؤتمر العربي يوم ٢١ حزيران سنة ١٩١٣ نتشرف بأن نرسل الى دولتكم كتابنا هذا نسخة من القرارات التي صدق عليها هذا المؤتمر راجين أن تتفضلوا باطلاع الحكومة العثمانية عليها واقبلوا فائق الاحترام .

الرئيس

عبد الحميد الزهراوي

السكرتير	نائب الرئيس
شارل دباس	شكري غانم

بعد مؤتمر باريس

لما رأى الاتحاديون النهضة العربية آخذة بالازدياد والنشاط ، وان فكرة الاتصال قد انتشرت في جميع الاقطار العربية التابعة للامبراطورية العثمانية لم يروا سبيلا الا التقرب من زعماء العرب البارزين ، واستمالتهم الى جانبهم ، ليسهلوا لهم مهمتهم ، وهي تشتيت اواصرهم بأساليب شتى ، فتمكنوا من استمالة الزعيم عبد الحميد الزهراوي ، والزعيم عبد الكريم الخليل معتمد

المنتدى الادبي ، فأغفلوهما بالمواعيد الخلابة ، وعينوا الزهراوي عضواً في مجلس الاعيان ، وطفق هذان يذيعان البشائر بنجاح القضية ، ولكن مرت ايام وشهور عديدة على هذه الوعود لم ينفذ شيء منهـا ، ولما ايقنت الاحزاب العربية بتسويفات الاتحاديين ضاعفت نشاطها واستأنفت نضالها ، وقدم رفيق العظم رئيس حزب اللامركزية في القاهرة ، الى الحكومة العثمانية ، (في ٩-١٠-١٩١٣) مطاليب تنحصر في :

١- حرية الشعب في انتخاب مجلس الولايات ومجلس النواب وغيرهما وتنفيذ قرارات المجالس العمومية .

٢- وحريته في امور المعارف ، وان تناط ادارتها بالمجالس المحلية مباشرة ، وان يكون التعليم كله باللغة العربية .

٣- وحريته في امور (الاشغال) والشؤون الاقتصادية ، بأن تكون جميع اعمالها في ايدي المجالس المحلية ، الا مايتعلق بالسياسة الخارجية او الحربية ، فللمجالس العمومية في هذا حق الرأي المحترم فقط ، واما حق التنفيذ فمن خصائص الحكومة العليا فى العاصمة ، وعلى كل حال لايجوز اعطاء امتياز في الولاية بانشاء طريق او استخراج معدن او عمل زراعي ولا بيع ارض اميرية ونحو ذلك من الشؤون المحلية الا بقرار من مجلسها العمومي.

٤- اعتبار اللغة العربية رسمية في جميع الولايات العربية ، بأن تكون جميع معاملات الحكومة بها في هذه الولايات ، والا يقبل فيها موظف الا من اهلها الذين يحسنونها قولا وكتابة .

واما الاستانة فقد نشطت الحركة العربيـة بكل شدة وحماسة ، فقرر عزيز علي بك المصري وجوب انذار عبد الحميد الزهراوي بالكف عن الدعاية للحكومة ومغادرة الاستانة الى سورية ، واوفد الضباط العراقيون

جميل المدفعي ويوسف العزاوي وسعيد التكريتي الى عبد الحميد الزهراوي ، فأنذروه ، فوافقهم خوفاً ورعباً منهم ، وعلى اثر ذلك تم تأسيس الجمعية السرية العسكرية ، التي اسسها عزيز علي بك المصري في الاستانة ، بمعاضدة ضابط الركن المقدم سليم الجزائري ، وضابط الركن الملازم نوري السعيد البغدادي ، وذلك في تشرين الاول سنة ١٩١٣ باسم (جمعية العهد) ، فانضوى اليها كثير من الضباط العراقيين، منهم جميل المدفعي ، وطه الهاشمي ، ويوسف العزاوي ، وسعيد التكريتي ، وصبيح نجيب ، وانا ، ونوري فتاح ، وآخرون لا اتذكر اسماءهم، ومن الضباط السوريين ، ضابط الركن مصطفى وصفي، ويحيى كاظم ، وتوفيق الجندي ، ومحيي الدين الجبان ، وامين لطفي ، وعلي النشاشيبي ،ومن ضباط عرب طرابلس الغرب محمود حلمي ، وصبحي ، ومن الملكيين مزاحم الامين ، وعبد الكريم الخليل ، وعاصم الجلبي ، واسماعيل الصفار الطبيب ، واسعد داغر، وفائق شاكر الطبيب، وثابت عبد النور ، وغيرهم من الذين التحقوا بها بعد ذلك في الاقطار العربية ، وسيأتي ذكرهم . اما الاتحاديون الذين كان زمام الحكم في ايديهم ، فقد اتخذوا قراراً اصدرته الوزارة ، يتلخص في :

١ــ ابعاد الضباط العرب المقيمين في الاستانة الى مختلف البلاد التركية .

٢ــ تولية الضباط الاتراك القيادات العليا في البلاد العربية ، والاستغناء بقدر الامكان عن الضباط العرب في المناطق العربية .

٣ــ تنفيذ سياسة تتريك العناصر .

٤ــ مقاومة الحركة الاصلاحية التي بدأت في مؤتمر بيروت ومؤتمر باريس .

٥ــ الغاء الاحزاب العربية ، وتأليف شعبة سياسية في وزارة الداخلية

تشرف على الشؤون العربية ، ومقاومة دعاة الانفصال عن العرب .

٦ــ ابعاد من في الاستانة من العرب الذين يعملون ضد الحكومة .

٧ــ تقوية نفوذ جمعية الاتحاد في البلاد العربية وتكثير اعضائها .

هذا ما قرره الاتحاديون ، فلما وقف شباب العرب على هذه المؤامرة وثقوا ان الاتحاديين لا يمكن ان تصدق وعودهم ، وانهم لا يبغون الا السوء للعرب .

وقد ادرك عزيز بك علي المصري نيات الاتحاديين السيئة ضد الضباط الداعين للقومية العربية ، فاستقال من منصبه (وهو برتبة مقدم ضابط ركن في الجيش) ، وانصرف الى الاشتغال بالقضية العربية بكل جد ونشاط ، فأمرت الحكومة دائرة الشرطة بمراقبته ، اذ كانت داره ملتقى الشبان الضباط ، فأخذت الجواسيس تحوم حولها وتقدم تقاريرها الى الحكومة حتى ساورها القلق من اجتماعات هؤلاء بعزيز علي بك ، فرأت ان تنتقم منه شر انتقام ، وقد شجع هذه الفكرة ما كان يبطنه انور باشا من عداء شديد لعزيز بك ، منذ حرب طرابلس الغرب ، اذ كان يزاحمه على الزعامة في(ليبيا) فقبضت الشرطة عليه في شباط سنة ١٩١٤ واحالته على الديوان الحربي بتهمة خيانة الامانة في اموال الحكومة ، وسوء سياسته في طرابلس الغرب ، وانه اهان الضباط الاتراك واجبرهم على الرجوع الى بلادهم من ساحة الحرب، وقد تمكنت الحكومة بواسطة شهود كاذبين قدمتهم الى المحكمة من اتهام عزيز بك بالخيانة العظمى للتخلص منه بأي اسلوب كان ، فأحدث اعتقال عزيز بك تأثيراً سيئاً في نفوس العرب في الاستانة ، وفي الاقطار العربية جمعاء ، ورفعت الاحتجاجات والبرقيات واقيمت المظاهرات كما اقيمت بمصر مظاهرة طلب القائمون بها السلطان رشاد انقاذ هذا البطل من بد



جعفر باشا العسكري قائد الثورة العربية العام

الظالمين . ولما رأى الاتحاديون حراجة الموقف ، اوعزوا الى الحكومة بالاكتفاء بنفيه خارج البلاد التركية .

وبعد ان عين عبد الحميد الزهراوي عضواً في مجلس الاعيان ، زاره الملازم يوسف العزاوي العراقي ، بمناسبه تحويله الى وظيفته الجديدة بحلب ، وكان من الحاضرين في مجلس الزهراوي عبد الكريم الخليل ، (معتمد المنتدى الادبي) ، والنائب سليمان البستاني ، وبعد قليل انصرف البستاني فدار الحديث ما بينهم حول نيات الاتحاديين ، وكان الزهراوي والخليل مصرين على حسن ظنهما بهم حتى اثارا غضبه فأسمعهما كلمات قارصة ، وبين لهما سوء عاقبتهما في اول فرصة تسنح للاتحاديين للبطش بزعماء العرب . وفي الحقيقة انه لم يمض عامان حتى صدق هذا التنبوء فشنقهما الاتحاديون على مشهد من الناس بعد اعتقالهما في عالية ، بأمر جمال باشا السفاح .

في حلب

بعد انقضاء الحرب البلقانية ، اخذ الضباط يرحلون الى وحداتهم ، فسافر في كانون الاول سنة ١٩١٣ الرئيس جعفر العسكري الى حلب ، فأنشأ فرعاً لجمعية العهد وشرع يضم اليها من يرى فيهم الكفاية ، في الجد والعمل من الضباط وممن عمل فيها الملازم يوسف العزاوي ، والرئيس جميل لطفي ، والملازم سعيد التكريتي من العراقيين ، وضابط الركن يحيى حياتي ، ولطفي من السوريين ، ثم مازالت تنمو على مر الايام ، وكان لامير اللواء علي رضا باشا الركابي قائد فرقة حلب ، علم بتأسيس هذه الجمعية ، ولكنه لعروبته كان يعطف عليها ويعاضدها في السر جهد الطاقة ، وكان اول من استعمل العلم العربي المنشود (رغم الاتحاديين) في حلب الملازم يوسف العزاوي

البغدادى ، فصبغ دائرته الرسمية فى (السبيل) بالالوان الثلاثة : – الاسود والابيض والاخضر ، فلفت ذلك انظار كثيرين من العرب الذين كانوا يتخيلون العلم العربي و يطمحون الى رفعه على البلدان العربية ، وقد كانت الدعاية الى توحيد الاقطار العربية ، وجعل الالوان الثلاثة رمزاً لها منتشرة بين الضباط ولما بلغ الخبر رضا باشا الركابي رجا جعفر العسكري ان يوعز الى يوسف العزاوي بتبديل هذه الالوان ، خشية ان يتخذها الاتحاديون وسيلة للبطش بضباط العرب ، ولكن يوسف العزاوي ابى ذلك و بقي مصراً على فكرته ، ومجازفته على ان الركابي رأى ضرورة ازالة هذه الاصباغ فجاء الى الثكنة في (السبيل) وطلب رسمياً من آمرها يوسف العزاوي ان يزيل هذه الالوان ، ومضت ايام ولم ينفذ الامر ، فاعتقله اربعة ايام . وبالرغم من ذلك كله بقيت الوان العلم العربي ثابتة اربع سنوات اخرى ، حتى احتلها الجيش العربي فى تشرين الثاني سنة ١٩١٨ .

فى الموصل

وتألف فى الموصل فرع آخر لجمعية العهد في آخر سنة ١٩١٣ ، وكان اعضاؤه من العراقيين : ضابط الركن المقدم ياسين الهاشمي ، والضباط مولود مخلص ، وعلي جودة ، وعبد الرحمن شرف ، وعبد الله الدليمي ، وشريف الفاروقي ، ومجيد حسون . ومن السوريين الرئيس توفيق المحمود ، والرئيس حسن فهمي ، وضابطين اثنين آخرين . وكان مركز الجمعية ينتقل حيناً في دار مولود مخلص ، وحيناً آخر في دار شريف الفاروقي ، وكانت مراسلاتها مع الاستانة و بغداد على اتصال واستمرار ، وكان اول من انتدبتهم الجمعية فى الاستانة ضابط الركن الرئيس الاول طه الهاشمي ، والملازم جميل المدفعي ،



سعادة مولود باشا مخلص



الضابط يوسف بك العزاوي

وبقيت هذه الجمعية قائمة ببث الدعاية لتوحيد المساعي والتضامن ، حسب منهاج الجمعية ، فكانت جد موفقة في جميع اعمالها الهادئة الرزينة .

فى بغداد

فى كانون الاول سنة ١٩١٣م ، عين امير اللواء جاويد باشا والياً على بغداد ، وقائداً للفيلق الرابع في العراق ، فكان تعيينه خير فرصة سانحة للضباط العراقيين في الاستانة ، للالتحاق به ، والسفر الى الوطن العزيز ، فاستغللنا لذلك مرافقة الرئيس حقي بك ، وكانت لنا معرفة سابقة به ، فحمل الباشا على نقل خدماتنا من وزارة الحربية ، فنقل فوجاً من المشاة من الاستانة ، على ان تكون السفرة في احدى البوارج الحربية العثمانية المسماة « مسعودية » ، فوافقت الوزارة على ذلك ، لان الغاية من تعيين جاويد القضاء على الحركة العصيانية ، التي قام بها ابن السعود فى نجد ، والسيد طالب النقيب فى البصرة ، ولكن لما علمت السفارة البريطانية بسفر الباخرة الحربية الى البصرة ، وقد شاع انها انذرت الحكومة العثمانية ، بأن الحكومة البريطانية لا يوافقها دخول بارجة حربية الى خليج البصرة ، فامتنعت الحكومة العثمانية المستقلة ، (التي كان يدير دفتها الاتحاديون) ، اتخذنا البحر سبيلا ، فعدلنا عنه الى البر ، وفي اواخر كانون الاول سنة ١٩١٣ ، سافرت من الاستانة مع جاويد باشا والملازمين تحسين علي ومحمود بعقوبة ، عن طريق بيروت — حلب — دير الزور ، وفي ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩١٤ ، وصلنا بغداد ، فأنشأنا سراً فرعاً لحزب العهد فيها ، فانضوى اليه الضباط تحسين علي ، وعبد الحميد الشالجي ، وعبد الغفور الشالجي ، وحمدي الباجه جي ، وابراهيم حلمي العمر ، وعلاء الدين النائب ، وعبد الرزاق الخوجة ، والحاج

محيي الدين السهروردي . وكانت الاجتماعات تعقد مرتين في الاسبوع ، حيناً في دار عاصم الجلبي ، وحيناً آخر في داري ، وفي دار عبد الحميد الشالجي ، وكان رشيد الخوجة ضابط ركن الفيلق يومئذ على علم بالجمعية واعمالها ، فكان من معاضديها ، وكذلك ضابط الركن المقدم طه الهاشمي ، كان من المنتمين اليها ، ولما مر من بغداد في طريقه الى اليمن اجتمع بأعضائها في بغداد .

في البصرة

وقد اشتدت الحركة في الموصل ، وحلب ، و بغداد ، والبصرة ، والشام ، على اثر نفي عزيز علي المصري الى مصر في شباط سنة ١٩١٤ ، وهرب نورى السعيد ، وعبد الله الدملوجي من الاستانة ، في اواخر شهر نيسان ١٩١٤ ، نشطت اعمال جمعيات العهد في جميع المناطق ، وقبل ان يغادر نوري السعيد الاستانة ، قابله الضابط يوسف العزاوي ، فنصحه بالعدول عن رأيه ، خشية ان يصيبه واسرته الاذى ، فأجابه انه عازم على انقاذ بلاده من نير الاستبداد والجفاء ، فلا يضيره ما يصيبه في هذه السبيل من الرزيئة بالاهل او النفس او المال ، وتأهب في دار احد اعضاء الجمعية ، الدكتور اسماعيل الصفار ، وهرب نورى السعيد الى مصر ، فالتقى بعزيز علي المصري ، فقررا ضرورة القيام بالدعاية الواسعة النطاق للقومية العربية ، و بذل كل مافي الوسع بذله ، من الجهود المثمرة ، والاعمال المنتجة ، في الاقطار العربية ، ولاسيما في نجد ، والعراق . وابحر نورى السعيد الى البصرة ، مع عبد الله الدملوجي ، فقابل السيد طالب النقيب ، ثم حضر بغداد متنكراً ، فاستخفى فيها اربعين يوماً في دار حميد الشالجي ، (اللواء حميد الشالجي الآن) ؛ وهو يجتمع في السر بالرجال الذين يجب ان يتصل بهم ، امثال العالمين الفاضلين : — الشيخ

سعيد وعبد الوهاب النائب ، وحمدي الباجه‌جي ، وغيرهم من المخلصين ، كانت نجد يومئذ معادية للحكومة العثمانية ، فرأى والي بغداد ان يعين متصرفاً جديداً للواء الاحساء ، وامر الملازم تحسين علي ليرافقه ، فاستراحت الجمعية الى ذلك لتقوي اواصر العلاقة بابن السعود ، وتوسيع نطاق الجمعية في جزيرة العرب ، وايدت الجمعية في بغداد تحسين علي ، وزودته بما يحتاج اليه من التعليمات ، واوصته ان يكون على اتصال مستمر بنوري السعيد ، وقد عاد نوري السعيد الى البصرة متنكراً ، وما كاد يصل تحسين علي الى البصرة حتى اعلن النفير العام في آب سنة ١٩١٤ ، فتوقفت هذه الحركة .

حل نوري السعيد فى البصرة ضيفاً فى دار نوري القاضي ، وحضر البصرة من الموصل الملازم عبد الرحمن شرف ، موفداً من جمعية العهد هناك ، ليتصل بفرع البصرة الذي كسب شأناً عظيماً ، وقررت الجمعية ايفاد الملازم المدفعي فؤاد محمود البغدادي الى مسقط ، لتوطيد دعائم العلاقة بها وتنبيه امراء العرب الى النزعة القومية ، وجازف مهدي الرحال ، وصبيح نجيب بوظيفتهما فاتصلا بهذه الجمعية فى البصرة .

ولكن السيد طالب باشا عارض هذا الرأي لاسباب اجهلها . ولما علم قائد الفرقة فى البصرة الزعيم صبحي بك بان الضابط مهدي الرحال يقطن البصرة بدون مهمة رسمية ، امر باعتقاله في الثكنة ، فارسلت الجمعية اليه الضابط عبد الرحمن شرف ومعه حلة مدنية يرتديها ليهرب من معقله فى الثكنة ، وقد تم الامر وهرب الضابط مهدي الرحال ، ولما رفض طالب باشا الايفاد الى ابن السعود ، ذهب الوفد الى مسقط مؤلفاً برئاسة نوري السعيد وعضوية الضابط مهدي الرحال ، وفؤاد المدفعي ، وصبيح نجيب العزي ، فقابلوا السلطان تيمور بن فيصل ، ولكنهم على ما وجدوا من ترحيبه بهم ،

لم يتمكنوا من عمل شيء واسع معه ، لانه كان محاطاً بالجواسيس ، وكل ما استطاعوا هو ابقاء الملازم فؤاد لدى السلطان تيمور ليؤلف به جيشاً نظامياً ، ويبث الدعاية للوحدة العربية ، وانقاذها من النير الاجنبي ، واناط السلطان تيمور القيادة النظامية بعهدة الضابط فؤاد ، فاستطاع ان يؤلف له بطرية جبلية وفصيلا من الرشاش وفوجاً من المشاة ، وكان الامل قوياً بأن يكون ذلك نواة الجيش العربي المستقل ، و بعد ان بقي الوفد خمسة وعشرين يوماً في مسقط ، تلقى برقية من الجمعية في البصرة تقضي بعودتهم اليها ، فعاد الوفد بعد ان بقي الضابط فؤاد وحده ليقوم بمهمته حسب التعليمات التي تلقاها من رئيسه نوري السعيد ، وذلك على اثر اعلان النفير العام العثماني ، والعفو العام عن المجرمين السياسيين ، وقد رأت جمعية العهد في العراق ان توقف اعمالها ريثما ينجلي الموقف وتسفر الحرب العظمى عن نتيجتها . اما نوري السعيد فقد بقي في قصر السيد طالب النقيب في البصرة يراقب الوضع عن كثب .

اما الدكتور عبد الله الدملوجي ، فقد اوفدته الجمعية الى نجد ليقوم بالدعاية اللازمة للوحدة العربية لدى اميرها ابن السعود ، و بقي في نجد الى ما بعد الحرب العظمى .

الحرب العظمى سنة ١٩١٤

نشر في العالم كتب وابحاث كثيرة في اوصاف المعارك التي نشبت في العراق بين الاتراك والانكليز ، ولما كان للعرب عامة وللعراقيين خاصة ، النصيب الاكبر في هذه الحروب ، اني اشتركت فيها فعلا ، او سمعت انباءها على كثب كي يتيسر للمؤرخين الاطلاع على ما فاتهم ذكره من الحوادث ، وسأذكر من خواطري ومشاهداتي ما استعرضته وانا في مقر الجيش العثماني

السادس فى العراق ، وفى حصار الكوت ، وفىمقر الجيش السابع في سورية .

اسباب الحرب العظمى

قبل ان تنشب الحرب العظمى ، كانت الدول العظمى انشطرت فى سياستها الى شطرين ، يتبعها بعض الدول الصغيرة فى القارة الاوربية ، وكان بعضهما يتربص الفرص للايقاع بالآخر ، اما الزمرة الاولى فهي دول الائتلاف (انكلترة ، وفرنسة ، وروسية) . واما الاخرى فهي دول الاتفاق (المانية ، والنمسا ، والمجر ، وايطالية) . وكانت الافكار العامة مضطربة قلقة من المصير تستشعر اضطرام نيران الحروب واصطلائها ، وكانت الدول جميعاً تتوثب للحرب وتنتهز الوسائل لاثارتها ، فكان ما ارادوه :

اذ قتل فى ٢٨ حزيران سنة ١٩١٤ ولي عهد النمسة فى سراجيفو (سراي بوسنه) عاصمة بوسنه فاستغل ذلك الطرفان ، واوقدا نار الحرب فأعلنت النمسة ، والمجر في ٢٨ تموز سنة ١٩١٤ محاربة صربية (يوغوسلوفيا) واعلنت بريطانة في ٤ تموز سنة ١٩١٤ محاربة المانية ، ثم انضمت اليابان ، وايطالية ، و بلجيكة ، وجبل الاسود ، ورومانية ، والبرتغال ، واليونان ، ثم اميركا الى دول الائتلاف ، وانضمت الدولة العثمانية ، و بلغارية الى دول الاتفاق .

اسباب اشتراك تركيا فى الحرب العظمى

ونصيب العرب من ذلك

هذه مقدمة موجزة استطردت اليها تمكيناً للقاريْ من معرفة تسلسل الحوادث واتصال حلقاتها ، وادع تفاصيل الحرب الاوربية ، لانهـا ليست

مما انا في سبيله من البحث ، وسآتي على ذكر بعض الحروب التركية مما له علاقة بالبلاد العربية ، ولاسيا فى المناطق التي كنت فيها .

* * *

اما الاسباب التي حملت الدولة العثمانية على الخوض فى الحرب العظمى، فلا يسعني ان ابدي فيها رأياً حاسماً ، ذلك لتبلبل آراء الناس فيها وذهابهم فيها مذاهب شتى ، غير اني اقول ، ان المانية حينما رأت الخطر يهدد حدودها الشرقية بسبب اتفاق روسية وفرنسة ، رأت ان تشغل روسيا — لابعاد بعض شرها عنها — بالقرب من الدولة العثمانية وتحريضها والانتقام من عدوتها القديمة ، فانضج الالمان هذا الرأي فى اذهان الترك ومنوهم بتوسيع رقعة امبراطوريتهم فى آسيا خلال العشرين سنة التي سبقت الحرب العامة ، وكان اهم شيء يشغل بال اركان حرب المانية ، السيطرة على الدردنيل والبوسفور وصد اسطول البحر الاسود الروسي عن اجتيازها الى البحر الابيض المتوسط ليبقى محصوراً في البحر الاسود ، ذلك لاجل ما كان يبتغيه الالمان من الاتفاق مع الدولة العثمانية ، فحسبت الدول لانضمام تركيا مع المانية حساباً عظيماً ، لانها اعظم دولة حربية فى الشرق الاوسط ، رأت ضرورة اشغال قوات الحلفاء فى القفقاس ومصر والعراق ، وكان من المحتم على انكلترة وروسية ان تعد جيوشاً كبيرة لهذه الاقطار الثلاثة .

وبعد فشل المانية فى تطبيق خططها فى جبهة فرنسة ، ازداد شأن مصر والعراق وبدأ الالمان يبذلون قصارى جهودهم لاشراك تركية معهم مهما كلفهم الامر ، فسيرت الى الاستانة البارجتين الحربيتين (غوبن وبرسلاو) اللتين كانتا في البحر الابيض المتوسط يومئذ مع بحارتهما وعددهما الكامل لتكونا عربوناً للصداقة .

فلما رأت المانية من الدولة العثمانية بعض التردد في خوض الحرب ، لادراكها وخامة العاقبة ، رأت ان تضعها تجاه امر واقع لا محيص لها عنه ، فشاع انها اتفقت سراً مع انور باشا ، الذي كان يطمح الى ان يتبوأ عرش الامبراطورية العثمانية على تسيير هاتين البارجتين الى البحر الاسود ، بحجة الكشف والاستطلاع ، ولكن الغرض الحقيقي من ذلك التحرش بروسية ، فلما بلغتا سواستبول الميناء الروسي اطلقت عليه قنابرها ، وكان يخفق عليها العلم العثماني ، فكانت هذه الظاهرة بمثابة اعلان تركية الحرب على روسية ، ولكن الدولة العثمانية لم يكن لها علم بتدبير هذه المكيدة التي اوقعتها في شرك الحرب مع روسية وحليفاتها ، واضطر البرلمان العثماني الى الموافقة على الخوض فى الحرب .

وكانت الدولة العثمانية منهوكة القوى لما اصابها من الارزاء الفادحة في السنين التي تقدمت الحرب الكبرى ، بحربها مع ايطالية في طرابلس الغرب وانسلاخ هذا القطر منها سنة ١٩١٢ ، وما عقب ذلك من حروب بلغارية ، وصربية ، واليونان ، والجبل الاسود ، وخروج البانية ، وتراقية ، ومقدونية من يدها سنة ١٩١٣ . فلما اضطرت الى خوض الحرب العظمى لم يكن لها قبل بها ، و يضاف الى ذلك خلو يدها من المال والسلاح وادوات القتال المستحدثة ووسائل النقل ، مما ادى الى تأخر تعبئة جيوشها وتسييرها الى ميادين القتال ، وحدود المملكة العثمانية تبلغ الوف الكيلو مترات .

اما وضعها البحري فكان صفراً بالقياس الى الدول العظمى ، اذ لم يكن لها اسطول في حالة يستطيع معها حماية السواحل التركية الممتدة او مراقبة بحارها ، و بعد ان خاضت تركية الحرب العالمية الى جانب المانية اناطت رئاسه اركان جيشها بعهدة الالمان الذين كانوا يديرون دفة الحرب بأنفسهم

حسبما تقتضيه المصلحة ، وكان طبيعياً ان تفشل تركية بعد هـذه الغلطة في القتال ، لكن الشعب التركي على ما اصابه لم يحطم تحطيماً ، فان خسر معظم ملكه فلم يخسر ما كان يملك من شجاعة الجنان وقوة الايمـان بحقه الطبيعي وضرورة استرجاع ما فقده ، اذ رأيناه بعد كل هذه الانحدارات ينهض فيلم شعثه ويجمع شتاته وينفض عنه غبار التعب والانحلال فيصمد بكل جـد ونشاط للهجمات الجديدة التي فاجأه بها اليونان ويدحر في عام ١٩٢٢ جيشهم في سقاريا شر دحر .

حروب العراق

لم يجابه (العراق) الحرب لاول مرة في التأريخ ، بل اعتاد ان يشهد الملأ على بطولته و بسالته في مواقف جمة على كر الازمان منذ القديم ، وقـد تناوب عليه ، بعد زوال الدولة العربية التتر والفرس الى ان احتله السلطان ياوز سليم من ايران في ١٥١٤ ، وضم قسماً كبيراً منه الى الامبراطورية العثمانية ، وفي سنة ١٥٣٥ ضم ابنه السلطان سليمان بقية انحائه الى ملكه ، ثم غزاه الفرس واستولوا على بغداد ، والقسم الجنوبي منه زمناً يسيراً الى ان استعاده السلطان مراد الرابع سنة ١٦٣٨ ، ووصله بالامبراطورية العثمانيـة الى سنة ١٩١٨ ، ومن سوء حظ العراق انه لم يظفر بنصيبه من التقدم طيلة هذا الزمن ، لا في العمران ولا في نواحي الارتقاء المدني الاخرى ، بل خسر في هذه الفترة المظلمة كل ما كان يملك من علم وادب وحضـارة ، وترجع اسباب ذلك الى الامور الآتية :

١ — بعد العراق عن العاصمة العثمانية .

٢ — انغماس اكثر الملوك والسلاطين في ملذات العيش ومناعم الحياة

واهمالهم امر الشعوب التي يسيطرون عليها .

٣ــ سعة رقعة المملكة ووعورة الطريق وفقدان وسائط النقل المقربة لشواسع الابعاد .

٤ــ فقدان الرجال العاملين المخلصين ، ولما رأت الدول الاوربية الطامعة سوء هذه الحالة ، وما في العراق من الثروة الطبيعية ، اخذت تسعى لبسط سلطانها عليه واستغلال كنوزه ، فكان تنافس الالمان والانكليز على ذلك عظيما ، وربما كان العراق من جملة العوامل المؤثرة في نشوب الحرب الكونية ، وكانت الدولة العثمانية غافلة عن هذا التنافس الاوربي على العراق ، فلم تفكر حتى في دراسة امر الدفاع عنه في يوم من الايام ، وبحسبك ان الخرائط التي تعد من ايسر الوسائل الحربية لم تملكها ، ولولا استيلاء الجيش العثماني على بعضها من الانكليز في حرب العراق ما تيسر لها ان تحسن تعبئة الجيش ، وبحسبك بهذا المثل دليلا على اهمال الدولة العثمانية لشؤون البلاد .

قوة العراق

كان الجيش العثماني في العراق سنة ١٩١٤ ، يتألف من اربع فرق وهي الفرق المرقمة برقم ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ .

و بعد اعلان النفير العام العثماني سيرت الفرق الـ ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ الى الاناضول لقتال روسية ، ولولا اصرار قائد العراق جاويد باشا على ضرورة ابقاء الفرقة (رقم ٣٨) لخلا العراق من الجند ، وتيسر دخوله بغير قتال .

ان الخطة التي سارت عليها القيادة العامة ، كانت اكثر خطأ من جميع الخطط الحربية التي مشت عليها الدول الملمة بفنون الحركات الحربية في تعبئة الجيوش ، وقد ابانت المعارك الاولى هذه الاغلاط ، فاضطرت القيادة

العليا الى تغييرها بعسر ومشقة ، ومن جملة ذلك استدعاؤها بعض افواج الفرقة ٣٥ بعد ان وصلت قريباً من (وان) ، فعادت بعد مسير طريق يربو على الشهر ونصف الشهر ومكابدة مشاق عظيمة .

وابتدأت الحرب في ٦ تشرين الاول سنة ١٩١٤ ، وكان الجيش العراقي يومئذ مؤلفاً من :

فوج — عدد	
٩	من (الفرقة ٣٨)
٧	من الدرك (الجندرمة)
٦	الحدود
٢٢	ومجموعها ١٧٠٠٠ بندقية من البندقيات المختلفة

الطراز كالالماني الحديث والالماني القديم ومارتيني هنري وشنايدر .

و ٤٤ مدفعاً من اجناس مختلفة قديمة الطراز .

و ٣ رشاشات وكتيبة خيالة مؤلفة من ٣٨٠ سيفاً لاغير .

وقد كنت يومئذ ضابطاً برتبة ملازم ثان فى سلك المشاة ، وخدماتي معارة من الجيش للدرك ، وكنت معلماً للتدريب فى مدرسة الدرك ببغداد ، فلما اعلنت الحرب العامة تلقيت كما تلقى زملائي امراً بوجوب الانضمام الى احد افواج الدرك السيارة التي استحدثت من الدرك الثابت والجنود المستحدثين ، وتهيأت للسفر الى ميدان القتال فى البصرة ، وكنت ذات يوماً جالساً مع زملائي الضباط فى الكوت ، فدار الحديث عن نتائج الحرب ومصيرنا ، فكان من رأيي ان الفوز لابد ان يكون للحلفاء لتفوقهم بالمال والقوة وكثرة العدد الحربية ، وكان الضابط رؤوف الكبيسي حاضراً ، فتنبأ تعليقاً على رأيي بأن العرب سوف يستقلون .

فأجبته فوراً :— نعم !

وقد وقع ما تنبأنا به من سير الحوادث والظواهر التي كانت تجعلنا نستشعر حدوث ذلك .

اول تعرض الانكليز للعراق

في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ « حرب الفاو »

تقدم الانكليز من الفاو ، فشرع اسطولهم يرمي قنابره على قلعة الفاو ، وكانت الحصن الوحيد في خليج البصرة ، فاضطرت الحامية بعد دفاع نصف ساعة الى الانسحاب الى (الزين) ، اذ لم تر في المقاومة ما يجديها نفعاً ، فتركت المدافع في مواضعها ، ونزل الجيش الانكليزي في البر واستولى حالا على هذه القلعة التي هي عبارة عن بناية بالية يحيطها جدار من الرمل يحميها اربع مدافع صحراوية من الطراز القديم بامرة ضابط من الطراز القديم ايضاً .

ومن البديهيات ان تكون هذه القلعة مهملة متداعية تبعاً لاهمال العراق على نحو ما وضحت لك قريباً ، وان ينتهي مصيرها الى الاحتلال البريطاني.

و بعد ان اكمل الانكليز تعبئتهم في البر بقوة مؤلفة من فرقة كاملة العدد والعدد ، في تأريخ ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ، زحفوا الى الشمال على ضفتي شط العرب ، فاحتلوا (الزين) بعد معركة دامية مع القوة الامامية العثمانية والعشائر المجاهدين من العرب ، فأصبح الجيش التركي بامرة قائد الفرقة ٣٨ الزعيم صبحي بك مهدداً بالخطر من الجانبين ، فانشطر شطرين ، شطر انسحب من ابي الخصيب الى الزبير ، ثم الى ناصرية المنتفك ، بقيادة المقدم عادل بك ، وكان مقترحاً ان يلقي نفسه بيد الانكليز ، لولا عجمي باشا السعدون الذي حمله على الرجوع عن هذا الرأي ، واما صبحي بك فقد اضطر الى

ترك البصرة والانسحاب الى القورنة ، فمهدت السبل لاحتلال الانكليز لها في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ .

فلما بلغ هذا النبأ القيادة العامة في الاستانة ، استحوذ عليها الاضطراب فأمرت حالا بضرورة ايقاف الانكليز ، وتلقينا من جاويد باشا قائد الفيلق في بغداد امراً بالسفر فوراً مع نصف بطرية صحراء ، فركبنا مع الفوج باخرة تجارية لنجدة الفلول المنهزمة من البصرة ، وكانت وظيفتنا تقتصر على الدفاع عن العمارة ومنع تقدم الجيش الانكليزي الى الشمال ، وبعد مسير ثلاثة ايام اشرفنا على قلعة صالح ، تقدمنا منها قليلا وعسكرنا في العزير ، وثم التحق بنا فوج بدرة (الحدود) ، وفوج (درك بغداد) السيار الذي تألف منهم رتل تحت امرة المقدم التركي عطا بك باسم (مفرزة دجلة) ، وعينت مرافقاً لآمر هذا الرتل ، فاقترحت على آمر المفرزة ان يلحق الملازم يوسف حنظل لمقر المفرزة ، وهكذا كان ، اما الواجبات الثلاثة المفروضة على هذه المفرزة فقد كانت ثقيلة جداً لا يقدرها حق قدرها الا من كان ضابطاً ، وشرعت هذه المفرزة في التحكيمات ، ثم في الاستطلاعات لمجابهة الطوارئ ، وبينما كنا مشغولين في ذلك فوجئنا بنبأ تقدم مفرزة عسكرية بريطانية في تأريخ ٣ كانون الاول سنة ١٩١٤ يحميها اسطولها النهري سائرة الى القورنة واصطدامها بحامية المزيرعة (على الساحل الايسر من نهر الفرات تجاه القورنة) وصد هذه الحامية لها وانهزامها .

فلما علم آمر رتل دجلة بهذا الحادث ، حسب له الف حساب ، فأوفدني ليلا في زورق بخاري سريع (من الزوارق المسلحة البحرية الثلاث التي كان ربانوها ضباطاً بحريين ، وكانت هذه الزوارق قائمة بخفر السواحل في وقت السلم) ، وكان علي الاستطلاع ، ثم وضع ثلاث طور بيلات سابحة وتثبيتها

في دجلة تحت المـاء فى موضع مناسب لصد الاسطول النهري البريطاني ، فسرت فوراً ، و بلغت المحل فى منتصف الليل ، فوضعت الطور بيلات تجاه (ابو عرار) الذي يبعد ١٠ كيلو مترات شمالي القورنة ، واتقنت العمل وعدت مسرعاً قبل طلوع الشمس من حيث لم يشعر احد ، فصادفت وانا عائد زورقاً آخر بقرب (المزيبلة) ، فحسبت انه كان قائماً بالاستطلاع كالعادة ، غير اني علمت اخيراً انه كان يمثل رواية عسكرية مضحكة ، وانا اروي لك ملخصها :—

(ومن البديهي ان لرجل الحرب صفات خاصـة يمتاز بها على سواه ، كالاناة والهدوء وشجاعة القلب ، فاذا توفرت فيه هـذه الصفات بعـد عنه الخطأ في اوامره ، وكان ادنى الى الصواب في اعماله ، غير ان من الغريب انه تصدر احياناً حوادث من بعض القواد والضباط العسكريين وشؤون لو اطلع عليها المنقد لوجد فيها مجالا فسيحاً لتمثيل روايات هزلية بعيدة عن الجد ، انما لا تخلو تلك الحوادث من فائدة لمنتسبي الجيش في الحال الحاضرة بمثابة عبرة يدركون بها الاخطاء فيتجنبوها حين القيام بالخدمات الفعلية .

لا ينكر ما لطالع الحرب من التأثير الحسن ، فقد كان لقواد الجبهة العراقية مواقف ظفر يسجلها المؤرخ فى صفحات لامعة ، ولو انعمنا النظر في تلك المواقف لوجدناها ليست الا من بنات الصدف ، وسنذكر حادثتين في موضعهما من سياق الكلام : الاولى حادثة هزيمة الجيشين المتقابلين في موقعة (سلمان باك) ، اذ تقهقر الجيش البريطاني الى العزيزية ، والجيش العثماني الى ديالى — بغداد ، بعد معركـة دامية استمرت ثلاثة ايام . والاخرى ضلال احد الافواج العثمانية طريقه في موقعة (اصطبلات) ، فلما رآه الجيش البريطاني ظن انه رتل عظيم ، قائم بحركة الالتفاف حوله مما ادى الى انهزامه من وجهه .

ولنعد الى الموضوع فنقول :—

لقد ذكرت لك الوظيفة التي اودعت الي من وضع الطور بيل والاستطلاع وانى عدت الى مقر المفرزة قبل الفجر في الزورق البخاري ، وقد كان القائد يرقب عودتي فى منتصف الليل لعدم تقديره بعد المسافة والزمن الذي يصرف فى انجاز العمل الذي كلفت به ، فلما استبطأني ساوره القلق ، فأمر بتقصي اثري لمعرفة ما حل بي فركب بنفسه زورقاً بخارياً ، (وكان زورقاً تجارياً ، وضعت الحكومة يدها عليه حسب قانون التكاليف الحربية) ، وركب معه ملحقه الذي كان يعتمد عليه ، وهو الملازم الاول يوسف حنظل ، فما قطعا بضعة كيلو مترات حتى صادفا زورقي عائداً بكل سرعة ، فنادى ربانه الملازم الموما اليه ان يقف لمعرفة ماعملت ، ولكن صدى المحرك وشدة الهواء حالا دون سماع النداء ، واستمر زورقنا على المسير فظن القائد ومرافقه انه لابد ان وراء ذلك شيئاً مهماً ، ولم يتبادر الى ذهنيهما سوى ان العدو جاد فى تعقيبي ، فوجها نظرهما نحو موقع العدو ، فاتفق ان شعرا بضياء يتلألأ امامهما وانه يقصي اثرهما فى منعطفات النهر ، فظنا انه مصباح احد البواخر الحربية الانكليزية يعقبهما ، فأسرعا السير على كونهما كانا ينظران الى المصباح بنظارتين جرمنيتين من نوع سايس رقم (٨) ، حتى قر قرارهما على العودة قبل ان تتقرب اليهما الباخرة ، وقبل ان يدنو الصبح فيتضح امرهما ، فعادا حالاً في منتهى السرعة ، حتى اذا كان الزورق فى منعطف من النهر ، قابلهما المصباح فاشتد وجلهما ، ولم يكن للزورق ان يسرع اكثر من اسراعه ، فأيقنا حينئذ انه لابد من وقوعهما فى اسر الباخرة التي تسير وراءهما ، فدنوا الى الشاطئ لينجوا بنفسيهما فى البر .

وكان ربان الزورق ينظر اليهما واجماً بنظر الاستغراب ، يفكر فيما قام

به هذان الضابطان دون سبب لعله يستنبط من محاورتهما معرفة شيء ، ليساعدهما عليه ، فكان هذا المسكين يحاول عبثاً ، اذ لم يرد ان يطلعاه على السر ، لانه رجل اهلي غير موظف ، و بعد محاورة طويلة بينهما امر القائد صاحب الزورق باغراقه والذهاب معهما الى مضارب عشيرة كانت قريبة منهما تقع غربي النهر ، فأظهر الربان استغرابه من فعلتهما هذه ، فانتهز الضابط الملحق ، واخبره بأمر المصباح الذي يعقب اثرهما ، فأجابه الربان :

سيدي لا تؤاخذني اني اريد مساعدتكما حيث تريدان ، لاني اعرف هذه الاراضي وسكانها معرفة جيدة ، وربما اهديكما الى ما ترغبان فيه .

الملازم يوسف : ألا تكفينا شرك ياهذا ، أما ترى الباخرة الانكليزية جادة في تعقيبنا .

الربان : (مذعوراً) مولاي اني لم اشاهد اثراً لها :

فلما فهم القائد التركي مضمون المحاورة ايد كلام الملحق ، وقال للربان أما ترى مصباح الباخرة ياغلام ؟

الربان : (يوجه خطابه الى الملحق المترجم) مولاي ما الذي امر به القائد ؟

الملحق : لقد ابتلانا الله بغباوتك ياغلام ، ألا ترى الى الباخرة تتعقبنا وها هو ذا مصباحها خلف منعطف النهر امامك ؟

الربان : (متعجباً) سيدي هذا ليس بمصباح ، بل «نجمة الصباح» !!!

ذلك من اثر الاضطراب النفسي الذي يغمر الانسان في مثل هـذه الحالات .

فلا غرابة من وقوع امثاله .

حروب القورنة

لما علمت قيادة الفيلق بأن الانكليز عازمون على احتلال (القورنة) التي هي ملتقى الفرات ودجلة، لما لها من الاهمية السياسية والتعبوية، امرت رتل دجلة ان يتقدم الى (المزيبلة) و (الروطة) ويحصنهما ليكونا «قدمة» ثانية للجبهة الامامية، فتقدمت هذه المفرزة من الجنوب، وتحصنت فى المزيبلة والروطة كما انها ارسلت فوجاً من افواجها الى المزيرعة لتقوية حاميتها، ولكن جميع هذه المحاولات ذهبت سدى.

هجم الانكليز في ٧ كانون الاول سنة١٩١٤ على المزيرعة بجيش كثيف يقوده الجنرال باريت، بعد ان امطرها اسطوله النار الحامية، فبددت حامية مزيرعة ثم اسرتها، وكانت مؤلفة من فوجين مشاة ونصف بطرية مدفعية صحراء، وفي اليوم الثاني حاصر (القورنة) من جميع اطرافها، فاضطر آمرها الى التسليم بعد أمر قائدها الزعيم صبحي بك مع اربعين ضابطاً وزهاء الف جندي من بقايا الفرقة الثامنة والثلاثين.

مغامرة

وكان دجلة قد فاض مبكراً خلاف العادة المألوفة في السنين الماضية، وكنت قد حضرت معركة (مزيرعة) الاخيرة اذ انا ضابط الارتباط مابين الحامية ورتل دجلة، فلما شاهدت العدو تقدم الى (المزيرعة) واسر حاميتها اجتهدت الا اقع في الاسر، وظفرت بمشحوف وجدته عند الشاطئ الايسر قرب مزيرعة فركبته مع بعض الجنود المزدحمين على الشاطئ يبغون النجاة من الاسر بالعبور الى القورنة والالتحاق بحاميتها، غير انهم كانوا يجهلون

استعمال مجاذيف القارب ، ولما كنت متمرناً قليلا على الجذف ، فقد تمكنت من استعمالها ، ولكن كثرة الراكبين وشدة جريان دجلة بسبب الفيضان وتقرب العدو من الساحل واستهداف نيران الرشاش الحامية لنا ، كل ذلك أخل بموازنة القارب فانقلب بنا وغرق الجنود مأسوفاً عليهم ، اذ لم يمارسوا السباحة ، ونجوت بعد جهد كبير حتى بلغت الشاطئ ، فاستخفيت عنده اذ كانت نيران العدو الشديدة تصلي القلوب ، فكنت تارة اسير نحو الشمال واخرى استخفي في الماء عندما يحمى وطيس القذف ، و بقيت زهاء ساعة ونصف ساعة على هذه الحال حتى كف العدو عن اطلاق النار ، فخرجت من النهر وثيابي مبللة والبرد قارص ، وانا اكابد من ذلك ما اكابد من الم وقشعريرة حتى بلغت مقر رتل دجلة فى الروطة بعد شقاء وعناء ، فأصابني مرض شديد كاد يؤدي بحياتي .

وكانت المياه حينئذ مستولية على اليابسة في المنطقة الواقعة مابين قصبة قلعة صالح والقورنة ، لانها من الاراضي المنخفضة والمستنقعات ، فلم يبق من هذه الساحة العظيمة ارض لم تصبها المياه الا بعض التلول ، وكان الجيش العثماني مضطراً بطبيعة الحال الى ان يحتمي بها ، وان كانت متفرقة بعضها عن بعض ، فتعسرت القيادة والتموين ، وكان الاجدر بالجيش العثماني بعد سقوط القورنة ان ينسحب الى الخط الخلفي عند قلعة صالح فى محل مناسب ، قابل للدفاع عن هذه المواقع الخطرة ، لذلك ادت هذه التعبئة السقيمة الى اضمحلال فرقة دجلة برمتها .

حروب دجلة والشعيبة والحويزة

بعد احتلال الانكليز القورنة ، عزل جاويد باشا من القيادة العليا فى

العراق ، وعين محله المقدم سليمان عسكري بك ، وكان شجاعاً مقداماً ، ولكنه يعوزه الفن العسكري العالي .

وقد كان يعتقد انه بتأييد القبائل العراقية له ، يستطيع ان يقذف الانكليز في البحر .

بلغ سليمان عسكري بك ميدان دجلة في اوائل كانون الثاني ١٩١٥ فشرع في تنسيق الجيش على الوجه الآتي :—

١— فرقة دجلة : الفها من رتل دجلة واضاف عليها ثلاثة افواج مشاة وبطرية ابوس ، ارسلت من الاستانة وحلب ، وانيطت قيادتها بعهدة المقدم حليم (المعروف بمهاجر حليم ذلك الرجل الجبان الغبي الذي يجهل التعبئةالعسكرية بالمرة) ، وقدفرح الضباط كثيراً بهذه البطرية لقوتها في اطلاق القنابر وشدة تأثيرها ، ولكن سرعان ماخاب الامل وانعكست الآية اذ تبين ان القنابر المرسلة ليست على مقياسها ، فتحطمت الآمال وفشلت الاعمال ، واضاف الى هذه الفرقة المجاهدين والعشائر المحلية ، ثم سلم قيادة هذه العشائر بيد ثلاثة ضباط ممن يحسنون ادارة شؤون العشائر ، فعينني قائداً لعشائر البو محمد القاطنين فى لواء العمارة الذين برأسهم عريبي باشا ، وقد جردت حملة مؤلفة من ٥٠٠ مشحوف تقل الف محارب ، واتخذت مقري في (تل الاخيضر) الواقع فى الهور والمحاط بالمياه والبردي والقصب على بعد عشر كيلو مترات من القورنة شمالا ، وكانت مساكننا الصرائف القصبية .

٢— رتل الحويزة : كان هذا الرتل مؤلفاً من فوجين من المشاة وسرية خيالة ونصف بطرية مدفعية وفرقة عشائرية تنيف على ثلاثة آلاف مجاهد بقيادة الفريق محمد فاضل باشا الداغستاني .

٣ـ رتل الناصرية : وكان مؤلفاً من تسعة افواج من المشاة وكتيبة خيالة واربع بطريات مانتللي صحراء و بطريتين جبليتين وما ينيف على الثمانية آلاف محارب من العشائر العربية والكردية والمجاهدين بقيادة المقـدم علي بك (المعروف بكل علي) .

الوقائع الحربية فى ميدان دجلة

في ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩١٥ هجمت قوة كبيرة انكليزية يقودها الجنرال باريت على جناحنا الايسر في (الروطة) التي تبعد خمسة عشر كيلو متراً عن القورنة من جهة الشمال الشرقي ، فدامت المعركة اربع ساعات الى ان اضطر الجيش الانكليزي ان ينسحب الى القورنة ، وقد حضر القائد سليمان عسكري بك ميدان الروطة فأدار الحرب بنفسه وقهر العدو ، ولكنه اصابت ساقه اليمنى شظية من قنابر العدو فكسرتها ، واضطر بحكم الضرورة ان يسافر الى بغداد للمعالجة ، ولست اعلم جيداً ما خسره الانكليز فى هذه المعركة ، غير انني اعلم ان الجيش التركي فقد ضابطين و ١١ جندياً شهداء واربعة ضباط وستة وثلاثين جندياً جريحاً ، وقـد ادى فشل الجنرال باريت الى عزله من قيادة الفرقة السادسة البريطانية ، وتعيين الجنرال طاوزند خلفاً له .

لما ايقن سليمان العسكري استحالة استرداد البصرة باستقامة وادي دجلة افتكر فى تنظيم خطة جديدة ، وهو تحت المعالجة فى مستشفى بغداد .

وعليه قرر ان يهاجم البصرة من جهتها الشرقية والغربيـة ؛ فالجهة الشرقية رتل الفريق محمد فاضل باشـا الداغستاني الذي كانت جهة حركته وادي كارون ، وثم (عبادان) والبصرة .

فالجبهة الغربية (هي تؤلف القوة الاصلية) التي كان يقودها المقدم علي

بك ، كانت الناصرية اساً لحركاتها ، ووجهة حركتها (الخميسية — علوي) على ان يكون هدفها اولا (الشعيبة) وثم (البصرة) .

فهذا الرتل باشر بالتجمع في (العلوي) خلال شهر شباط سنة ١٩١٥ .

وعلى هذه التحشدات اضطر الانكليز الى تحكيم (الشعيبة) واعداد جيش من الصنوف المختلفة لمقابلة قوات الاتراك للدفاع عن البصرة .

مفاجأة سياسية خطرة

ذكرت فيما تقدم عن نوري السعيد و بقائه في البصرة بعد ان احتلها الانكليز ، ثم اعتقالهم له واطلاق سراحه بكفالة بعد ان لم يروا بأساً من اقامته فيها .

وكانت غاية نوري السعيد من البقاء في البصرة — كما ذكرت آنفاً — مراقبة الاحوال الحربية والسياسية عن كثب لانتهاز الفرص التي تفيد امته وتوطيد دعائم القضية العربية بالعمل لها مع الرجال البارزين ، وقد كان فى الوقت نفسه يستطلع اوضاع الحكومة العثمانية والحكومة الانكليزية وميول الاهلين ومدى اعمال جمعية العهد فى العراق بعد اعلان الحرب العظمى ، وقد اوفد الي من البصرة سراً ساعياً يحمل كتاباً سياسياً ، غير ان سوء الحظ ساق الساعي الى ضابط درك تركي في العمارة اسمه كاممي ووظيفته كوظيفتي فأعطاه الكتاب ، فلما علم انه لي اعتقل الساعي حالا و بعث بالكتاب الى قائد الفرقة ليطلع عليه .

وكنت يومئذ اقود العشائر فى الهور لاهاجم الانكليز ليلا بين حين وحين ، فوفقت ذات ليلة ان استولى على رابية من روابي القورنة الامامية واطرد منها حاميتها بعد مناوشة دامت بضع ساعات ، وعدت عند طلوع

الشمس الى المقر ومعي نفر من اسرى الهنود والغنائم والجرحى من عشائرنا ، وانا مغمور بطوائف الاحلام الحلوة من هـذا الظفر وتوقع الطاف قائد الفرقة الذي فتنه سلوكي وارتضائي دون سائر الضباط ، وما كان من حسباني ان يقابلني بغير ما اعتدته منه من البشاشة ، وما اشد ما ادهشني حينما قابلته فوجدته شاحباً يعلوه الامتعاض ، عابساً في وجهي يغمره الغضب ، فوقفت ساهماً افكر فيما اصابه فحمله علي ان يقابلني بهـذه المقابلة المرة ، فقال لي : اذهب الى ضابط الركن حقي بك ، فان لك عنده كتاباً من نوري السعيد ، فعرفت حالا السر في امتعاضه ، ووقع كلامه علي وقع الصاعقة ، وايقنت ان الشر مدركي لامحالة ، فقصدت ضابط الركن في خيمته ، احس كأنني مثقل بالقيود والاغلال لفرط ما اصابني من وقع هذه المفاجأة الغريبة .

وكانت الصلة بيني و بين ضابط الركن قوية الاواصر ، وهو رجل صافي السريرة طيب القلب ، فما رآني حتى بادرني بالسؤال عما بيني و بين نوري السعيد من مراسلات جديدة ، فأجبته بالسلب ، فناولني كتاباً منه الي وهو يقول : ما هـذا اذن ؟ فأخذته من يده واستوعبته بجملة نظري سريعاً ، ولكنني تعمدت ادامة النظر فيـه لاهيئ الجواب ، ثم رفعت رأسي وقلت : نعم ، هذا كتاب من نوري السعيد الي ، لا انكر ذلك ، ولكنه ليس فيه مايستوجب كلاماً ، فأجابني بلهجة المستهزئ ، كل كلمة فى هـذا الكتاب لغز من الغاز السياسة ، ما تقول فى قوله لك « اخبرني عن حالة العهد » ؟ فأجبته فوراً : انه مولود ولد لنوري السعيد حديثاً ، فهو يسألني عن حالته ليس غير ! فلمحت فى وجهه من اثر الاستحسان والانبساط ما دلني على الاصابة في الجواب ورضاه به ، ولم اكن احسب نفسي الا تجاه محكمة عرفية تتوعدني بالشر .

فقال : اجبني عن قوله لك «اخبرني عن حالة الجيش والاوضاع العامة»!

قلت : الذي افهمه من هذا انه نادم يريد معرفة السبيل الذي يمكنه من السلامة لتسليم نفسه ، وانا يؤسفني ان يولد هذا الكتاب فيكم سوء الظن لاتفه الهواجس ، واخذت الكتاب فمزقته تمزيقاً من شدة ما استولى علي من الغيظ ، غير ان ضابط الركن ، وكأنه كان يريد انقاذي من المأزق الذي وقعت فيه ، فلم يقابلني الا بالبشاشة ، فانبسطت اساريره وضحك في وجهي ، ثم نهض فذهب الى قائد الفرقة لينزهني من التهمة ويعرفه بما جرى فاطمأن القائد الى كلامه الطيب عني وعدت الى مقري فرحاً بتملصي من الوقوع في الشرك .

وفكرت ان نوري السعيد لم يعلم بما جرى لي من اجل رسالته ، وانه لابد ان يواصل رسائله فيلتقطها سمي اسمي وظيفة ، وحينئذ لا منجاة لي من التهمة والتعرض لشرها ، فرأيت ان ارفع الى القائد كتاباً رسمياً يتضمن طلب ايفادي الى ميادين العدو متنكراً للاستطلاع والاحاطة بما اتخذه من التدابير الحربية ، وانا اريد ان اتخلص من التبعة في مستقبل الايام ، وآثرت ان اغادر مقري في الهور الى البصرة ، وكنت مضطراً الى اصطحاب دليل ، فأخبرت الشيخ مجيد الخليفة رئيس مقاطعة المجر ، وكان من جملة المجاهدين في معيتي بأني موفد الى الجنوب للاستطلاع ، وانه لابد لي من دليل عالم بالمسالك والمخارج فأصحبني دليلا وأضفت آخر دركي « شبانة » اليه وركبت منهما في قارب ، ونحن في ازياء المعدان ، فاخترقنا ونحن نجتاز الهور مضايق حلزونية حتى بلغنا القورنة واحتوانا شط العرب فلم يكن لنا بد من الدخول بين البواخر الانكليزية المبثوثة هنا وهناك في شط

العرب . و بعد مسير يومين وصلت الى كرمة علي ، ولما كان قصدي ان اتصل بنوري السعيد سراً ، وكنت غير عالم بمسالك لواء البصرة وما كنيه بد الى ان اجيد الوسيلة التي اتمكن بها من الوصول الى غرضي ، فاستدرجت الدليل والدركي الى هدايتي من حيث لم امكنهما من العلم بحيرتي ، فلما علمت ان لا احد لهما في هـذا اللواء من ذوي قرابتهما للاستخفاء عنده ، صرت اسألهما عن اسماء شيوخ القبائل الصالحين لاختار ممن يصفان لي اعلاهم شرفاً وانبلهم سجايا فوقع اختياري على الحاج صالح رئيس فرقة بني مالك ومختار مقاطعة كرمة علي لشرفه ونبله ، ولانه ينتسب الى عشيرة لا يزال قسم من رجالها خاضعين للحكم العثماني (وهو شيخ في حدود الستين حسن السمت وقور ، وقد وجدته نافراً من الاحتلال البريطاني في البصرة) فكتبت اليه كتاباً عن لسان الشيخ وادي احد رؤساء عشيرة بني مالك مؤداه ان يحسن وفادتي عليه و يكرم ضيافتي ، ثم سرت الى محله فاستقبلني مرحباً واحسن قراي ، ولما احاط علماً بالامر الذي جئت به ، اخذ حذره من الانكليز ، فأخفانا في مأوى بعيد عن الناس ، واسعفني بما طلبت منه من ارسال رجل الى مزاحم الامين (الرجل الوحيد الذي اعرفه في البصرة يومئذ) استنبئه فيه عن نوري السعيد ، فتفضل وانفذ اليه ابنه يحمل كتابي ، وعاد الي في اليوم الثاني يحمل من مزاحم الامين هذه الرسالة :

رسالة مزاحم الامين

« عزيزي تحسين: قبل ثلاثة ايام قبض الانكليز على نوري السعيد وسفروه اسيراً الى معاقل الهند ، فدخولك البصرة لا يخلو من خطر الاعدام ، فارأف بنفسك وتدبر الامر » ، فان لم ترني هذه الرسالة شبح الموت ماثلاً ،

فقد ارتني اشد الريبة ، وعدت افكر في مصيري ، فلم ار لي الا احدى خطتين : اما ان اذهب الى الانكليز فأقع اسيرهم ، وذلك ما تأباه سجيتي وتنفر منه كرامتي ، واما ان ارجع ادراجي الى الجيش العثماني ، وانا موقن بالخطأ الذي ارتكبته من مغادرتي لمقري بغير امر من القيادة ، ولاسيما بعد تلك الحادثة التي حدثت بسبب رسالة نوري السعيد الي ، فبدا لي ان اكتب كتاباً الى قائد الفرقة اعلمه فيه بقصدي الى البصرة ، واعتقال الانكليز لنوري السعيد وخلاصة ما وقع لي من انبائهم وحركاتهم الحربية ، ففعلت ذلك وكتبت كتاباً آخر الى مرافقه يوسف حنظل اسأله فيه عن حديث القوم عني ، وما عسى ان يصيبني اذا رجعت ، واثر كتابي في نفس القائد ، وانفذتهما اليهما بيد الشخصين اللذين كانا يصحباني فجاءني بعد خمسة ايام جوابهما معاً ، وكان جواب يوسف حنظل ان القوم قد اختلفوا في امر غيابي فذهب الاتراك الى اتهامي بالخيانة ، والتحاقي بالانكليز ، وذهب الضباط العرب، ومنهم رؤوف الكبيسي ، وجميل ، وابراهيم الراويان ، وحميد الشالجي ، وعبد الرزاق الخوجة ، الى تبرئتي والاعتذار عني بما رأوه من المعاذير المقبولة . ومن جملة ماشاع ان العشائر قد اغتالتني، فبلغ ذلك القائد، فحقق عني من عربي باشا ومجيد الخليفة ، فلما علم منهما خبري اتهمني بالخيانة ، وابرق بذلك الى انور باشا في الاستانة ، و بعد ان وصل كتابي الى القائد تغير رأيه في فأحسن الظن ووثق من صدقي قولاً وفعلاً ، لذلك لم ير يوسف حنظل في كتابه الي مانعاً من العودة . اما القائد فقد كان كتابه الي رقيقاً جداً ، حثني فيه على الاسراع في الرجوع لئلا اقع اسير العدو ، وانفذ الي مع الساعي عشرة دنانير ذهباً استعين بها على حاجاتي ، فعدت الى المقر ومعي مختار كرمة علي الحاج صالح فاستقبلني القائد متهلل الاسرة وعانقني

فرحاً بما استفدته من رحلتي هذه من انباء العدو التي كان يجهلها كل الجهل، ثم ابرق الى انور باشا يبرئني مما نسب الي ، وطلب منه مكافأتي على ماقمت به من العمل الطيب ، اما السيد صالح فقد ظفر من القائد بكسوة جميلة وعشرين ديناراً ذهباً ، ولولده ساعة ذهب .

واهتم انور باشا للنبأ الجديد عني فأمر بضرورة ايفادي ثانية للاستزادة من درس وضع العدو في الشعيبة ، فلم ار بداً من تنفيذ هذه الرغبة ، فذهبت الى حيث اراد ونفسي ممتعضة من هذه الوظيفة الشاقة لما فيها من مخاوف واخطار .

اتخذت النهر الى غايتي سبيلا ، وكان يصحبني مختار كرمة علي ، فلما بلغنا الكرمة اخذنا معنا مقداراً من الدجاج والبيض ، وانزلناه معنا في القارب الى مقربة من الشعيبة متظاهرين بالتجارة بذلك ، نخرجنا نمشي على الاخاديد حول المعسكر البريطاني المطوق بالاسلاك الشائكة — على رؤوسنا سلات الدجاج والبيض نعرضها على الجنود من وراء الاسلاك ، فاستطعت بذلك ان استطلع كل شيء بكل امعان ودقة وضبط ، ثم عرجنا معاً على (علوي) مقر الجيش الثاني تجاه الشعيبة ، فرأتنا طليعة من الفرسان الاتراك رابها امرنا فقبضت علينا وشدت على اعيننا وساقتنا الى مقر القيادة ظانة اننا من جواسيس البريطانيين ، وهي تضربنا بأخامص البندقيات وتوالي الرفس والاهانة ونحن ساكتان حباً منا بمعرفة مايصيب الجاسوس اذا ظفر به ، وكان الحاج صالح يهم كل حين ان يعلم هؤلاء الفرسان بهويتنا فأنهيته بالاشارة عن ذلك واخذت احثه على الصبر ، فلما مثلنا امام القائد في خيمته ابصرت مرافقه معه (وكان ابن عمة لي) غير انه لم يتبين ملامحي ، وكلمني القائد على لسان ترجمانه ، فأردت ان اعبث به وبمرافقه خاصة اذ لم يعرفني على قرابتي لشد

تنكري ، فقلت له : اننا فارون من الزبير نريد جهاد الانكليز الى جانب الجيش العثماني ، ولكنه شك في صدقي فألح يطلب الحقيقة ظاناً اننا جاسوسان للانكليز ، وكان الى جانبه قائد آخر تركي (وهو المقدم وداد بك) يعرفني من قبل فلفته حوارنا ، فعرفني لفرط ذكائه فسماني ونهض الي يعانقني .

وقد اعجبه مني هذا الوضع من التنكر والتكتم في قيامي بالعمل الذي انيط بي تنفيذه ، اما القائد سيف الله بك فلما رأى هذا الموقف سر به اشد السرور ، وزاد في تكريمي ، وحضر في ذلك اليوم اتفاقاً عبد الرزاق الامير من البصرة هارباً يريد الالتحاق بالجيش العثماني مجاهداً ، و بعد مكوث يومين شرحت فيهما للقائدين تفاصيل استطلاعي في الشعيبة ، وعدت الى مقر فرقة دجلة واستمررت على قيادة العشائر كما كنت من قبل ، وقد منحت جزاء لخدماتي « نوط الحرب » .

حرب الحويزة

بعد ان اتم محمد فاضل باشا الداغستاني تنظيم العشائر تقدم الى الحويزة فاحتلها وسار نحو الجنوب فوقعت في ١٨ شباط معركة شديدة مع الجيش البريطاني في موقع (الغدير) حيث فاجأ الجيش العثماني مفاجأة كادت تفنيه لولا نجدات العشائر القريبة من بني طرف ، و بني لام ، والصواعد ، والسودان ، فانقلبت الآية واندحر الجيش البريطاني شر اندحار ، واسر الجيش العثماني منه عدداً من الاسرى ، ومدفعين مع مهماتهما ، واردى منه ثلثمائة قتيل . اما العشائر التي انجدت الجيش العثماني فقد خسرت خمسين شهيداً وثلثمائة جريح ، واما الجيش العثماني ففقد شهيداً واحداً وثلاثة جرحى واضطر الرتل ان ينسحب الى (الاهواز) فيتحصن فيها ، فهاجمه الانكليز فيها بجيش

كثيف اضطره الى التقهقر الى شرقي العمارة في وسط الاهوار وهو في حالة يرثى لها .

حرب الشعيبة

بعد ان اكمل الرتل التعبئة في موقع (العلوي) ، تقدم فى ١١ مارت الى (النخيلة) فاحتلها وتقهقر الانكليز الى حصن (الشعيبة) ، وحضر سليمان عسكري بك من بغداد ميدان القتال ، وهو لا يزال يشكو الالم من كسر ساقه ، وقد اوتي به في محفة صحية ، فتولى القيادة بنفسه كعادته ، فلما عبأ قوته حول موقع الشعيبة المستحكم شرع فى التعرض في ١٤ نيسان ١٩١٥ فكانت معركة حامية دامت يومين كاملين اسفرت عن فشله ، وتقهقر المهاجمين بعد ان تكبدوا خسائر فادحة ، فانتحر بمسدسه رحمه الله ، وانسحبت بقية القوة الى الناصرية وانفض اكثر جموع العشائر والمجاهدون الا عجمي باشا السعدون فقد بقي مرابطاً مع الجيش التركي فى منطقة المنتفك الى النهاية.

وتولى القيادة المقدم علي بك الى ان تولى القيادة العامة بالعراق الزعيم نور الدين بك في ٢٢ مايس سنه ١٩١٥ .

حرب العمارة

بعد ان اصدر الانكليز هجمات رتلي الشعيبة والحويزة وانتصروا عليهما نما نشاطهم وطمحوا الى الاستيلاء على ولاية البصرة برمتها فقووا جيشهم عدة وعدداً وصمم الجنرال نيكسون آمر القوات البريطانيـة في العراق على التقدم من وادي دجلة واحتلال العمارة واصدر اوامره الى قائد ميدان دجلة الجنرال طاونزند بالتعرض للقوات العثمانية المرابطة امام القورنة ، والاستيلاء

على مدافعها وحملها على التقهقر نحو الشمال ، فشرع الجنرال ينظم خططه التعرضية ، اما قوات الاتراك فكانت مرابطة في مواقعها ، وهي عبارة عن جزر صغيرة مشتتة في الاهوار (وهي ابو عران ، ومزيبلة ، والروطة) . واما العشائر فكانت في هور الاخيضر وغربي (بربخ) ، وكان يسوء الجيش العثماني الم الخذلان بعد انكساره في الشعيبة ، وما اعقب ذلك من انتحار القائد العام سليمان عسكري .

في صباح ٣١ مايس سنة ١٩١٥ تقدمت البارجة الانكليزية الحربية (اسبيكل) من القورنة ، و بعد ان قطعت خمسة اميال نحو الشمال ارست لحماية الجيش الذي اخذ يتقدم بالقوارب المصفحة وطفقت مدفعية الانكليز الطويلة تصوب قنابرها على مواقع الاتراك ، واعقبها تقدم المشاة من الهور على الجناح الايمن بوضع الالتفاف من الجانبين فى حماية بارجتين حربيتين ، وعلى شدة نضال المجاهدين واستبسالهم احتلت (بربخ) وانزلت قوتها الى البر ، ثم تقدمت الى المواقع الخلفية تحت نيران المدافع الحامية فاحتلتها وضبطت مدفعين صحراويين ، ودام القتال خمس ساعات ، ولم يرد الينا اي امر او طلب من قيادة الفرقة ، ولم يكن لدينا امر سابق بما يجب ان تفعله العشائر فى الاهوار ، غير اني رغم كل هذا رأيت ان اقوم بقسط من العمل فجمعت المحاربين وتقدمت بهم الى جناح العدو الايمن وتهددته باطلاق الرصاص ، غير اننا تكبدنا خسائر فادحة ففقدنا زهاء خمسين قتيلا ومئة وعشرين جريحاً ، وغرقت منا قوارب بمن فيها اذ اصابتنا رشاشات العدو من موقع (بربخ) الذي احتله ومدافع اسطوله النهري وما يستتبعه من ادوات ووسائط اخرى قوية التأثير ، كالقوارب المصفحة والمسلحة بالرشاشات ، اما وسائطنا فكانت مشاحيف عادية ، وسلاحنا البندقيات القديمة ، ومع

هذا كله دامت معركتنا هذه ساعتين،اضطررنا لشدة الحر ونفاد الخراطيش الى الانسحاب الى داخل الهور والاحتماء بالبردى والقصب .

... وقد كان الاجدر بالقائد العثماني ان يستفيد في مثل هذه المواقف من قوة العشائر المجاهدة التي كانت مجتمعة ، وكانت وسائطها النقلية القوارب الخفيفة، وافراد العشائر يحسنون تسييرها في الاهوار بلباقة عجيبة ، لانها كانت الوسائط الاعتيادية لديهم للنقل وللحرب والمناوشات والاستطلاع، ولو لم يكن لمثل هذه القوارب القيمة الحربية الكبرى في مثل هذه المواقع ، لما اضطر الانكليز الى صنع الكثير منها واستعمالها في ميدان القتال .

اما القيادة العثمانية فقد اهملت هذه الناحية كل الاهمال ، فلم تصدر اي امر او تعليمات سابقة من شأنها ان تؤدي الى الاستفادة من هذه القوارب ، حتى اننا لم نعرف شيئاً عن الهجوم الانكليزي الا بعد ان سمعنا صوت رمي المدافع الثقيلة وكان قد اقترب منا ، وقد قمنا بما امكن القيام به وساعدت الوسائل عليه وجابهنا العدو .

ولما وجد العدو منا هذه المفاجأة من جبهة الهور ، حسب لها حسابها ، فلم يتقدم من (بربخ) اكثر من كيلو مترين على تفوق عدته وكثرة عدده وسكوت مدافع الجيش العثماني ، ادرك المساء نخفتت الاصوات وساد السكون على الجيشين حتى الصباح ، فثارت مدافع العدو في ١ حزيران سنة ١٩١٥ من البر والنهر ، فكانت شديدة الوطيس تخريباتها هائلة بحيث لم يكن مجال لثبات المدافعين في مثل هذه المواضع الضيقة والمحاطة بمياه الهور فاضطرت القوات العثمانية الى التقهقر ، فركب بعضها السفن الشراعية والقوارب والبواخر وسار البعض الآخر مشياً على ضفتي دجلة جاهلين

ما يتعرضهم فى الطريق من المياه والمستنقعات والعقبات المانعة مما ادى الى عنائهم وضياعهم .

وفي هذه المعركة فاجأتنا اول طيارة حربية من سلاح الجو البريطاني فحلقت فى سماء العراق فألقت الرعب الشديد فى قلوب العشائر و بلغ من تأثيرها في نفوسهم ان صاروا يهزجون في غيبوبة من الوعي وهم يشيرون الى السماء (متعجب خالق له بعيرة !) وشاع في العشائر نبأ انهزام آمر الفرقة حليم بك فيَ زورق بخاري الى العمارة ، بعد ان امر الجيش بضرورة التقهقر الى الشمال ، غير انه لقلة وسائط النقل وعدم اتخاذ الحيطة والحذر لم تتمكن الفرقة من الرجعة بانتظام مع مالديها من المدافع فاضطرت الى تركها الا ثلاثة حملتهـا في سفن شراعية كانت تسحب عكس التيار بكل بطء ومشقة ، وتقهقرت وهي فلول مبعثرة ، فزاد ذلك في الاضطراب والفوضى وتعقب الانكليز هذه الفلول عصراً باسطول مؤلف من خمس بواخر صغيرة وكبيرة ، فأدرك الغنبوط (مرمريس) والباخرة (الموصل) وكانتا تقلان الجنود والعدد فقذفهما بقنابره ، ولكنهما افلتتا منه تحت جناح الظلام ، وكان طبعاً ان لا تنجو من قبضة تلك السفن الشراعية التي حملت المدافع لبطء سيرها .

٢ حزيران سنة ١٩١٥

لما رأيت ان لا فائدة ترجى من بقائي مع العشائر التي بامرتي فى الهور بعد انخذال الجيش النظامي ، هذا الانخذال الشنيع ، امرتهم بالتقهقر الى (العزير) لعلي استطيع ان انجد الفلول المتراجعة واوطدها في محل موافق للدفاع ، فانسحبنا فى زوارقنا سالكين سبيل الهور حتى وصلنـا فى الاصيل

الى (العزيز) ، فوجدنا فلول الجيش المجاهدين تتراجع نهراً وبراً في حالة يرثى لها من النصب ورثاثة الحال والاسطول الانكليزي يعقبهم بشدة ويصليهم ناراً حامية وخاصة انثيال العشائر على هـذه الفلول سلباً ونهباً ، ورأينا الغنبوط التركي المسمى (مرمريس) في النهر وهو يلتهب ويقذف بالحمم كالبركان ، وقد اوقد النار فيه ربانه حين رأى مياه دجلة لا تقله لضخامته فاضطر الى احراقه واعترض به وسط النهر ليحول دون اجتياز الاسطول البريطاني الى الشمال ولو زمناً قليلا . اما نحن (انا والعشائر) ، فقد بتنا ليلتنا في المجر الكبير عند الشيخ مجيد الخليفة من رؤساء عشائر البو محمد الذين هم بامرتي ، واحتل الاسطول البريطاني قلعة صالح دون ان يناهضه احد .

قد كانت هذه النتيجة التي انتهت اليها هـذه الفرقة العثمانية طبيعية ، اذ لم تفكر قيادتها في امر الرجعة فعبأتها في الجزر المحاطة بالمستنقعات ولم تفكر في عاقبتها اذا اصابها خذلان .

ان ما ادى الى هذا المصير من الاندحار ووقوع الفرقة برمتهـا في يد العدو غلطة تعبئوية فظيعة ، وقاتل الله الجهل !

سقوط العمارة

لما رأيت خطورة الموقف بحيث لم يكن في الاستطاعة عمل اي شيء آثرت الذهاب الى العمارة وترك العشائر تنتظرني في المجر الكبير ، فركبت الزورق مصطحباً دليلا حتى اذا اجتزت نهر المجر الكبير في ٣ حزيران سنة ١٩١٥ صادفت للبريطانيين زورقاً حربياً راسياً في صدر المجر بدجلة ، يستطلع فلم يعترضنا ، اذ كنا نرتدي اللباس الاهلي وسرنا في سبيلنا حتى بلغنا العمارة ضحوة ، وهنالك وجدت قائد الفرقة حليم بك وفوجين نظاميين (من

الاطفائيين) سبقانا اليها لنجدة فرقة دجلة وكانا بقيادة العقيد سيف الله بك، وقد كلمت هذين القائدين بضرورة اخلاء العمارة والتقهقر الى الكوت براً على شاطئ دجلة ، فأظهر الي بلهجة اليأس الخائف عزمهما على الدفاع عن العمارة فبينت لهما عدم قدرتهما على ذلك لفقدانهما اي مدفع يقابل به مدافع العدو المتعقب براً ونهراً ، فأجابني بما يشعر بالاستخفاف ، ولكن لسان حالهما كان ناطقاً بعزمهما على التسليم الى العدو ، ودوى بعد ساعة مدفع من ناحية العدو فعلمنا انه مدفع اسطول انكليزي ينذرنا بالتسليم ، فرفع سراى الحكومة والاهلون الاعلام البيض اشارة التسليم ، وما هو الا كلمح البصر حتى دنا زورق حربي من السراي ، وكان يعقب زورقاً تركياً هارباً الى الشمال فخرج منه ضابط بحار و بضعة جنود بحارة فدخلوا السراي ، وكان فوجان مع القائدين حليم بك وسيف الله بك و ٢٥ ضابطاً تركياً فأمر الضابط البحار بضرورة جمع السلاح ووضعه في غرفة من غرف السراي واقفلها و بقي الجنود بالسراي في انتظار الانذار .

فسمع الضعف للقوة واطاع ، وكأن الله قد القى عليهم الذل فوصموا شرف الجيش العثماني بما لم يسبق له مثيل فيه من عار المهانة والخضوع، وكل ذلك جريرة هذين القائدين الجبانين، ثم دخل العمارة الجنرال طاونزند قائد فرقة دجلة البريطاني، و بصحبته السر برسي كوكس وقد جاءها في غنبوط مع اسطول خفيف مؤلف من اربع غنبوطات وقد اعجل هذا القائد دخوله العمارة بهذه السرعة خلاف عادة الجيش البريطاني المألوفة فيما سبق من حروبه خشية ان يسرع الجيش العثماني الى لم شعثه فيحول دون دخول البريطانيين العمارة ، ثم علمه بنجدة رتل الحويزة الذي يتولى قيادته محمد فاضل باشا الداغستاني لصد الخطر الداهم على العمارة ، اذ صمم على الوقوف دون ان يتقدم البريطانيون منها ، ولكن

محمد فاضل باشا لم يستطع ان ينفذ عزمه لفقدان وسائط المراسلة السريعة ووعورة السبل ، فسبقه الاسطول البريطاني اليها ، وقد ادركه على بعد بضعة كيلو مترات من العمارة ، فأصلاه الاسطول ناراً حامية فدحره عنها ، فلما شعر بخطورة الوضع ويئس من صد البريطانيين عن العمارة ، توجه مسرعاً الى الكوت ، على امل ان يقف دونه قبل ان يتسع الخرق ، وتم للانكليز احتلال العمارة ، وكانت خسائر الترك فادحة ، حيث خسروا جميع ما لديهم من قوة في ميدان دجلة ، وهي سبعة افواج مشاة ، وفوج مدفعي مؤلف من اثني عشر مدفع مختلف الجنس وعدة بواخر نقلية وزوارق بحارية .

وما كاد الجنرال طاونزند يستقر يومه في العمارة حتى امر بالفوجين المعتقلين في السراي ان ينقلا الى باخرة تجارية كانت راسية في الميناء .

اما الضباط ، فالترك منهم وضعهم في مقاصير الباخرة وبهوها ، وخصهم بفاخر الطعام والشراب ، والعرب منهم امر ان يوضعوا على سطح (دوبة) من توابع هذه الباخرة التجارية ، وخصهم بالجشب من المآكل كالخبز والتمر ليس غير ففرق بين العنصرين ، فأكرم عنصراً واهان عنصراً ، مما دل على قصر نظره السياسي ، ولاسيما وهو قادم على احتلال بلاد عربية ، زعم قومه على لسان الجنرال مود يوم احتلال بغداد ، انهم انما جاءوا الى هذه البلاد محررين لا فاتحين ، فكان الاجدر به ، وهو في مركزه عند امته ، ان لا يرتكب مثل هذا الغلط الذي نسجله عليه في غير غفران ، وكان عليه — في اقل تقدير — ان يعامل هؤلاء الضباط العرب بمثل ما كان يعاملهم به العثمانيون من المساواة ، ويخيل الينا ان الجنرال طاونزند كان يحسب العرب كالهنود ، فهو قد يعذر على سوء فهمه لنفسيتنا ، ولكننا لا نعذر بحال للممثل السياسي — السر برسي كوكس — الذي رافق الحملة البريطانية ،

فكان خليقاً به ان يلاحظ هذه الامور النفسية الدقيقة فيعصم جماعته من التورط في مثلها تورطاً تسوء عقباه .

* * *

اما المجاهدون الذين كانوا في جبهة القورنة و يقودهم جماعة من المجتهدين والعلماء الاعلام كالخالصي وغيره فقد قاسوا الامرين بعد سقوط العمارة ، وجابهوا شدائد مختلفة ، اذ طاردهم افراد العشائر نفسها على الطريق ونهبوهم واخذوا ارزاقهم وسلاحهم وسطوا حتى على ثيابهم من دون ان يراعوا لهم حرمة مع معرفتهم ان هؤلاء العلماء الافاضل لا يأتوا الا لنجدة الخلافة العثمانية والجهاد الاسلامي .

مغامرة

اما انا فقد ازعجني كل الازعاج ماشاهدته اولا من موقف القائدين التركيين ، ذلك الموقف الذليل الخاضع تجاه الضابط البريطاني البحار ، وما شاهدته ثانياً في وضع الجنرال طاونزند الشاذ مع ضباط العرب ، فلعنت القائدين التركيين على ما ابديا من جبن سجل علينا مذمة الدهر ، وابت نفسي في سرها فعلة الجنرال طاونزند في تفريقه بين المتجانسين واهانته ضباط العرب ، فصممت ان افر من اسره ناجياً بنفسي من المهانة التي لم احتملها مهما كلفني الامر ، وسرعان ما استخدمت الوسائل التي تيسر لي الفرار ، واعانني على ذلك لباسي الاهلي الذي كنت متنكراً به ، فانسللت الى ازقة المدينة ، وانا غير خبير بسبلها ، فصادفت في سبيلي الضابط البغدادي برقي شوقي ببزته الرسمية وهو مضطرب في امره بين ان يهرب او يسلم نفسه اسيراً ، فاتفقنا على الاستخفاء للهروب ، ووقع اختيارنا على دار فطرقنا بابها ،

فخرجت امرأة يهودية فسألتنا عن خطبنا فأفضينا اليها بالامر ، وما كنا نحسب ان يهودية تؤوي مثلنا في مثل هـذه الحال من الاحتلال وهي امرأة — على الاخص — فلم تتردد في قبولنا قبل ان تستشير زوجها بذلك ، فدخلنا الدار . اما رفيقي برقي فقد رأى في ان الفرار من محل الى محل لاينتهي ، فعدل عن رأيه الاول وفارقني على عزم ان يسلم نفسه للانكليز ، واما انا فقد حاولت ان اتصل بعريبي باشا رئيس عشائر البو محمد الذي كان بامرتي في اثناء الحرب فتوسطت لذلك اهل الدار ، فأوفد الي عبداً من عبيده وصحبني الى داره .

وطغت الفوضى على المدينة ، لانها خلت من القوات المحافظة ، وحذر الانكليز دخولها مباشرة ، اذ تراجع الاسطول عن الساحل الى وسط النهر ، فلم يترك جندياً في البر مما جعل الرعاع يقدمون على السلب والنهب لفقدان الوازع ، ومضت ليلة سادت فيها الفوضى النكراء ، وانا في دار عريبي باشا ، ردامت الى ظهر اليوم التالي (٤ حزيران) ، والجنرال طاونزند مرابط في وسط النهر بالاسطول ، تاركاً جيشه بخمسين كيلو متراً بعيداً عنه خلافاً لاصول الحرب كأنه استخفته نشوة الظفر فنسي نفسه وواجبه ، والقواعد الحربية ، وبقي على حال يتهدده الخطر الداهم ، فلما رأى اشتداد الحال وتكاثر الرمي في المدينة ، امر الاسطول بتصويب الرشاش عليها فأردى بعض البريئين قتلى وجرحى يتخبطون بالدماء الى ان تواردت الافواج البرية في البواخر فوجاً اثر فوج ، فسادت السكينة ورجع الناس الى اعمالهم بعد الظهر .

وعلمت ان عريبي باشا ذهب لزيارة الجنرال طاونزند والممثل السياسي السر برسي كوكس في الاسطول ، وبينما كنت عصر ذلك اليوم في الغرفة

الفوقانية انظر الى المارة في الطريق والى جانبي الشيخ محمد العريبي ، اذ لمحت رجلا بريطانياً طويل القامة ، وهو يمشي مشية يعلوهـا الوقار مقبلا على الدار ، فسألت محمداً العريبي عنه ان كان يعرفه ، فأخبرني انه كوكز — كوكز نطقه بالزاي — وفتح الكاف — فعلمت انه الممثل السياسي برسي كوكس ، ذلك الشخص الذي كانت العرب في العراق تهابه وتخشى جانبه ، فحملني حقدي على تلك الاهانة التي لحقت الضباط العرب منه ومن الجنرال طاونزند على خلاف المأمول من مثلهما ، وانا مغمور بشعور النقمة واعصابي متوترة كل التوتر ، فشهرت فوراً مسدسي لاطلقه عليه عندما يدنو دنواً يمكنني من اصابته ولو كان بريطانياً غيره ليس في مثل مقامـه لما همني امره ، وفكرت في اغتياله فطار لب الشيخ محمد العريبي شعاعاً وصرخ صرخة جمع علي من في الدار وهجم علي هو والشيخ مجيد الخليفة فقبضا على يدي واغتصبا مني المسدس ، ولو كنت عالماً انه قـد جاء الى الدار ضيفاً بدعوة من صاحبها لخففت من سورة حقدي وابيت على نفسي ان اقدم على ذلك احتراماً لصاحب الدار وشرف الضيافة ، واني لاشكر الآن ذلك الوضع الذي حال دون اغتيالي هذا الرجل الكبير الذي ادرك بعـد ذلك خطأ سياسته الاولى بعد درس عميق فى تفهم النفسية العراقية الحرة ، فعدل عنها وساعد العراق على نيل استقلاله ، و بذل كل ما في وسعه بذله من المساعدة ، وخشي عريبي من مكوثه عنده فيسر لي سبيل الفرار الى المسيعيدة مقام عشيرته فى الكحلاء ، ولاجل ان التحق منها برتل محمد فاضل باشا ، و بعد ان اخذ لي من برسي كوكس نفسه وثيقة جواز باسم مستعار ، غادرت العمارة فى اليوم الخامس من حزيران راكباً زورقي الذي جئت به ، و بقي بانتظاري فى النهر ، فلما اجتزت زهاء عشرة كيلو مترات بصرت بشخص على الساحل

بلباس رث ، فاستنجدني لاعبر به الى الشاطئ الآخر من نهر الكحلاء ، فدنوت منه.فاذا هو الضابط حسني الشواف البغدادي ، قد سلبته العشائر ثيابه وهو ناج بنفسه من الاسر فلم يدعوا عليه الا ثوباً رثاً ، فرحبت به وابدلت ثوبه بخير منه مما كان معي واصطحبته الى المسيعيدة ، وكانت (عريبة) اخت الشيخ العريبي تتولى القيام مقام اخيها فى اثناء غيابه في الحرب والسلم ، وكانت لي بها معرفة تامة يوم كنا نحارب الانكليز فى اهوار القورنة ، فرحبت بنا خير ترحيب ، وهيأت لنا المرافق ووسائل الراحة ، وعلمنا ان رتل محمد فاضل باشا مر في طريقه الى الكوت بعد ان علم بسقوط العمارة ، فبقينا هنالك لنتخذ الى النجاة سبيلاً ، وصادف ان جاء في اليوم التالي « كوكس » ومعه الشيخ عريبي في زورق حربي لزيارة الشيخة عريبة واقبلا ونحن فى مضيفها ، و بعد ان استقر به المقام وشرب القهوة طفق يتحدث مع عريبة وعريبي ففاجأهما مفاجأة لم تكن فى حسباننا جميعاً ، قال يسألهما أصحيح ان عندكما ضباطاً اتراكاً مستخفين ، فاضطربا من سؤاله ، ووثب عريبي باشا من دهشته وهو على شيخوخته عصبي المزاج حاده يقسم الايمان المغلظة بتكذيب الوشاية التي نميت اليه ، وانها من تزويق اعدائه للتنكيل به فضحك كوكس كأنه يهدئ روع الشيخ عريبي ، ثم حضر الطعام فانقطع الكلام وعاد برسي كوكس بعد الظهر الى العمارة .

وفى ٧ حزيران سنة ١٩١٥ سافرنا فى زورقنا الى عشيرة الازيرج عن طريق الاهوار الى ان وصلنا بعد ثلاثة ايام قلعة قصاب الواقعة على مسافة ٢٠ كيلو متراً جنوب غربي الكوت فالتحقنا بنور الدين بك في الكوت الذي تسلم القيادة العامة بعد انتحار سليمان عسكري ، فجمع شمل الجيش واعاد

تأليف الفرقتين الـ ٣٥ والـ ٣٨ العراقيتين ، واحكم الخطوط الامامية فى الكوت على جانبي دجلة .

... وكان الاجدر بنور الدين بك ، وقد سمع بتعرض الانكليز في ٣١ مايس سنة ١٩١٥ على القورنة ، ان يغادر بغداد فوراً فيحضر العمارة على اقل تقدير ليحول دون ما وقع من الاضطرابات والفوضى في شؤون القيادة ، ولما كانت التبعة تقع على عاتقه مباشرة ، كان عليه ان لا يبعد عن ميدان القتال مئات الكيلو مترات فيؤدي الى ذلك المصير .

لما بلغنا الكوت وجدنا رتل محمد فاضل باشا الداغستاني قد سبقنا اليها منضماً الى قوات الكوت فأمرني نور الدين بك ان التحق بمقره « ملحقاً عسكرياً » .

* * *

حرب المنتفك

كانت القيادة العامة للجيش البريطاني فى العراق بيد الجنرال نكسن ، الذي كان يتلقى الاوامر من القيادة العليا فى الهند مباشرة ، فلما ظفرت بالعمارة وجهت همها شطر الناصرية لاتمام احتلال ولاية البصرة تطبيقاً لما قررته قبلاً ، فولت الجنرال كورنج قيادة القوة التي هيأتها لهذا الغرض فعبأتها نهراً قرب سوق الشيوخ ، وكان وضع الجيش العثماني المرابط فى الناصرية اشبه بوضع فرقة دجلة العثمانية التي كانت ترابط امام القورنة في المزيبلة والروطة وجزر اخرى ، وهي محاطة بالمستنقعات ، فكان خليقاً بالقيادة العامة ان تعتبر بمصير هذه الفرقة فتتجنب الغلط الذي ارتكبته في التعبئة ولا ترتكبه مرة اخرى فى تعبئة الجيش المرابط فى الناصرية ، لذلك لم يفدها ما زادته

من القوات الاخرى ، تهيأوا لصد هجوم الجيش البريطاني ، فاندحرت امامه في (عكيكة) حتى احتل سوق الشيوخ فى اوائل تموز ، ومما يذكر في هذا الصدد الحادث الآتي :

قبل ان يحتل البريطانيون سوق الشيوخ ببضع ساعات ابرق الضابط مولود مخلص الى نور الدين بك في الكوت يخبره بعزمه على الانفصال من الجيش العثماني لا خيانة منه بل خدمة لقومه العرب ، فانفصل فعلا وهرب الى البصرة ، ولحقه الضابطان علي جودت ، وعبد الله الدليمي ، فأسرتهم السلطة البريطانية حتى اذا علمت بنيتهم فكت اسرهم ، ثم عرضت عليهم بعض الوظائف فرفضوا ، فحملتهم الى الجنرال نكسن فى العمارة فعرض عليهم مثل ذلك فرفضوا ايضاً بدعوى انهم لم يفروا من الجيش العثماني الا بغية خدمة الامة العربية ، فغاظه ما افضوا به اليه وامر بهم فأخذوا الى البصرة ومنها نقلوا الى الهند .

بعد سقوط سوق الشيوخ رأى نور الدين بك ان يعزز القوة ويمد قائد لواء المنتفك العقيد احمد بك اوراق البغدادي بالرأي فانتدب لذلك المقدم عادل بك وضمني اليه « ملحقاً عسكرياً » وسرنا الى الناصرية فبلغناها فى اول تموز سنة ١٩١٥ ، وكان الجحفل العثماني فيها مؤلفاً من جنود وضباط جلهم عراقيون ، وفيهم جماعات من المنتمين سراً الى جمعية العهد ، فأخذت اجتمع بهم للمداولة فى وضعنا ومصير البلاد بعد هذه الحروب التى نقاتل فيها على غير جدوى ، ومن هؤلاء المقدم صادق آل شيخ قادر الشيخلي ، والمقدم توفيق الحموي ، والمقدم صادق الجندي الشامي ، والضباط تحسين علي ويوسف العزاوي ورشدي القبطان ، وعبد الرحمن الاعظمي ، واسماعيل نامق ويوسف حنظل ، وموفق الكامل ، والسيد عيسى الوتري ، وغيرهم ممن لم اتذكرهم .

وقد تمكنا من استمالة اكثر الضباط الى جانبنا لتوحيد الكلمة وتقرير المصير، ثم قر الرأي على تأليف مؤتمر سري للسير على الخطة التي يجب اتباعها، وانعقد المؤتمر ول لامرة فى الناصرية بدار الضابط يوسف العزاوي فبحث في هزائم الجيش العثماني المتوالية فى جميع ميادين القتال، ومصير العراق الى الاحتلال البريطاني بسبب سوء تصرف الاتحاديين بمقدرات البلاد، فقرر مايلي :

أ — الدخول في مفاوضة الانكليز على اساس منح العراق الاستقلال تمهيداً لاستقلال بقية الاقطار العربية .

ب — ان يعلن جيش المنتفك انفصاله من الجيش العثماني ويبقى بسلاحه مرابطاً في الفرات ليكون نواة جيش المستقبل .

ج — المداولة بين رؤساء عشائر المنتفك لتأييد هذا المقصد .

واما الذين شهدوا هذا المؤتمر عدا من ذكرنا اسماءهم آنفاً، فهم : ضابط الركن توفيق وهبي، والمرافق رمزي فتاح، وآمر سرية الحرس قاسم وضابطه خلف خيري، ومدير الصحة البدرخاني، وتخلف كثيرون غير هؤلاء عن الحضور لانشغالهم في ميدان القتال .

وشرع بعد ذلك في توزيع الاعمال على الاعضاء كما يلي :—

أ — لما كان القائد احمد بك اوراق البغدادي ، وهو المسؤول عن ادارة الجيش غير عالم بانعقاد هذا المؤتمر، وكان يخشى منه ومن ضابط الركن المقدم عادل بك ان يعرقلا تنفيذ مقرراته، عهد الي والى توفيق وهبي ورمزي ان نعتقلهما فى اثناء تنفيذنا الاعمال، ونودعهما الى رشدي قبطان ليحتفظ بهما فى الزورق البخاري الحربي الذي كان تحت امرته في الناصرية .

ب — ايفاد الضابط يوسف العزاوي الى عجمي باشا السعدون وخيون

العبيد لمفاوضتهما في الامر وحملهما على الموافقة .

ج — اناطة حراسة البلدة بآمر سرية الحرس قاسم وضابطه خالف خيري .

وقام يوسف العزاوي بما عهد اليه ، فقابل عجمي باشا السعدون اولا فتعهد له ان يحمل رؤساء المنتفك على هذا الرأي ، وكذلك اوفد احد حاشيته الى القائد الانكليزي لمفاوضته في الموضوع ، ثم عرج على خيون العبيد فرحب به ووعده ان يستميل رؤساء عشائر الغراف الى الامر الذى جاء به ، وعاد رسول عجمي باشا من القائد بعدم موافقته بحجة ان مثل هذا الرأي خارج عن صلاحيته ، غير انه اغرى عجمي باشا بأن ينفصل عن الجيش العثماني ويقدم اليه مائتي الف ربية عربون الصداقة ، فغاظ ذلك عجمي باشا محتقراً هذا الرأي يصدر من قائد ، وصمم على قتال الانكليز الى النهاية .

وهذا الموقف الشهم لم يكن كثيراً على رجل مثل عجمي باشا السعدون رئيس عشيرة من انبل العشائر ، واذا نظرنا الى الخدمات الثمينة التي اداها عجمي باشا للجيش العثماني حتى ذلك التأريخ نرى انها جديرة بالتعظيم والتقدير ونحن نلخصها فيما يلي :

١ — عند ما انسحب الجيش العثماني من ابي الخصيب بعد محاربة الانكليز انجده عجمي باشا وخلصه من الاسر واوصله الناصرية مجتازاً قلب الصحراء ، وكان هذا الجيش يؤلف لواءً مختلطاً ، وقد قام بما يقتضي له من ارزاق ونقليات وغير ذلك ، مع ما لقي في هذه السبيل من الشدائد والمحن ، وفوق ذلك ان هذا العربي النبيل لم يطمع في ان ينال عوضاً عن خدماته هذه .

٢ — وقفاته في حرب الشعيبة بجانب الجيش ، وجمع عشائر المنتفك

وترأسهم بفطنة ودراية ، ومهاجمته على موقع الشعيبة دوماً لحصر الانكليز فيه ومنعهم من الاستكشاف .

٣ — يوم تعرض الجيش العثماني بقيادة عسكري بك على موقع الشعيبة هجم عجمي باشا مع عشائره على الزبير فاحتلها ، وتقدم الى ضواحي البصرة ، و بعد ان علم بتقهقر الجيش العثماني من ميدان الشعيبة ، اضطر الى الرجوع لنجدته ومنع الانكليز من تعقيبه .

٤ — بعد ان اتم عجمي باشا كل هذه الاعمال ، قام بجمع متروكات الجيش العثماني وما خلفه وراءه من اسلحة وعتاد وارزاق وخيم وأتى بكل ذلك الى الناصرية .

وعاد الانكليز ثانية يحملونه على الانفصال من الجيش العثماني فزادوا فى المال خمسين الف ربية ، ووسطوا له بذلك احمد باشا الصانع ، فأرسل اليه ساعياً يحمل كتابه اليه ، فأمر عجمي باشا بالقبض عليه ، وكان الساعي ذكياً ماهراً ، فما كاد يدفع بالكتاب لخدمه حتى شمر عن ساقيه للفرار .

فلما فشلت المفاوضة فى نتائجها ، قر رأي المؤتمر على البقاء مع العثمانيين وقتال الانكليز بكل ما لدينا من قوة واقتدار ، لاننا كنا نظن ان الانكليز هم كما يدعون محررون وليسوا بفاتحين ، وانهم يروقهم السعي من جانبنا لحقن الدماء ، فلما تبين لنا من مفاوضتهم خلاف الظن آثرنا الاستمرار على ما نحن فيه وقاومناهم — على ضعفنا — اشد المقاومة ، واستطعنا ان نثبت فى جميع المواقف ثبات الابطال ، ولولا نفاد العتاد لطال مدى الدفاع عن الناصرية كثيراً .

ثم تمكن الجنرال كورنج من احتلال الخطوط الدفاعية الامامية في ٢٢ تموز ، وحاول الاسطول البريطاني ان يحتل الناصرية قبل وصول الجيش

اليها كما فعل فى العمارة ، ولكنه فشل لمقاومة ضباط المقر وجنوده العرب له ، ففاجأته من دار الحكومة المطلة على النهر بنار حامية ردته على اعقابه بعد ان خسر زهاء عشرين قتيلا ، فانتهزنا هذه الفرصة ولمنا الشعث اباء على الاسر ان نقع فيه وتركنا البلد عصراً على علمنا بما يحيط به من المياه والمستنقعات التي كانت السبب في ضياع كثير من جنودنا ، حتى بلغنا شطرة المنتفك في اليوم الثاني بعد جهد ونصب من سيرنا ومكوثنا في الهور ، وفى الشطرة بعد ان لمنا الشعث وجمعنا القوى المتفرقة تبين لنا ان الجيش قد وقع جله في الاسر ولم يبق من شتاته ما يؤلف اكثر من فوج مع ضباطه ، اما العدة والمدافع فكانت من نصيب العدو .

اما بعض الضباط العراقيين فقد بقوا في الناصرية لعدم تمكنهم من الهروب منها ، و بعد احتلالها ببضعة ايام تمكن تحسين علي ، ويوسف العزاوي ، وعبد الرحمن شرف ، وعيسى الوتري ، ومحمد من الهروب في وادي الفرات ، اما عجمي باشا السعدون فانسحب مع عشيرته الى تل الرميلة في شمال غرب الناصرية .

ملاحظة وتعليل

ان نتائج هذه الحروب دلتنا دلالة قطعية ، على ان تعبئة الجيوش في الاهوار والمستنقعات مصيرها الدمار والفناء ، كما ادت الى ذلك حروب القورنة ، والروطة ، والمزيبلة والحويزة ، والعمارة . وهذه الحروب الاخيرة في الناصرية ، لان المستنقعات بطبيعتها تحول دون سهولة الحركة والتجوال والمواصلات ، وخاصة ضبط خط الرجعة الذي يعتبر الالتفات اليه والعناية

بأمره دائماً من اعظم الامور ، لانه من اعظم اسس الحرب ، وكان الامر الطبيعي في حالة ضرورة التعبئة في المستنقعات اتباع احد امرين :

أ — اما تعبئة قوات ضئيلة تسندهـا قوة سيارة بقوارب مصفحة ترمي العدو وتستطلع حركاته مع ابعاد القوات الاصلية الى حيث تكون التعبئة حائزة على جميع شروط الدفاع .

ب — واما ان تجعل مواضع التعبئة في المستنقعات اشبه بالقلاع في تحصينها وتيسير السبيل اليها بحيث يبقى خط الرجعة محتفظاً به ، غير ان هذا الامر يكلف مبالغ طائلة و يستدعي استحضاره قبل الدخول فى الحرب ، وهذا ما عجز عنه العثمانيون فاضطربوا في قتال الانكليز ، وانتهى الى الفشل في هذه الحروب ، وقد حصلت لهم تجاريب كثيرة فلم ينتفعوا منها بطائل ، وانما استمروا على اغلاطهم في التعبئة والدفاع ، واني اعتقد ان السبب لوقوع مثل هذه الاغلاط يعزى الى كثرة تبدل قوات الاتراك وعدم استقرار القيادة العليا على خطة سليمة .

واحب ان اشير هنا الى ملاحظة لاحظتها على الضباط في هذه الحروب ، فقد وجدتهم يحاولون دائماً ان لا يقعوا فى اسر الانكليز ، ولاسيا بعدما علموا بنيات حكومة الهند تجاه العراق ، فكانوا بعد كل معركة يقاومون بها مقاومة الابطال ، ثم يكون الفشل نصيب العثمانيين بسبب قلة العدد وفقدان وسائل الحرب واغلاط التعبئة من جهة ، وتيسر كل ذلك للعدو ، نعم كانوا بعد كل معركة من هذا النوع ينجون بنفوسهم غالباً من الاسر فيعودون حالا الى الصفوف الجديدة لاستئناف القتال غير مبالين بما يحيق بهم من تعب وتعرض للموت ، هذا اذا لم نذكر ما كان يتهمهم به القواد الاتراك من الخيانة.

اما الانكليز فكان في استطاعتهم — بعد احتلال البصرة — ان

يصلوا الى بغداد في بضعة اسابيع فيحتلوها لعدم وجود قوات للعثمانيين تصدهم عن سبيلهم ، ولكن الجنرال نكسن قائد القوات البريطانيـة ابطأ في تسيير قواته ، فلم يحسن الاستفادة من الفرصة التي سنحت له ، والا لما طال عليه الزمن في احتلال بغداد وتكبد بذل الاموال والانفس ، وقد كانت عنـده جميع الوسائط الكافية من مال ورجال لتنفيذ مقاصده ، وكان السبيل ميسراً له معبداً ، ولاسيما الخط الاصلي وهو وادي دجلة ، فليس فيه ما يعوقه من التقدم ، واحتلاله للبصرة بسرعة غير منتظرة ، قـد ولد الرعب في نفوس الاهلين والعشائر من الانكليز ، وكون فيهم الاعتقاد الجازم بعظمة القوة البريطانية ، عظمة لا تناهض وكانوا جميعاً متذمرين من سوء ادارة الاتحاديين وفساد الموظفين ، بحيث لم يخطر ببالهم ان ينضموا الى جانبهم ويقاوموا الانكليز ، فكان على القائد البريطاني والممثل السياسي الذي معه ان يفهما كل الفهم هذه النفسية التي غمرت العراقيين ولا يتلبثا بالمسير بحجة الشؤون الادارية وتمهيد السبل والوسائل .

لسنا نقول هذا القول الا لبيان اخطاء القائد والممثل من الوجهة العسكرية والسياسية .

بعد حرب الناصرية

بعد تجمع الفلول في الشرطة ونجاتي للمرة الثالثة من الاسر ، فالتحاقي بهذه الفلول امرت القيادة العامة ان نلتحق بالكوت فبلغناها بعـد مسير ثلاثة ايام بقيادة القائد الباسل احمد بك اوراق البغدادي ، وذلك بأوائل شهر آب سنة ١٩١٥ ، وعاد احمد بك بأمر من نور الدين بك الى السماوة فكون من عشائر المنتفك والسماوة جبهة لصد القوات الانكليزية في ميدان

وادي الفرات ، ثم مر من بغداد بسرية خيالة ، وانضم اليه عجمي باشا السعدون بعشيرته . ثم اتخذ الرميلة وهي على ٢٠ كيلو متر من خضر الدراجي غرباً مقراً له فالتف حوله كثير من عشائر ابن رشيد وهم من شمر تحت رئاسة عقاب بن عجيل والعجمان تحت رئاسة غيدان بن حثلين مجاهدين باسم الدين ، وحاول الانكليز ان يدنوا بالاسطول النهري من السماوة ، فصدهم المرابطون من الاهلين المجاهدين والدرك المحلي ، وحصلت بين حين وحين مناوشات بين العشائر الموالية للعثمانيين و بين فريق من الظفير كانوا يوالون البريطانيين برئاسة الشيخ حمود السويط لطمعهم بالمال .

المطالبة بالحقوق وأثر جمعية العهد

لما اخفقت المفاوضات مع الانكليز على استقلال العراق في الناصرية بقيت جمعية العهد تتربص سنوح الفرص لنيل مرادها وتحقيق الغايات التي تتوخاها في سبيل الاستقلال ، ولم يفتر لها عزم ، ورأت الضرورة تقضي بعقد اجتماع في الكوفة من رؤساء الفرات الاوسط للبت في الامر ، فعقد فعلاً وانضم اليه من رؤساء القبائل :

مبدر الفرعون شيخ قبيلة الفتلة ، والسيد علوان ، واربعة من شيوخ الدين لا اتذكر اسماءهم ، ومن الضباط تحسين علي ، ويوسف العزاوي ، وعبد الرحمن شرف ، وعيسى الوتري ، ومحمد حمدي (حفيد عبد الوهاب النائب) ، فتداول هؤلاء فيما بينهم لتحقيق المقاصد التي من اجلها عقد هذا الاجتماع فقرروا ضرورة القيام بمفاوضة الاتراك على موضوعين مهمين وهما :

١ – استقلال العراق .

٢ — واستحصال حقوقه المقتضاة .

هذا ولم يجزموا بهذا الرأي ، بل رأوا من الارجح ان يتعلقوا بالشق الثاني وحده ، لانه اخف وطأة من الاول ، فقرروا باتفاق الآراء ، غير انه نشأ اخيراً اختلاف فيما بينهم على وقت المطالبة ، فاقترح بعضهم وجوب الاستمرار على مقاومة الانكليز اولا ، حتى اذا دحروا وفزنا بالنجاح طالبنا الاتراك بحقوقنا ، وقال آخرون : ان الاتراك ان لم يعطونا حقوقنا في حالة ضعفهم هذا فهم لايمنحوننا منها شيئاً ، وخرجوا من هذه المعارك منتصرين ، سيصبحون اقوياء لا محالة وسنصبح طعمة للالمان .

وكان من اصحاب الرأي الاول تحسين علي ، ومبدر الفرعون ، واحد العلماء الاربعة ، اما اصحاب الرأي الثاني فهم الاكثرية .

ولما رأى ذلك الشيخ مبدر الفرعون(١) خاطب شيخ بني حسن — بعبارات جوهرية ثمينة جداً دلت على فرط دهائه واقتداره — قائلا : ياعلوان ألم اقل لك يوم كنا في سجن بغداد ان العلم هو اساس كل عمل ، وان كل عمل لا يكون قائماً على اساس عاقبته الفشل ؟ ووضعنا الحاضر مما يؤيد قولي هـذا ، لاننا نشعر ان حقوقنا مغصوبة ، ولكن لقلة علمنا لا نهتدي الى الطريقة القويمة التي يجب ان نسير عليها لتوصلنا الى تحقيق غايتنا ونيل مرادنا ، مع هـذا اني لا اخالفكم في امر ، وانما اريد ان تنظموا المواد التي هي في صالحنا وتكفل حقوقنا لنقدمها الى عاكف بك قائد منطقة الفرات في الكفل وننتظر ما تلد الايام لهذه الامة ، فعسى الله ان يجعل العاقبة خيراً .

فنظمت المواد الآتية :—

١ — لا يخفى ان العرب والاتراك تجمعهم الرابطة القويمة ، الدين

(١) هو اول من انتسب من رؤساء عشائر العراق الى النادي الادبي في بغداد سنة ١٩١٢ .

والتأريخ ، والعرب لا يودون قطعها بل هم حريصون على المحافظة عليهما لعلمهم انه في انقطاعهما تسوء الحالة وتؤدي الى ضعف الطرفين معاً ضعفاً يستغله الاجنبي فيستفيد منه بحكم الواقع .

٢ــ نحب ان نذكر اخواننا الاتراك بأن حقوقنا مهملة كل الاهمال ، ونحن لا نحاول ان نطالب الا بالشيء القليل منها ، واشد الدول المستعمرة استعماراً قد منحت الشعوب حقوقها الطبيعية دون ان تطالب بها تلك الشعوب ، لانها رأتها من الامور الضرورية .

٣ــ نرجو من اخواننا الاتراك ان يسمحوا لنا بأن تكون المحاكم والمعارف وجميع المعاملات الرسمية في العراق لغتها الرسمية اللغة العربية .

٤ــ لما كان العراق يفتقر الى بعض الاصلاحات الحيويه والعمرانية ، فينبغي والحالة هذه ان تحصر واردات العراق بالعراق وحده ، وان تصرف فيما هو في حاجة اليه من العمران .

٥ــ ان تكون اللغة في تدريب الجيش باللغة العربية ، وان لا يرسل الجيش العراقي الى خارج العراق ما دام العراق في حاجة اليه .

٦ــ ان يكون الموظفون في العراق من العراقيين .

٧ــ لما كانت هذه المواد تكفل للطرفين حقوقهم ، فنرجو الموافقة عليها لنبقى قلباً واحداً ويداً حديدية على العدو ، والسلام .

ووقع هذه المطاليب بعض رؤساء العشائر والعلماء ، وارسلت الى عاكف بك ، وكان في الكفل ، ورفعها عاكف بك الى القائد العام نور الدين بك المرابط في ميدان الكوت .

ودخلت بعد ذلك يوماً على نور الدين بك في امور رسمية ، فشاهدته يغمره الغضب وشاهدت امامه المواد المذكورة .

فشرع يسألني عن هويات الموقعين ومبلغ نفوذهم وهو يقذفهم بقوارص الكلام. ثم اجابهم بكتاب قاسي اللهجة عنيف واوقدت يومئذ نيران الثورة في الحلة وكربلاء.

حروب الكوت

كانت حروب الكوت اهم الحروب التي نشبت بين العثمانيين والبريطانيين في العراق لذلك عني بتفاصيلها كثير من الباحثين من عرب وترك وبريطانيين. سأقتصر هنا على رواية ما لم يقع لغيري من المشاهدات والحوادث.

عينت على اثر التحاقي بالقيادة العامة في الكوت مدرباً بالسرية التي الفها نور الدين بك بامرة الملازم الاول يوسف حنظل، اسماها (سرية النموذج) من ضباط الصف خاصة لتدريبهم في المقر مدة ستة شهور، ليكونوا وكلاء ضباط الوحدات، فبادرنا للتدريب حالا. ولما كان الحر شديد الوطأة وقفت الحروب الا مناوشات طفيفة، كانت تقع احيانا بين الخيالة الامامية من الجانبين، وكانت طيارات الانكليز تحوم فوقنا كل يوم للاستطلاع. وفي ١٦ ايلول اسقط الجيش العثماني اول طيارة انكليزية فاسر ربانيها الضابطين و بعث بها الى بغداد فعرضت على الجمهور في القلعة فكانت الطيارة الاولى التي شاهدها البغداديون. وكانت قوات الجيش العثماني المرابطة امام الكوت مؤلفة من الفرقتين الـ ٢٥ و ٣٨ اللتين اعاد تنسيقهما نور الدين بك من الفلول المنهزمة، وكانت اسلحتها مختلفة الانواع واكثرها من الطراز القديم، واضاف الى هؤلاء الفلول بعض الافواج الاحتياطية أتى بها من بغداد وكذلك وحدات رتل الحويزة او بقية السيوف من لواء المنتفك

وعززها بالمدافع القديمة الطراز فكان مجموع الفرقتين لا يتجاوز الـ ٧٠٠٠ نسمة وقد عبأهما بين نهر دجلة وهور مدحي فكان خط الدفاع بالنظر للوضع الحربي يعد أحسن خط دفاع انتخب من بداية الحرب في العراق الى هذا اليوم .

وقد انتقد الجنرال طاونزند في مذكراته نور الدين بك فقال لو كنت انا في مكانه وانا اعلم بنقص وسائط النقل البرية عند الانكليز اذن لانتخبت موضع الدفاع في مسافة تبعد ١٢٠ــ١٥٤ كيلو متر عن النهر واذا نزلنا جدلا عند ملاحظة الجنرال واعتبرناها معقولة بالقياس الى مابدا له من وجه الرأي فانه فاته ان يفكر في وضع الجيش العثماني الذي كان مبتلى بمثل النقص الذي يشير اليه وزيادة . فكيف اذن يكون بامكان القيادة العثمانية ان تبتعد ــ والحالة هذه ــ عن النهر وهو الطريق الوحيد للمواصلات النهرية التي كانت تمون الجيش العثماني .

ولتأمين خط الرجعة مهد نور الدين بك السبل بين الكوت و بغداد وشيد القناطر ولتهيئة خط ثان للدفاع عن بغداد الف لجنة عسكرية من الضباط القدماء الخبيرين من البغداديين المتقاعدين الذين في رتبة المقدم فما فوق ، فاناط بهم تحكيم خط دفاع سلمان باك ، فاستخدموا لذلك الاهلين واعانهم عليه بعض الوحدات العسكرية المحلية فحفروا الخنادق ونظموا الخطوط حسب القواعد الفنية فكان ماعملوه خير معين على دحر العدو في حرب سلمان باك.

* * *

كما ان نور الدين بك الف سرية من فلول كتيبة الدرك المتكونة من افواج البصرة والعمارة والناصرية فالحقها بالمقر العام وعهد بقيادتها الى رؤف بك الكبيسي ثم امره ان يسير الى ناحية شيخ سعد

لاستردادها وكان الانكليز حينئذ بين علي الغربي وكميت فوصلها وعين فيها الى وظيفته الاولى مديراً ثم صدر اليه الامر بالزحف على (علي الغربي) حتى دخلتها فعين قائمقام لها وقائداً للموقع فيها . وانسحب الانكليز الى كميت ثم وصل صبري بك قائد الخيالة وبعض العشائر فامر رؤف بك ان يسير نحو (علي الشرقي) ليستردها فتمكن من دخول علي الشرقي . ثم زحف بثلاثين خيالا فقط على كميت حتى اذا دنا منها عبر النهر سباحة . وانضمت اليه عشائر البو دراج فاصطدم بالانكليز بضع ساعات فلما رأى الانكليز انهم محاطون بقوة لاقبل لهم بها انسحبوا من كميت ودخلتها القوة مع العشائر و بعد يومين دخلها الجيوش النظامية بقيادة صبري بك ثم تقرر ان يذهب المجاهدون الى العمارة غير ان سقوط الناصرية حينئذ اوجب صدور الاوامر برجوع القوة الى (شيخ سعد) .

سقوط كوت الامارة

تقدم الجنرال طاونزند الى الكوت على رأس الفرقة السادسة البريطانية وهي مؤلفة من اكثر من ١٣٠٠٠ مقاتل فهجم في صبيحة ٢٧ ايلول ١٩١٥ على مواضع الاتراك الامامية وسير القسم الاكبر لتطويقها من جانب الموضع الايسر (اي من هور الشويخة) في جنوب شرقي الكوت فثبت الجيش العثماني في باديء الامر في الخطوط الامامية وظل يناضل زهاء اربع ساعات ثم اضطر ان يتقهقر قليلا الى الخط الخلفي تاركا للعدو بعض الاسرى و ١٥ مدفعاً ، وكان عازماً على الثبات في هذا الخط غير انه لما علمت القيادة العامة بالتفاف القوة البريطانية من جناحها الايسر امرت الجيش عصراً بضرورة ترك الخنادق والانسحاب فوراً الى الشمال فشاهدت في ذلك اليوم

اصعب موقف حربي شاهدته في حياتي ذلك ان نور الدين بك حينما ضاق به الحال امر سريتنا (النموذج) بالسير مع الفوج الاحتياطي ونصف البطرية المدفعية الاحتياطية وزودها بالتعليمات الآتية : —

آ — ايقاف القوة البريطانية القائمة بالالتفاف على جناحنا الايسر.

ب — ثم الدفاع عن الجسر المنصوب على نهر دجلة .

ج — وحرق هذا الجسر بعد مرور الجيش عليه وان نبقى نحن في مؤخرة الجيش لنقوم بوظيفة « مؤخرة » .

فسرنا جميعاً ومعنا مدفعان صحراويان كانا في الاحتياط لصد هذه القوة الجسيمة مهما كلفنا الامر الى ان يتم انسحاب الوحدات العسكرية امام العدو . فكان الوقت عصراً فتوجهنا شطر الشرق وقصدنا هذه القوة البريطانية وكانت لاتقل عن لوائين من مشاة وخيالة ومدفعية تساعدها الطيارات . حتى اذا بعدنا عن معسكرنا ٣ كيلو مترات التقينا بها وهي قادمة الينا لاحتلال مقر القيادة والجيش فاقتتلنا قتالا عنيفاً حتى دنت منا فكانت على بعد نحو ١٥٠ متراً بعد صعوبة ومشقة لشدة مالقيت منا من المقاومة واسكتت مدافعها الكثيرة الحديثة الطراز مدفعينا البالبين بعد مضي ساعة على القتال غير ان المشاة استقتلوا فاخروها عن التقدم حتى خيم الظلام فتم لنا ما اردناه من ايقافها حسب امر القائد وقوتنا هذه على ضآلتها بالنسبة لقوة العدو كانت تتفوق بالمهارة والبسالة فاستطاع جنودنا بان يأتوا الخوارق ويغيروا الاحوال السيئة التي كانت تهدد الجيش العثماني كله بالاسر في ذلك الموقف الرهيب وانا لسجل هذه الظاهرة الممتازة في تأريخ الحروب العراقية إذ فاة المؤرخون ان يشيروا اليهـا ، فلما تمكنا من ايقاف القوات البريطانية انتهزت وحدات جيشنا فرصة الانسحاب وعبور نهر

دجلة الى الشاطيء الايمن على الجسر القديم وتمكنا في فرصة الظلام النجاة من النار الحامية لقرب المسافة بيننا و بين المهاجمين بعد ان تركنا ٥٠ قتيلا وجريحاً من سريتنا وكانت تتألف من ١٨٠ محارب . اما فوج المشاة والمدفعية الذي كان بجانبنا فلم يستطع المقاومة الى الاخير فسلم للعدو .

اما نحن فلما عبرنا الجسر احرقناه نزولا عند امر القائد كما تقدم خشية ان يستفيد منه العدو وثابرنا تلك الليلة على السري مسرعين كل الاسراع لبلوغ خط سلمان باك الدفاعي قبل ان يدركنا العدو في الطريق فيشتت شملنا . ونفذنا الواجبات المطلوبة منا بحذافيرها فمكنا للفليق ان ينسحب دون ان يتكبد خسائر اخرى وخيبنا العدو في التفافه ان يظفر به وكانت قيادة الجيش العثماني تجهل امر الالتفاف لنقص وسائل الاستطلاع فلم يبلغها خبره الا ظهراً بعد انحدار القوات الامامية وتقهقرها الى الخط الثاني وكاد ذلك يقضي على الفيلق برمته لولا بطء مسير الجيش انكليزي الذي كان يحاول الالتفاف اولا ثم ثبات قوتنا الاحتياطية الصغيرة التي تفادت في سبيل الواجب حتى فنيت الا شرذمة قليلة .

وكان ماخسره الجيش العثماني في هذه المعركة ينيف على الف وخمسماية قتيل واسير وسبعة عشر مدفعاً صحراوياً من الطراز القديم . بينما فقد الجيش البريطاني ماينوف على الـ (١٢٠٠) قتيلا كنا قد بينا فشل خطة الجنرل طاونزند في تطويقه الجيش العثماني المرابط في الكوت برمته كما اعتاد ذلك في حروب القرنة والعمارة اذ ساعده الحظ واتفق ان كان مقاوموه قادة جبناء وضعفاء في المعرفة بفنون الحرب . اما هذه المرة فقد قابله قائد خبير (الزعيم نورالدين بك) ابدى مهارة فائقة في التخلص من قبضته والنجاة من اسره على ضعف جيشه الذي كان مؤلفاً من الفلول المنهزمة وقلة عدته

ووسائله الحربية فاستطاع ان يتقهقر الى الصويرة ثم القصيبة معقباً الساحل الايمن من دجلة فحال دون تعقيب الجيش الانكليزي له . وكان على الجنرال طاونزند ان يفكر قبل هجومه احتمال عبور الجيش العثماني الى الشاطيء الايمن مستفيداً من الجسر هنالك على مقربة من القيادة العامة ولاسيما وان وسائله وادواته الحربية كانت متوفرة بحيث يستطيع ان يسير منها رتلا في الساحل المذكور لتهديد مقر القيادة العثمانية العام وتخريب الجسر والحيلولة دون العبور ولو كنت انا في مكانه من القيادة وفاتني ان افعل ذلك لطيرت — على الاقل — الطيارات لتخريب الجسر بالقنابر والحيلولة دون هرب الجيش مني. ولا سيما ان لدى الجنرال طاونزند لواء خيالة كامل المعدات والمدافع وسرب من الطيارات القاذفة القنابل فكان بامكانه القيام بتعقيب من الساحل الايسر يسنده الاسطول النهري فلم يفعل ذلك بدعوى تردد لواء الخيالة في التعقيب وحجته انه ليست لديه قدور لطبخ الطعام ! ! وياله من عذر قوي في هذا الموقف يوصم صاحبه بوصمة الجبن والعار اذ كان في استطاعته ان يحصل على هذه القدور من اسواق الكوت والبغيلة والعزيزية حتى من العشائر القاطنة على ساحل دجلة بكل سهولة .

الحملات العسكرية

من جملة خطط انور باشا التي كان مهتما بها في اثناء الحرب العظمى ايفاد حملات عسكرية سياسية الى البلاد الاسلامية خارج المملكة العثمانية وحث اهالي تلك البلاد على الثورة للقيام على الدولة التي تحكمهم فتألفت لذلك عدة حملات في اوائل ٩١٥ ووددت ان اذكرها مختصراً لعلاقة بعضها بالاقطار العربية.

١ ـــ حملة طرابلس الغرب: قام بها الجنرال جعفر العسكري العراقي ونوري اخو انور

باشا وكانت مهمتهما اصعب بالنسبة الى بقية الحملات لأن الضرورة كانت تقضي بالسفر اليها في البحار التي تحت سيطرة دول الائتلاف وكان الضباط والجنود والمعدات الحربية ينقلون اما بسفن شراعية تستأجر من الاهلين في السواحل العثمانية وتسير متنكرة واما بغواصات الالمان المدائية مخترقة تلك البحار التي هي مسرح لتجوال اساطيل العدو الفائقة العدد ومع كل هذه الصعوبات تم للقائمين بها الوصول الى منطقة برقة في ولاية طرابلس الغرب والاتصال بالسيد احمد الشريف السنوسي الذي كان في انتظارهم للقيام على الدولة الايطالية في القطر ثم الهجوم على الانكليز في المملكة المصرية واخراجهم منها فدخلت هذه الحملة حدود المملكة المصرية على مسافة ٣٠٠ كيلو متر واحتلت كثيراً من الارضي والقرى التابعة لها بعد معارك طفيفة الى ان اشتبكت مع الجيش الانكليزي بمعركة دامية من المعارك الفاصله بقرب موسى مطروح انتهت باعتقال قائدها جعفر العسكري بعد ان جرحت كفه اليمنى بضربة سيف كادت تقضي على حياته لولا ان اتقاها بها وثم نقل مخفوراً الى القاهرة حيث اعتقل في القلعة .

٢ — حملة مصر : قام بها جمال باشا فجهز لها الجيش النظامي والعشائر العربية من سورية وفلسطين فهاجم قناة السويس حتى استطاع احد افواجه ان يجتازها في بادئ الامر ولكن قوة الاسطول الانكليزي في دفاعه خذلت هذه الحملة وبقي الفوج العثماني في الجانب الغربي من قناة السويس حتى وقع في الاسر وتقهقر الجيش على اعقابه .

٣ — حملة ايران : وتقدمت هذه الحملة بقيادة خليل باشا حدود شمال المملكة العثمانية فتوغلت في ايران ولكنها لم تتمكن من الاستمرار لمجابهتها قوات الروس التي كانت واقفة لها بالمرصاد .

٤ — حملة الهند : الفت في بغداد في اوائل ١٩١٥ (بقيادة المقدم البحري

حسين رؤوف بك) من تلاميذ دار التدريب لضباط الأحتياط التابعين للخدمة المقصورة ومن ثلاث سريات مشاة من قوات الحدود اناط قيادتها بضباط اتراك من تراقية وجردها من ضباطهم الاصليين . وعززها بمدفعين جبليين عاديين . وقد كون منهم عصابات منظمة ليستخدمها في تمهيد اعماله واخترق بهذه الحمله حدود ايران الغربية في غير مقاومة حتى بلغ قصر شرين فاتخذه مقراً له ووجهته الافغان فالهند. ولاجل نجاح هذه الحملة كان عليه ان يتفاهم مع الدولة الايرانية وعشائرها قبل ركوب هذا المركب الوعر غير انه لم يفعل وتوغل احد قواده اسماعيل بك في العشائر السنجابية وحده فقتلوه اذ وجدوه مسلحاً وطمعوا بماله . فغاظ ذلك حسين رؤوف بك واراد الانتقام له فجرد حملته على هذه العشيرة فصدمها وغلبها واخذ يتعقبها الى (كرنت) في موقع حصين لم يتمكن من اجتيازه فوقف هنالك بدون جدوى . ولما رأت الحكومة فشله في محاولاته أمرت بالعودة الى بغداد وارسلت في محله المقدم عثمان بك الاسكوبي . وقد شاع يومئذ ان حلفاء الاتراك الالمان هم الذين اثاروا العشائر السنجابية على هذه الحمله لئلا تكون للترك سيطرة في البلاد الايرانية ، ثم اشاروا من طرف آخر على الدولة العثمانية ان تسحب هذه الحملة ؛ وزعت قوات هذه الحملة في بغداد على الفرق المرابطة في ميادين القتال في العراق .

ميدان سلمان باك

بعد ان تم لنور الدين بك الانسحاب الى خط سلمان باك الدفاعي بانتظام نشط لتنسيق الجيش موضع مايلزم من الخطط لتقوية هذا الخط وتعبئته ثم شرع في تدريب الجيش وتجديد لباسه وتموينه وتنظيم

شؤونه . ولاجل ايقاع الخوف والرعب فى نفوس الجيش شنق بضعة جنود من الفارين وفى الوقت نفسه اخذت النجدات تتوارد من الاناضول عن طريق الموصل فى الكلاك (وهي الوسائط النقلية النهرية الوحيدة) في القسم الواقع مابين ديار بكر وبغداد ، بلغت القوات التركية زهاء عشرين الف مقاتل و١٣ بطرية مدفعية تحتوي على مدافع مختلفة الاجناس والمجووع (٥٢) مدفعاً . وكانت تحت امرة الجنرال المتقاعد مظهر باشا قوة من العشائر فالحق بها كتيبة الخيالة لتكون ردءاً لهذه القوة فى جناحها الايسر وتقدم الجنرال طاونزند فى ١١ تشرين الثاني ١٩١٥ من القطنية بعد ان جمع قواته فى العزيزية وهو يقود الفرقة السادسة المعززة ببعض الوحدات التي الحقها بها من الفرقة١٢ الانكليزية معلواء الخيالة واسندجناح هذه القوة الايسر باسطوله النهري المؤلف من خمس بواخر حربية خفيفة وجناحه الايمن بلواء الخيالة .

وفى ١٨ تشرين الثاني ١٩١٥ تقدمت القوة البريطانية نحو سلمان باك حسب الخطة التي رسمها الجنرال طاونزند من الاستعداد للهجوم على قلب الجيش العثماني وضربه الضربة القاضية ثم بتعقيبه المتواصل السريع حتى يحتل بغداد .

وقد كان هذا الموقع الجديد على شيء من المنعة لاسيما انه كان على مقربة من بغداد مركز تموينه ويسهل عليه الاتصال بالنجدات التي كانت آتية من الشمال كما حدث فعلا فانجدته الفرقة الـ ٤٥ واكثر الافواج التابعة للفرقتين الـ ٥١ و ٥٢ وكان قد احكم موقع سلمان باك وجعله من المواقع المستحكمة على قدر الامكان .وقد عبأ نور الدين بك الفرقتين الـ ٤٨ و ٤٥ فى الجانب الايسر من دجلة وعززها ببطرية حصار عادية وعبأ الفرقة الـ ٣٥ فى الجانب الايمن اما الفرقة الـ ٥١ فاها احتياطاً في القصيبة

في الجانب الايسر من النهر وفي ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٥ اخذ الجنرال طاونزند يهاجم المواقع التركية الامامية وهي مرابطة في خنادقها فكانت خطته في هذا الهجوم كالخطة التي هاجم بها كوت الامارة وكانت الحملة الاولى على الجانب الايسر مقابل الفرقة الـ ٣٨ التي كانت حائزة على ٢٠ مدفعاً صحراوياً من المدافع العادية . وقد هاجم طاونزند هذه بـ ٨٥٠٠ بندقية و٤٠ مدفعاً سريعة الطلقات فكانت هجمة عنيفة على هذه الفرقة حيث اضطرت بعض الافواج المدافعة الى ان تتراجع الى الخط الثاني وعلى اثرها لقد اضطر ١٣٠٠ جندي على التسليم الى الانكليز . فاسند نور الدين بك الفرقتين الـ ٣٥ والـ ٤٥ لنجدة هذه الفرقه ٣٥ المتقهقرة من امام العدو فهجمتا فوراً هجوما وفي الوقت نفسه امر الفرقة ٥١ لتقوم بحركة الالتفاف على الجناح الايمن للعدو وتطويقه لولا حركة هذه الفرقة التي دت الى فوات فرصة التطويق استعادتنا بها ماخسرته القوات السابقه من مواقع ، وفي مساء ذلك اليوم تلقيت من القيادة امراً بلزوم الذهاب للاستكشاف في الساحل الايمن عن حقيقة عبور الانكليز الى الجانب الايمن للالتفاف عليها فاستصحبت ثمانية جنود من المقر وعبرت الى الجانب الايمن و بعد مسير مسافة ١٠ كيلو مترات فوجئت بعصابة من بعض العشائر قوامها (١٠٠) مسلح بحالة مريبة بقصد سلب من تظفر به . فلما شعرت بهم لم يكن لي الا ان اتظاهر بالقوة تظاهراً يجعلهم ان يعتقدوا انني طليعة لقوات هائلة في اثري ـ وصحت بهم ان لاتخافوا نحن لانريد بكم الشر وانما غرضنا العدو وتطويقه بقواتنا المنظمة القادمة وراءنا فانصرفوا من حولنا مصدقين بما قلت لهم . ثم سألتهم عن وضع الانكليز ان كان عندهم علم به ثم اخذت اوزع الجنود اثنين اثنين الى الجهات المختلفة على مرأى منهم

تظاهراً بالاستطلاع الى ان انسللنا هاربين في مظهر لايشعر بغير الاعتزاز بالقوة والكرامة . ولما عدت الى المقر انبأت القائد بما وقع لي وافضيت اليه بما استخبرت عن لانكليز منهم . نعود ونقول عدم صحة الاستخبارات عن حالة عدد قوات العدو المهاجم ادى الى اتخاذ مقررات سقيمة رغم انتصار القوة العثمانية على العدو ولا سيما بعد هجماتهم التي خسروا بها خسارات عظيمة . وقد خسر الجيش العثماني نحو (٣٠٠٠) قتيل والجيش الانكليزي زهاء (٤٥٠٠) قتيلا . وكان (موقف هذا الحرب) رهيباً جداً في تصادم الجيشين واشتباكهما في ميدان سلمان باك اشتباكا يشعر بعظم النتائج في حالة تغلب احدهما على الآخر وفوزه ببغداد فاما ان ينجح الجيش العثماني فيحتفظ بها واما ان يفشل فيضيعها . وادرك الجنرال طاونزند بعد هذه المعارك عدم تمكنه من تنفيذ خطته للفشل الذي اصابه وعدم استعداده للاستمرار على الحرب لقلة قواته ولاسيما بعد تلك الخسائر التي مني بها جيشه في المعركة الاخيرة فقرر الرجعة ليلا منتهزاً فرصة الظلام فتقهقر الى الجنوب ليحتمي بالهماش ولما كان ضابط الكشف من كتيبة الخيالة للجيش العثماني يرصد العدو ويستطلع حركاته رآه فى اثناء تجمعه وهو يستعد للانسحاب يولي وجهه شطرنا حسب القواعد الحربية فى حالة التجمع امام العدو للتقدم او للتقهقر فظن انه قائم بحركة التفاف حول الجناح الايسر من شرقي قناة النهروان باتجاه نهر ديالى على حين انه كان يريد الهروب فاسرع الى القيادة يخبرها بما رأى فشوش عليها افكارها واقلق موازنتها حتى يخطر ببالها الا ان الجيش البريطاني يحاول الهجوم لا الانسحاب ولما لم يكن لدى نور الدين بك قوة احتياطية اخرى يقاوم بها هذه المناورة اسرع قبل ان يتأكد فامر الجيش بالتقهقر فوراً الى خط ديالى الاحتياطي ليأمن عاقبة التطويق . وهكذا انسحب

كل من الجيشين العثماني والبريطاني دون ان يشعر به الآخر لقلة دراية ادارتي الاستخبارات عند العثمانيين وعند الانكليز ومن الصدف الغريبة ان الجهتين كانتا قد قررتا الانسحاب في تلك الليلة نفسها (٢٣ | ٢٤ تشرين الثاني سنة١٩١٥) دون ان تعلم الواحدة بالاخرى فانسحب الجيش العثماني الى ماوراء نهر ديالى ، وانسحب الجيش الانكليز (الى الهماش) . ولو علم احدهما بنبأ الآخر فاستغل هذه الفرصة وهاجمه وهو يريد التقهقر لانزل به ضربة قاضية .

* * *

وجاء صباح يوم ٢٤ فشاهدنا بعض فرسان العشائر قادمين من سلمان باك وخيلهم موقرة بالبندقيات الانكليزية وهم يبشروننا بانخذال العدو وتقهقره في تلك الليلة واخبروا بانهم لما رأوا خلو الخنادق ذهبوا اليها فجراً فبحثوا فيها فظفروا بهذه الاسلحة بمقربة من قبلاه . ثم عقبه خبر ثان من كتيبة الخيالة التي كانت تستطلع في الجناح الايسر مؤيدة هذا الخبر فأمر نور الدين بك باعتقال ضابط هذه الكتيبة الذي ادى كشفه المغلوط اول مرة حين زعم التفاف العدو على جناحنا الايسر الى قلب صفحة الحرب رأساً على عقب وانسحاب جيشنا الى الوراء فلما تبين لنور الدين بك بانه خدع بهذا الكشف المغلوط امر قواته ان ترجع على اعقابها حالا الى مواقع سلمان باك ريثما يتم له معرفة الوضع الحربي . اما الانكليز فقد ظنت دائرة استخباراتهم حينما رأت هذه الجموع العثمانية في حالة رجوعها الى سلمان باك انها جيوش جديدة قادمة للنجدة فبادر الجنرال طاونزند في ليلة ٢٤ | ٢٥ من تشرين الثاني الى التقهقر الى العزيزية . ولما علم نور الدين بك بهذا التقهقر اخذ يتعقب الانكليز بجميع قواته المؤلفة من اربع فرق بكل سرعة ونشاط الى ان ادركه في العزيزية عصر ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٥ فاضطره الى اخلائها حالا و بدون مقاومة .

حرب دلايجة (ام الطبول)

بعد ان انسحب الجيش الانكليزي من العزيزية عصر ٣٠ تشرين الثاني الى موقع دلايحه (ام الطبول) عسكر هناك بعد ان اسند جانبه الايسر باسطوله النهري واسند جانبه الايسر بلواء الخيالة .

اما الجيش العثماني فلم يمكث تلك الليلة في العزيزيه بل قرر التقدم لغاية تقليل المسافة بينة و بين الجيش المتقهقر عله يظفر به في اليوم التالي ليضربه الضربة القاضية في الصحراء . واما حركته هذه كانت تهديداً للعدو ليعجله بالانسحاب الى الوراء وظل يتعقبه حتى الساعة الـ ٩ مساء بقرب (ام الطبول) وقرر الوقوف عند المعسكر الذي شاهده من بعيد ظانا انه معسكر خيالتنا التي كانت قائمة بالتعقيب وكان الاسطول الانكليزي يترصد بمصابيحه الكهربائية الى ان دخل الجيش العثماني نوقع عليه ضوؤه وشرع يرمي مقدمتهما بالرشاش لدنوهم من معسكر الانكليز . فلما رأى نور الدين بك انه ليس من المعقول ان يتقدم الجيش اكثر من ذلك أمر بالوقوف ثم امر باطلاق بضعة قنابر على معسكر العدو فلم نفهم من ذلك قصده ولعله اراد بذلك القاء الرعب في قلب العدو ليحمله على الهروب فأطفأ الانكليز المصابيح الكهربائية فظنهم هربوا ، ومكث هناك على نية تعقيبهم صباحا ونام الجيشان وهما منهوكة قواهما . غير ان الجيش العثماني كان اقل راحة من الجيش الانكليزى لانه نام بنظام المسير . اما سريتنا فلم ندعها تنام من تلقاء انفسنا لاننا كنا في مقدمة وحدات المشاة والمدفعية ، ولما علمنا اننا مندفعون الى العدو وادركنا خطورة الموقف شرعنا نحفر الخنادق التي تقينا شر المفاجأة التي كنا نترقب حدوثها بين جهة وجهة . ولكن الانكليز لم يحركوا ساكناً رغم

مشاهدتهم تقرب الجيش العثماني منهم . اما نور الدين بك فقد نصب صيوانه ونام نومة هنيئة بكل ارتياح بعد ان ساقه الغرور ان يعلق المصابيح الملونة فوقه اشارة الى مقر القيادة العامة ليمهد السبل لاستطلاع العدو وتغافل عن كل مايجب اتباعه من القواعد الحربية مأخوذاً بنشوة الظفر ! زاعماً ان العدو سوف ينسحب فوراً اذا شعر بتقرب القوات المعقبة في حين ان الذى حدث بعده خلاف ما كان يتوقعه نور الدين . ولما رأى الجنرال طاونزند دنو الجيش العثماني بهذه السرعة لم ير بداً من الاشتباك بالحرب فعبأ قواته المتقهقرة تلك الليلة استعداداً للهجوم في صباح اليوم الثاني . وفى صباح ١ كانون الاول شاهد الجنرال طاونزند غدوة اجتماع الفرق العثمانية بنظام السير ظاناً انهم قائمون بمناورة حربية لمحاربته (فى حين انهم كانوا لايزالون قائمين فى المحل الذي مكثوا به تلك الليلة لايحركون ساكناً) فأمر مدفعيته وكانت لاتبعد عن العدو اكثر من كيلو مترين بأطلاق النار . فكان تأثير هذه المفاجأة بالقنابر على الفرقتين الـ٣٥ و٣٨ عظيما جداً فشتت شملهما وكبدتهما خسائر فادحة حتى اضطرنا الى التقهقر الى العزيزية . اما القائد نور الدين فقد كان نائماً في صيوانه على كثب من هاتين الفرقتين فايقظته هذه القنابر التي انفجرت على صيوانه وكان مضروباً بمقدمة جيشه خلافاً للقواعد الحربية ونهض مذعوراً فشاهد جيشه فلولا تقهقر تقهقراً مريباً تاركين مدافعهم وكانت قنابر الانكليز تنهال من البر والاسطول حتى دمرته تدميراً . واما سريتنا فاحتمت بالخنادق التي اعدتها في الليل استعداداً لمقابلة الطوارئ . فكانت السرية الوحيدة التي تمكنت ان تحافظ على نظامها ولم يصبها اى خلل واذى لانها لما كانت على مقربة من معسكر العدو لم يصبها اذى ، اذ كانت القنابر تتباعد من وقت الى آخر كلما يتراجع الجيش العثماني الى الوراء . واختلت القيادة

تماما فخاب امل نور الدين من كل شيء ، وكان لسان حاله يقول ياليتني اتمكن من جمع شمل هذه الفلول والنجاة بها قبل ان يظفر بنا العدو . ولولا لواء خيالتنا فى مقدمة الجناح الايسر وقيامها باطلاق النار الحامية من مدافعها واستعداد جنودها للحرب لما كانت الفرقة الـ ٥١ تجد فرصة للم شعثها وصد الهجوم المقابل وحمل الانكليز على التقهقر واسر من العدو في البواخر ٥٠٠ جندي وضبط زورقان بخاريان حربيان والغانبوط الحربي (فاير فلاي) الذي ابدل اسمه بسلمان باك وكان ماخسره الانكليزا كثر من خمسمائة قتيل .

مابعد حروب دلابجة (ام الطبول)

ومن حسن الحظ لم يصب الفرقة الـ ٥١ من الاذى الشديد ما اصاب بقية الفرق فتمكنت هذه الفرقة من التقدم نحو العدو وتطويقه من جناحه الايمن بعد مساعدة لواء الخيالة ومدفعيتها لها مما خفف وطأة الحرب وصد هجوم الانكليز الذي كان في نية الجنرال طاونزند القيام به فى اليوم نفسه ، فاضطر الجيش البريطاني الى التقهقر نحو البغيلة (النعمانية) بعد ان ترك غانبوطاً حربياً يسمى (فاير فلاد) مع مدافعه وباخرتين نقليتين مع حمولتهما من الامتعة والجنود الذين كان يربو عددهم على اربعمائة نسمة وزهاء خمسة ضباط . فاما الفرق العثمانية التي كانت متقهقرة الى العزيزية فقد استفادت من هذه الفترة واعادت نظامها وجمعت شملها وعادت الى ام الطبول عصراً ومكثنا تلك الليلة فى العراء بجوار هذا الموقع . وكان رتل من العشائر بقيادة المقدم محمود السنوي فى مندلي ورتل آخر من العشائر ايضاً بقربهم بقيادة مظهر باشا فامرهما نور الدين ان يتقدما فوراً نحو الكوت لاسترجاعها قبل دخول جيش الجنرال طاونزند فيها ولكن لما كان رتل العشائر تعوزه المدافع لم يتمكن

الدخول فيها لأن القوة الاحتياطية التي كانت في الكوت تنتظر الجنرال طاونزند قوية ولديها عدد من المدافع والرشاشات فكان في مقدورها صد هجمات العشائر وبالفعل ارجعتهم على اعقابهم وحالت دون ان يدخلوا الكوت وبلغ الجنرال طاونزند الكوت في اليوم الثالث من شهر كانون الاول سنة ١٩١٥ وبقى قبل الحصار فيها ينتظر وصول النجدات اليه خلافاً لرأى الجنرال رفيفتون آمر موقع الكوت فقد كان لايوافقه على ذلك . ولكن الجنرال طاونزند كان يعتقد ان موقع كوت الامارة يسيطر على دجلة والفرات وان هذه السيطرة على النهرين تمنع الاتراك ان يسوقوا قواتهم الى العمارة في وادي دجلة ؛ والى الناصرية في وادى الغراف فبقبوله الحصار فى الكوت مايجعله ينقذ جميع القوات البريطانية في الناصرية والعمارة والبصرة وفي الوقت نفسه يمكنه تحشيد النجدات البريطانية التي يمد بها من طريق البحر . فكان الاجدر بالجنرال نيكسون الا يوافق الجنرال طاونزند على قبول الحصار الذي كانت نتيجته الأسر المحتم.وهكذا بدأ الجنرال طاونزند يحصن الكوت بحفر الخنادق.

وفي صباح ٦ كانون الاول ١٩١٥ انتهز الجنرال طاونزند الفرصة وعبر لواء الخيالة مع نقلية العجلات على الجسر الذى نصبه خصيصاً لعبورهم وساقهم نحو الجنوب الى ان وصلوا موقع علي الغربي بعد ان تكبدوا خسائر جسيمة بسبب هجمات العشائر المجاورة لتلك المنطقة وفي اليوم نفسه أمر رف الطيران المرابط في الكوت ان ينقل معسكره الى علي الغربي . وأتصل بالقياده العليا ان قوات روسية تقدمت نحو همدان (التي تبعد عن بغداد ٩٠٠ كيلو متر تقريباً) فابرق الجنرال نيكسون الى لندن للتوسط في اسراع حركات الجيش الروسي في ايران لتهديد بغداد . واما نحن بعد وصول الجنرال طاونزند بثلاثة ايام وصلنا جميعاً إحوالي الكوت وفى اليوم

الثاني باشر الجيش العثماني فى تطويق الجيش الانكليزي المرابط بالكوت

فلما علمت القيادة التركية بخطورة الموقف فى العراق اعتزمت على تنظيم الجيش وتقويته وتكوين الجيش السادس فعهدت قيادتها الى الفيلد مارشال فون در غولج باشا الالماني وذلك قبل حرب سلمان باك غير ان المارشال فون در غولج لم يصل الى بغداد الا يوم حصار الكوت واناطت قيادة القوات التركية المرابطة في الكوت فقط بنور الدين بك على ان يكون تحت امرة فون در غولج باشا واضيفت الى عهدة المارشال امر ادارة الشؤون السياسية والعسكرية فى ايران ايضاً ورفقت معه ضباطاً جرمنيين عديدين لتشغيلهم فى تشكيل قوات من المتطوعين الايرانيين ولحمل حكومة ايران على ان تشرك مساعيها فى الحرب الى جانب دول الاتفاق .

حصار كوت الامارة

شرع نور الدين بك يطوق المحل بجيشه وكان لايتجاوز الـ (٠٠٠ ر ١٥) محارب فكانت حركته هذه جريئة جداً بالنسبة الى قوة الجيش المحصور اذ كان عدده يقارب هذا المقدار . حتى اذا اكمل الحصار امر بالهجوم على الكوت فى ٩ كانون الاول سنة ١٩١٥ ثم فى ١٢ منه ولكن هذه الهجمات كبدته خسائر كبيرة واعاد الكرة في ٢٤ منه فلم يفلح لان مدفعيته كان يعوزها العتاد واما ادوات التخريب فقد كانت مفقودة ، فلما رأى نور الدين صعوبة الاستيلاء على الكوت بالقوة التي لديه عدل عن الهجوم وقرر محاصرة الموقع باستمرار والتضييق على المحصورين حتى يلجأ الى التسليم .

وكان الانكليز في البصرة جادين في تأليف جيش قوامه خمس وثلاثون

الف جندي لانقاذ الجنرال طاونزند وفرقته المحصورة في الكوت ، واودعت قيادة هذا الجيش الى الجنرال السر برسي (اليك) وارسلت المقدمة الى علي الغربي مؤلفة من (٢٠٫٠٠٠) محارب بقيادة الجنرال (ايلمر) . اما الجيش التركي فقد جاءته بعض النجدات من الشمال بلغ مجموعها (٢٥٫٠٠٠) جندي ، فترك ثلث هذه القوة لمحاصرة الكوت وعبأ البقية في موقع الشيخ عيسى بعد ان حكم موقعه واحسن تنظيمه .

واما الجنرال ايلمر فقد باشر التعرض لهذه القوة بغية دحرها والوصول الى الكوت لانقاذ المحصورين فيها ، وهاجم في باديء الامر قواتنا العشائرية التي كانت مؤلفة من عشائر ربيعة والمياح و بعض المجاهدين بقيادة محمد فاضل باشا الداغستاني فتمكن من دحرها ومجابهة القوات النظامية التركية المرابطة في موقع الشيخ عيسى وفي ٦ كانون الثاني سنة ١٩١٦ اشتبك مع هذه القوات في معركة امتدت الى اليوم الثاني وعاد منها منكسراً بعد ان خسر زهاء اربعة آلاف قتيل فاما خسارة العثمانيين فكانت لا تقل عن الف قتيل .

وبعد هذه المعركة استدعى نور الدين بك ليتولى قيادة جديدة في حدود القفقاس فاسندت قيادة هذا الجيش الى الزعيم خليل بك . واسست شعبة سياسية في المقر باسم الشعبة المخصوصة وعينت لها ملحقاً عسكرياً فاودعت رئاستها لمحاسب لواء العمارة احمد حلمي بك الشامي وعضوية الملازم بهجت زينل المحامي وكذلك عزل الجنرال نيكسن من القيادة العامة للجيش الانكليزي في العراق .

في سورية والحجاز

لما كان لسورية والحجاز علاقات مباشرة في الثورة العربية الكبرى رأيت

ان اذكر موجز الوقائع المهمة التي اتصلت بي تنويراً للقاريء :

في اوائل سنة ١٩١٤ عين من الاتحاديين الكولونيل وهيب بك والياً على الحجاز وقائداً عاماً لها . وقد زوده الاتحاديون بتعليمات سرية بوجوب القضاء على كل ما للشريف حسين (امير مكة) من نفوذ وصلاحيات في الحجاز مما اكتسبها من السلاطين العثمانيين في العهود الماضية ، واوصوه باغتياله اذا اقتضى الامر ذلك وأمدوه بفرقة عسكرية لتطبيق منهاجه . ولما كان اهل الحجاز فقراء معدمين جداً لانهم يسكنون في واد بلا يدفعون الضرائب للحكومة وكذلك كانوا معفيين من الخدمة العسكرية حرمة لبلادهم المقدسة وكانت القوانين هناك محلية تخضع لعادات القبيلة ولاصول الشرع الشريف وقد ألفوا ذلك من زمن قديم واعتادوه ، فلما تولى الزعيم وهيب الحكم في الحجاز شرع بتنفيذ الخطط المزود بها من قبل حكومته، فكانت ثقيلة جداً على الاهلين فطبيعي ان يكون خضوعهم لها من رابع المستحيلات . فلما علم اهل الحجاز بسوء نيات الحكومة العثمانيه قلقوا كثيراً وكاد الأمر يؤدي الى فتنة عظيمة لو لم تتدارك الحكومة خطورة الموقف بالعدول عن تطبيق فكرتها ولو موقتاً .

فهذه الحركة في الحجاز وكذلك اعمال جاويد باشا في بغداد وفريد بك فى البصرة وقضية عزيز علي بك المصري في الاستانة . كل ذلك قد اثر على اعصاب المفكرين من العرب وصادف ذلك نشاط الدعاية الطورانية نشاطاً كبيراً حيث صدرت في الاستانة كتب ومجلات تركية مختلفة حملت على عظماء العرب والاسلام السابقين واخذ زعماء الاتحاديين يدعون الى احياء الطورانية ونبذ كل ما هو عربي . فزاد ذلك في توتر العلاقات بين العنصرين واخذت

الاحزاب تتسابق الى بث الدعايه الي ان اعلنت الحرب العظمى حينئذ فخمدت هذه الحركة لخطورة الموقف في مجابهة الحدث الجديد

وكان الجنرال زكي باشا السوري في بداية الحرب قائداً للجيش الرابع في دمشق ولما كانت الفرصة قد سنحت للاتحاديين للبطش بزعماء العرب وقمع الفكرة من اساسها ابدلوا القائد بامير زكي باشا اللواء احمد جمال باشا الذي كان وزيراً للبحرية ومن اكبر زعماء الاتحاديين . فوصل الى دمشق في اوائل كانون الاول ١٩١٤ واخذ يتظاهر بصداقته للعرب وانه سيعمل بكل وسعه لابلاغهم غايتهم المنشودة وانه ساع لجعل الاتحاد بين العرب والترك على حال تضمن ارتياح الطرفين ونحو ذلك من الكلمات المعسولة حتى تمكن بهذه الخدعة ان يجمع حوله بعض المستنيرين من زعماء العرب المنادين بالاصلاح

ثم قام بتأليف حملة عسكرية لفتح مصر ففشل بها اذ انخذل في السويس في اوائل شباط ١٩١٥ وعاد على اثرها الى دمشق فباشر بتنفيذ الخطة التي رسمتها له جمعية الاتحاد في الاستانة واول ماقام به من الاجراءات اعتقاله لعبد الكريم الخليل احد اقطاب الحركة العربية واثني عشر شخصاً من شباب العرب المستنيرين واودعهم بمحجج واهية الى ديوان الحرب العرفي في عالية ثم اصدر الأمر باعدام عبد الكريم الخليل وعشرة من رفقائه فشنقوا في بيروت واما الآخران فقد حكما بالسجن المؤبد .

ولم يكتف جمال باشا بذلك بل وجه شطره نحو العراق واراد ان يفتك بزعمائها من اصحاب النزعة القومية واول ما باشره من الاعمال في العراق سوقه ابراهيم حلمي العمر محرر جريدة النهضة الى ديوان الحرب العرفي في عاليه ومن حسن الحظ لم يكن لدى ديوان الحرب العرفي ولا عدد واحد من

هذه الجريدة يثبتون بها مدعاهم عليه فلما علم ابراهيم حلمي العمر بذلك استعمل ذكائه وفطنته في اثناء المحاكمة فانكر انتسابه الى هذه الجريدة كل الانكار فاكتفى الديوان بنفيه فقط . ثم طلب جمال باشا يوسف افندي السويدي وعاصم بك الجلبي بتهمة انهما من مؤسسي حزب العهد فى العراق وانهما قائمان ببث الدعاية ضد سلامة الدولة . وكنت انا حينئذ ملحقاً عسكرياً فى مقر الجيش السادس في الكوت فاتصل بي هذا الخبر من زميلي الضابط ابراهيم زهدي كتخدا الذي كان ملحقاً كذلك ان اطلع على البرقية الواردة من جمال باشا الى خليل باشا المتضمنة سوق السويدي والجلبي الى ديوان حرب عاليه فهمني ذلك كثيراً واتفقنا مع زميلنا الضابط بهجت زينل المحامي للتأثير على القائد خليل باشا من طريق مدير الشعبة المخصوصة احمد حلمي بك الشامي فحملناه على ان يتدخل فى الامر لدى خليل باشا بحجة ان العراق خارجة عن منطقة نفوذ جمال باشا فمداخلته بشؤون العراق في زمان حرج كهذا مما لا يتفق والمصلحه العامة ولاسيما ليس لاهل العراق اية علاقة بالمسائل السورية ، فاشرا كهم بهذه القضايا مما يولد فيها حركة عدائية جديدة للدولة ، فابرق خليل باشا الى جمال باشا بأنه للأسباب المذكورة لا يرغب في سوق هذين السيدين من بغداد طالباً تأجيل ذلك الى وقت آخر . ولكن جمال باشا لم يوافق على هذا الاقتراح وطلب تنفيذ مطلبه بواسطة انور باشا فنفذ ماابتغاه . فاصدر خليل باشا امره الى معاونه فى بغداد بوجوب سوقهما الى ديوان حرب عاليه مخفورين . اما يوسف افندي السويدي فلما لم يكن من جمعية العهد لم تلاحظ اي خطر عليه سوى عداء جمال باشا الشخصي له حينما كان والياً فى بغداد فطلبه بتهمة انتسابه الى جمعية العهد كان بهتاناً وعدواناً ليس الا . واما عاصم الجلبي فكان حقاً من مؤسسي هذه

الجمعية فى بغداد ومن اعضائها المهمين حتى ان داره كانت احياناً مركزاً لهذه الجمعية . فطلب ديوان الحرب العرفي له مما جعلني افكر في مصيره لانه من الخطورة بمكان ولاني حسبت ان الاتحاديين قد تمكنوا من كشف اسرار هذه الجمعية و باشروا بالتقاط اعضائها والفتك بهم حتى سرى الأمر الى العراق. ففكرت في انقاذ عاصم الجلبي من هذه البلية فسعيت اولا فى تأخير صدور امر سوقه الى بضعة ايام ليتسع لي المجال في اخفائه او الهزيمة به الى جهة بعيدة فحصلت على اجازة قدرها اسبوع واحد وقصدت بغداد فوراً فقابلت عاصم الجلبي وكان يومئذ يشغل منصب رئيس كتاب المحاسبات الخصوصية لولاية بغداد فأفهمته القضية وارشدته الا يسلم نفسه للحكومة فيؤخذ الى عاليه وكلفته ان يختفي فابى ، فاقترحت عليه ثانية ان يرافقني متنكراً بلباس جندي الى الكوت وباستطاعتي هناك تهريبه الى العمارة التي كانت تحت الاحتلال البريطاني فابى ايضاً لانه يعتقد بعدم وجود وثائق لدى الاتحاديين بادانته و اكد لي انه سوف لايعترف لهم عن الجمعية بشيء مهما كلفه الامر فبينت له ان وسائط الارهاب فى الديوان العرفى في عاليه متنوعة وقاسية وانهم يستخدمون جميع وسائل الارهاب والتمثيل ليحملوه على الاقرار فبقي مصراً على رأيه وآثر الذهاب الى الديوان العرفي على الهروب

وسيق هو والسويدي مخفورين الى لبنان وعدت انا الى مقر وظيفتي فى الكوت فقابلت رفقائي الضباط وافهمتهم القضية ليكونوا على بصيرة من امرهم وشددت الرقابه على البرقيات التي كانت ترد للقيادة من دمشق للاطلاع على ماجريات الاحوال لاننا كنا فى كل ساعة نترقع طلب بعض الاشخاص من العراق الى الديوان العرفى وكنت من الذين يقع الطلب الاول عليهم

لذلك كنت قلق البال جداً لما لي من الاتصال الحزبي معه فاعتزمت الفرار الى جهة العمارة خلافاً لمبدئي فقد كنت دائماً اتحاشى الوقوع في الاسر فنجوت منه في مواقف عديدة ، فلولا الظروف القاسية التي اجبرتني على الهزيمة لما فعلت ذلك قط فانتهزت فرصة ايفادي الى قائد العشائر محمد فاضل باشا الداغستاني بمهمة وكان مقره في قلعة قصاب وهي تبعد عشرين كيلو متراً عن الكوت جنوباً ولتنفيذ نيتي رجوت من القائد المشار اليه ان يوافق على ذهابي تلك الليلة مع عصابة من المتطوعين لنفاجيء معسكرات العدو في شيخ سعد فاستحسن الرأي واعد لي عشرين شخصاً من المجاهدين لاقوم بهذه المفاجأة وعند منتصف الليل تقريباً قصدنا المعسكر الانكليزي وباشرت المناوشات بين الطرفين فتقهقرت ربايا الانكليز في باديء الامر ولكنهم عادوا فشددوا الرمي علينا فاضطرت عصابتنا إلى التقهقر وانا ثابت في محلي لا احرك ساكناً الى ان ابتعد رفقائي عني وعزمت على البقاء في هذا المحل مختفياً بين الاشجار في انتظار الصباح لأتمكن من تسليم نفسي الى السلطات البريطانية دون ان يلحقني اذى. ولكن المجاهدين لم يفسحوا لي المجال لتنفيذ خطتي اذ افتقدوني فاخذتهم الدهشة وساورهم القلق وحسبوا اني قد اصبت او قتلت في اثناء تلك المناوشات فقرروا ان لايعودوا الى محلهم مالم يقفوا على اثري خوفاً من التبعة وملام القائد فعادوا بعد انقطاع نار العدو ببضع دقائق الى المحل الذي اشتبكنا فيه مع العدو في باديء الامر وهم على خيولهم ولم يبالوا بالخطر حتى اذا قربوا مني كاد احدهم يدعسني بجواده لولا تنبيهي له ، فطار فرحاً حينما شاهدني بقربه واسرع فنادى رفقاءه واخيراً اضطررت الى العودة معهم بعد ان اقنعتهم بأن قضية بقائي في المزرعة كانت من تأثير السهر الذي تغلب علي فجعلني انام في محلي حيث لم اشعر بما جرى بعدئذ فلم افق

من نومي الا على وقع حافر الحصان الذي كان راكبه رفيقي المجاهد فصدقوا ماقصصته لهم فهنئوني بسلامتي وهكذا أنتهت هذه القصة ، خلافاً لرغبتي فلما عدت فى اليوم الثاني الى مقر الجيش واعلمتهم بقصة مفاجأتي العدو وعلموا بالاسباب التي اوجبت ارتباكهم فى تلك الليلة لسماعهم رمي القنابر والرشاشات من بعد فلم يعلموا بالمهاجمين فهنأني القائد وشكرني على مجازفتي ظاناً انها نتيجة شجاعة ابرزتها ! ؟

* * *

لما انتهى جمال باشا من اعدام الجماعة الاولى من السوريين طفق يشنق البقية الباقية منهم

فنفذ الشنق بالمقدم ضابط الركن سليم الجزائري ورفقائه العشرة فى بيروت والشام وذلك بتاريخ ٦ مايس ٩١٦ ، وبعده امر باعتقال شكري باشا الايوبي السوري ورفقائه من الاشراف وحكم عليهم بالاعدام ولكن الحكومة المركزية فى الاستانة لم توافق على اعدامهم لان ثورة الحجاز كانت نيرانها قد اندلعت فاعتقلهم فى السجن الى حين نقله من سورية فياواسط سنة ١٩١٧ وكان الشريف فيصل (نجل امير مكة حسين بن علي) يومئذ في دمشق وقد ارتهنه جمال باشا عنده في سورية لقاء الحجاز . فكان يتذمر من هذه الاحوال ويراسل اباه فى السر يحثه فيها على مناهضة الدولة العثمانية لان اعمال قادتها الاتحاديين اصبحت لاتطاق . اما الانكليز فقد رأوا — لاجل تطبيق خططهم الحربية في التضييق على الحكومة العثمانية — بعدان فشلوا فيحرب الدردنيل — ان خير الطرق هيالتعرض لفلسطين وسورية ثم ضبط السكك الحديدية المركزية وتهديد المواصلات مع العراق واجبارها على طلب الصلح . فشرعوا اولا يحكمون قناة السويس ، واستغلوا تذمر العرب من الادارة العثمانية فتقربوا الى امير مكة الشريف حسين



جلالة الملك علي

ليحالفوه بامكانهم التقدم نحو الشمال بمساعدته لهم .

واحس جمال باشا بمساعي الانكليز للتجاوز على فلسطين فأخذ يستنجد بالشريف حسين ليرسل احد انجاله على رأس قوة من المجاهدين يرابطون في حدودها على مقربة من قناة السويس فكان تشبث جمال باشا هذا وقاحة عجيبة ما فوقها وقاحة لانه كان قائماً بقتل روح العرب ، بقتل خيرة رجالهم المثقفين فى سورية وفلسطين يطلب الى زعيمهم الاكبر ان يساعده ويدفع عنه الاعتداء الخارجي لانه كان عالماً بكفاءة العرب في الحروب الماضية وخصوصاً ما قاموا به في اثناء غزواته فى السويس من ضروب الاقدام والشجاعة وسبق له ان مدحهم فى تقاريره الرسمية مراراً عديدة ولكنه وصلت به الغباوة والعجرفة الى درجة اصبح معها لايقدر خطورة الاعمال التي عاملهم بها من شنق ونفي وتعذيب وهتك للاعراض

فانقلابهم عليه كان امراً طبيعياً فلولا تصرفاته لما ثار العرب على الدولة في اثناء اشتباكها مع العدو الخارجي ولكنه عجل بذلك (فكان امر الله ...)

واوفد الشريف حسين احد انجاله الامير علي الى المدينة المنورة لجمع الجنود استعداداً للحرب ، واوفد ولده الثاني الامير عبد الله ليقوم بالمفاوضات السياسية المقتضية مع الدول المحاربة ولاسيما انكلترة لمعرفة خطتهم وموقفهم ازاء الثورة العربية ضد الاتحاديين وقد اصبح الاهلون فى سورية وفي كل مكان فى قبضة المصالح العسكرية ووقعت البلاد السورية بيد جمال باشا فاصبح موقف الامير فيصل خطراً جداً وكان يعيش تحت رحمة جمال باشا في دمشق بينما كان شقيقه الامير علي يجمع الجنود فى الحجاز بحجة انه سيقودها مع اخيه فيصل لمساعدة الجيش العثماني في حملة قناة السويس وكانت مراسلاته مع والده الحسين متواصلة وقد ارسل اليه والده كتاباً يقول فيه انه

اخذ للامر عدته واصبح كل شيء متهيئاً وحثه على العودة الى المدينة للتفتيش على الجيش وللسير به الى ميادين القتال وخدع فيصل جمال باشا عن هذا الجيش بأنه سيقوم بخدمة الجيش العثماني خلافاً للغايه التي تألف الجيش من اجلها ولكن جمال باشا استمهله حتى يصل القائد العام انور باشا فيرافقه الى المدينة للتفتيش على الجيش العربي وساءه منه هذا التكليف لانه اصبح تجاه امر واقع وذهبوا جميعاً الى المدينة وفي اثناء تفتيش الجيش تقرب رؤساء العشائر الساخطين والهائجين وطلبوا من فيصل قتل هذين القائدين اي انور وجمال ولكن فيصلا لم يوافقهم على ذلك لانهما كانا قادمين معه كضيوف وعمل جهده فاقنعهم بالكف عن قتلهما وعاد الجميع الى دمشق ولكن انوراً وجمالا اشتبها في الامر فأخذا يحسبان الف حساب وقررا ارسال جيش قوي الى الحجاز لمقاومة سطوة الشريف حسين هناك وابقاء فيصل في دمشق رهينة لديهم ، غير ان الرسائل كانت ترد من المدينة بلزوم عودة فيصل اليها ليحول دون وقوع اي اضطرابات في الحجاز ولما رأى جمال باشا خطورة الموقف اخلى سبيله فسافر فيصل الى الحجاز في اواخر شهر مايس ١٩١٦

اعمال حزب العهد في منطقة الكوت

لقد سبق وذكرت في قسم من مذكراتي السابقة تفصيلا عن ذهابي الى الشيخ سعد ومصانعتنا للانكليز هناك وذكرت انني لم اتوفق الى تنفيذ ما كنت مصمما عليه من الهرب وقد فاتني ان اذكر بصددها طلبي الذهاب كان مبنياً على غرضين الاول كان يتعلق بوظيفتي الرسمية هو ايصال مبلغ من المال الى المجاهدين المقيمين في قلعة الشيخ قصاب رئيس عشائر السرايا والغرض الثاني هو التخلص والهرب من الجيش العثماني كي لا يصيبني ما اصاب رفاقي من اعضاء حزب العهد

وهنا لابد من الرجوع الى ايضاح فيه تفصيل اكثر مما ذكرنا في الذهاب وعدم النجاح كي يستطع القاريء ان يفهم الحوادث على ضوء الحقيقة. واجتنب انا الارتباك في ذكر الحوادث التاريخية

بعد ما فشل حزب العهد بمفاوضاته مع الاتراك من جهة والانكليز من جهة اخرى حول نيل الاستقلال للعراق فكر فرع العهد في العراق ان يعمل بكل ما لديه من قوة للاستفادة من وضع الحرب العامة وانتهاز الفرصة التي كانت قوية التناول وقد وجد الحزب ان من الاحسن للاستفادة من هذه الفرصة اعلان الثورة والاحتماء بجزيرة السيد احمد الرفاعي المتصلة باراضي الشيخ قصاب شيخ عشائر السرايا وذلك للاسباب الآتية :ـ

اولا ـــ ان الجزيرة واقعة بين جيوش الدولتين المتحاربتين وكانت تقريباً في وضع لاتمتد اليه سلطات الحكومتين .

ثانياً ـــ وجود عشائر كثيرة مجتمعة يضاف اليها المجاهدين الذين جاؤا من محلات اخرى

ثالثاً ـــ احتياج الحكومتين المتحاربتين بحكم السياسة الحربية الى استجلاب العشائر المسلحة في ذلك الموقع لما لها من التأثير الشديد على الوضع الحربي والسياسي ولا سيما تهديد المواصلات

رابعاً ـــ بالنظر الى ميزات هذا الموقع الذي ذكرناه كانت الرغبة شديدة من قبل ضباط حزب العهد في استغلال العشائر والمجاهدين والعمل معهم لتنفيذ خطط حزب العهد على قدر المستطاع وعند عدم النجاح افساح مجال الهرب والتخلص من مطاردة الاتحاديين

وقد ادرك القاريء مما تقدم درجة الفرصة التي ينبغي الاستفادة منها من قبل رجال حزب العهد والمنتسبين اليه ولما كنت من جملة المنتسبين الى هذا

الحزب والمتشبعين بمبادئه لم يكن ليسعني الا ان استغل وظيفتي الرسمية والمنزلة التي كنت عليها بنظر القائد التركي خليل باشا كي اقوم بقسط من واجبي لبلادي وقومي في مثل هذه الظروف . قلنا ان كثيراً من العشائر المجاهدين كانوا مجتمعين في جزيرة السيد احمد الرفاعي وحول قلعة الشيخ قصاب ولذلك فقد دب النشاط الى ضباط حزب العهد خاصة بعد ان علموا نشاط الاتحاديين في مطاردة الحزب والبطش وإستعمال القسوة في خيرة رجاله في سوريا والعراق وشنق بعض الزعماء منهم كالمقدم سليم الجزائري وعبد الكريم الخليل وغيرهما من الشخصيات البارزة ولم يكتفوا بذلك بل اصبحوا اعداء لكل عربي حتى انهم اطلقوا اسم (الخائن) على كل عربي رغم التضحيات والدماء الطاهرة التي سفكت في سبيل بناء دعائم الدولة العثمانية .

ان التنكيل بالعرب زاد نشاط الضباط العراقيين المنتسبين الى حزب العهد وقد كانت اخبار التنكيل تردنا ونحن في خطوط الحرب وقد اخذنا نتفق بصورة سرية مع العشائر المجتمعة والمجاهدين لتكوين كتلة كبيرة معززة لمطالب حزب العهد في ذلك الوضع الدقيق ونجعل الاتراك والانكليز تجاه امر واقع بغية الحصول على مايتوخاه الحزب من المطالب التي طالب بها بصورة سلمية اكثر من مرة . ولاجله باشرنا فعلا بالمفاوضة مع اولئك العشائر والمجاهدين وتوفقنا الى استجلاب اكثرهم وعلى الاخص منهم احد رؤساء ربيعة الشيخ محمد الشمران ورئيس عشيرة بني لام الشيخ غضبان البنية ورئيس عشيرة السراي الشيخ قصاب وآخرين من عشائر المياح وغيرهم ومن المجاهدين شقيق عبد الكريم الجزائري محمد جواد الجزائري وقسم من رؤساء عشائر الشامية وفضلا عن ذلك فقد سبقت لنا مفاوضة مع الشيخ عجمي باشا السعدون وقسم من رؤساء عشائر الفرات والمنتفك ومن جملتهم



جمال باشا السفاح قائد سوريا فى الحرب العظمي

الشيخ خيون العبيد ورئيس عشيرة بني مالك الشيخ بدر الرميض . من البديهي ان القيام بالحركات الوطنية لايتم الا بالمال ولاسيما اذا كان في الدور الاول من التكوين ولاجله تعهدت انا بايجاد المال من مخصصات العشائر الشهرية التي مر ذكرها لانني كنت اكلف بايصالها في اكثر الاحيان ولذا فقد فكرت بطريقة توصلني الى الحصول على المال والعمل المثمر فيه مع العشائر والمجاهدين من ناحية والهرب من الجيش العثماني من ناحية اخرى ليتسع لي المجال في بث مباديء الحزب وافكاره بين رؤساء عشائر لوائي العمارة والبصرة

ولاجل تنفيذ هذه الخطة بصورة تضمن النتيجة الحسنة والسلامة معاً اجتمعت مع رفقائي الضباط البغداديين وهم يوسف العزاوي (آمر مخابرة الفيلق الثالث عشر) وعبد الرحمن شرف (ضابط المخابرة في الفيلق المذكور) وجميل خماس (ضابط المشاة في الفيلق المذكور) وغيرهم من الضباط الذين لا اذكر اسماءهم فتداولنا في الأمر وقررنا مايأتي :-

اولا — اخذ الدراهم المطلوبة ودفنها بمحل معين من الجزيرة لتكون جاهزة للقيام بحركات الثورة عند الحاجة اليها

ثانياً — التجائي الى الانكليز في شيخ سعد لاقوم ببث الدعاية للحزب بين عشائر العمارة والبصرة والمفكرين منهم كما ذكرنا

ثالثاً — اخبار ضباط الحزب بما يتم في اللوائين المذكورين حتى يهيؤا الضباط اللازمين ويرسلوهم الى للقيام بالثورة

وبعد ان تم الاتفاق على هذه المواد بدأنا حالا بتطبيقها واول مادة قمت في تنفيذها هي اخذ الدراهم ودفنها في محل وكان يرافقني في اثناء دفنها يوسف العزاوي وبعد ان اكملنا دفنها ودعته هناك وذهبت حالا الى قائد العشائر محمد فاضل باشا وطلبت منه تنظيم العصابة ومحاربة الانكليز في شيخ

سعد ليلا بصورة المباغتة كما تقدم تفصيلها

غير ان المساعى حبطت فى تدبير هذه الخطة اذ لم يساعدني الحظ على الهرب وعدت فقابلت زملائى لتدبير خطة اخرى لنتخذها عند سنوح الفرصة وبطبيعة الحال اضطررت الى اعادة الدراهم الى القائد محمد فاضل باشا الداغستانى ليصرفها كالمعتاد على العشائر

ثابت عبد النور

وكان ثابت عبد النور من جملة السياسيين المتهمين وقد جيء به مخفوراً من الموصل الى سريتنا في المقر ولما كان من المنتمين الى حزب العهد فقد كنا دائماً نلاحظه ونساعده ، وكان موقفه خطراً جداً لان اقل شبهة أو شهادة ضده تكفي للقضاء باعدامه فبقي مسجوناً مدة اسابيع الى ان صدر الامر باعادته الى بغداد لمحاكمته فى ديوان الحرب العرفي وقد تمكن بعد ذلك من النجاة من ديوان الحرب فعاد الى الموصل ومن هناك ذهب بمهمة الى الشام وفر منها الى الجيش الحجازي بقصد الالتحاق بالخدمة فى الثورة العربية الكبرى

حرب الكوت

زار الفلد مارشال غولنس باشا الالمانى مواضع الترك فامر بسحب القوات الامامية الى خط الفلاحية الذي يعد اقوى خطوط الدفاع فى ميادين القتال العراقية لاستناده من الغرب الى نهر دجلة ومن الشرق الى نهر هور السويبحة وعبأ فيه زهاء ٤٥٠٠٠ مقاتل و ٣٦ مدفعاً وحصن الاتراك هذا الموضع واحاطوا الخنادق باسلاك شائكه كما انهم حفروا خطوط دفاعية احتياطية متعاقبة بعضها خلف بعض

وفي ٢٠ كانون الثانى قام الانكليز بالهجوم على هذا الخط يريدون دحره



ثابت بك عبد النور

وفتح الطريق الى الكوت لرفع الحصار عنها ، فاطلقوا مدافعهم على هذا الموضع فانثالت قنابلها انثيالا شديداً حتى بلغت عشرين الف قنبله ودام التعرض الى يوم ٢١ منه فتقطع معظم الاسلاك الآركية الشائكة وتخرب قسم من خنادقهم وقامت مشاة العدو بالهجوم على هذه الخنادق حتى تمكنت من احتلالها بعد تكبدها خسائر فادحة ، فاسرت بعض جنود هناك وقام الجيش التركي بهجوم مقابل فاسترجع الخنادق الاولى بعد ان تكبد الطرفان زهاء اربعة آلاف قتيل حتى عقد الطرفان لذلك هدنة مدة ثلاث ساعات لنقل موتاهم.

اما الجنرال طاونزند ، فانه لم يحرك ساكناً وبقى قابعاً فى الكوت ينتظر انقاذه وبقى الجيش البريطانى بعد هذه المعارك لايحرك ساكناً مدة اسبوعين كاملين منتظراً النجدات التي كانت في طريقها الى البصرة اما فى الكوت فقد صادر الجنرال طاونزند الحبوب الموجودة لدى الاهلين وشرع يطعم الجيش لحوم الخيل الاميرية لاجل تمديد اجل الحصار فانزل استحقاق الجنود الى النصف وبلغت خسائر القوة الانكليزية المحصورة في اواخر كانون الثانى ماينيف على الف قتيل . وكان قد انضم الى الجيش التركي ـ في اوائل شباط ـ سرب من الطيارات الالمانية وقام بالقاء القنابر على المحصورين وكانت الطيارات الانكليزية ترمي معسكراتنا وقوافلنا بالقنابر والمسامير الفولاذية المنبله الحلزونية الشكل . ويئس طاونزند من جيش الانقاذ وساوره الاعتقاد بالخسران والوقوع في الاسر . وما كان أعظم سروره حين علم باحتلال الجيش الروسي كرمانشاه في اواسط شهر شباط سنة ١٩١٦ فتجدد أمله بهذه القوة التي امل أنها ستنجده وتنقذه من الحصار

اما الجنرال ايلمر فلما اعتقد بعدم امكانه اجتياز الخطوط الدفاعية في ميدان الفلاحية فكر في خطة جديدة للهجوم من الساحل الايمن ودبر الخطوط

المقتضية بالمراسلات اللاسلكية مع الجنرال طاونزند للقيام بالحركات المشتركة والتعاون مع جيش الانقاذ عند اقترابه من الكوت . وفي اوائل مارت وردته نجدات من وراء البحار وصارت لديه قوة مشاة مؤلفة من ٧ الوية و ٦٨ مدفعاً جاهزة للهجوم فى الجهة اليمنى من نهر دجلة وابقاء فرقة نظامية فى الجهة اليسرى للدفاع عن الفلاحية وكانت مجموع قوة الانكليز ١٤٠٠ خيال و ٢٤٠٠٠ مشاة و ٩٢ مدفعاً (عدا القوة المحصورة في الكوت)

اما مجموع قوة الاتراك فكان يومئذ نحو عشرين الف بندقية وستين مدفعاً ليس غير

حرب سابس

شرعت قوات الانكليز فى المسير فى ٧ اذار ٩١٦ للهجوم على موضع (سابس) فى الجهة اليمنى من دجلة بغية انقاذ الكوت وفي ٨ اذار صباحاً باغتوا الاتراك فى مواضعهم الى ان وصلت ارتالهم الي مسافة ٧٠٠ متر من خط سابس وبدأت المعركة فى الساعة السابعة صباحاً واول ما قامت به مدفعية الانكليز ضد العشائر التي كانت مرابطة بالقرب من سابس والتي كان يقودها محمد فاضل باشا الداغستانى ففاجئتهم بنار حامية وسببت الارتباك فيهم فامتطى فاضل باشا جواده وامر بجيشه بالتجمع ولكن من سوء حظ هذا الجيش ان شظية قنبلة من قنابل العدو اصابت رأسه فاردته قتيلا في الحال فسقط من جواده دون ان يتمكن من عمل شيء تجاه هذه المباغتة رحمه الله . فتشتت العشائر وتقهقرت نحو الغراف لولا وجود كتيبة الخيالة صدفة بجوار الغراف وقيام مدفعيتها فى الحال بقذف قنابلها على العدو المهاجم لما توقف تقدم الانكليز .

وبفضل الجهود التي بذلتها هذه الكتيبة التي كانت بالاستراحة صدفة وذلك

بمناسبة قدومها من بغداد حديثاً اتسع الوقت للجيش التركي المدافع ان ينظم خططه ويصمد للمفاجأة التي بوغت بها صباح هذا اليوم . كما ان عدم استفادة القواد الانكليز في مفاجأتهم هذه الفائدة المتوخاة سببت لهم عدم النجاح الذي كانوا يؤملونه في دحر الجيش التركي وكان السبب الوحيد بطء تقدم الجيش الانكليزي واضاعته الوقت الثمين سدى وان كانت بعض الافواج في بادىء الأمر احتلت جزءاً من الخنادق التركية الأمامية .

غير ان الجيش التركي قام بهجمات متقابلة واسترجع المواضع بهجوم الحراب وكبدتها خسائر فادحة . ودام القتال الى ان خيم الظلام . فكان الزعيم علي احسان بك يقود هذه الحركات من اولها الى آخرها فكان موقف فيلقه من اخطر المواقف لأن القوات الجسيمة التي هاجمته والتفت حول فيلقه كان نجاحها قد تم لولا بطء حركة العدو وجهله الاراضي التي جرت الحركات بها . كما ان من حسن حظ هذا الفيلق عدم اشتراك الجنرال طاونزند بهذه الحركات لا في ابتداء الأمر ولا في آخره فلو كان طاونزند اشترك وابرز شجاعة قليلة وقام بحركة تعرضية ولو بصورة خفيفة لاحرج موقف الجيش التركي واضطره الى الانسحاب نعم لأن الجيش التركي اصابه ضعف وتضعضع في هذه الحروب بدرجة لا تمكنه معه الاستمرار في الحروب في اليوم الثاني فاضطر حينذاك واصدر امره مساء ذلك اليوم برفع الحصار عن الكوت والانسحاب الى البغيلة مع جميع القوات المرابطة في الفلاحية فيما اذا استمر القتال في اليوم الثاني ذلك لان موقف الجيش التركي في الساحل الايمن اصبح مخطراً ولم يكن لدى الجيش التركي جسور لعبور النجدات عليها واذا اضفنا الى ذلك طغيان دجلة ووجود المعبر الوحيد تحت رحمة قنابل العدو في الكوت لاتضح لنا مبلغ صعوبة نقل القوة من ساحل الى آخر

فكان فى استطاعة الجنرال طاونزند على الاقل تخريب المعبر التركي بتوجيه نار مدفعيته عليه ولكنه لم يفعل ذلك ايضاً واني مازلت - كلما اتذكر الوضع - افكر فى الاسباب الداعية الى خمول الجنرال طاونزند في تلك المعركة وقعوده عنها

ولما يئس الجنرال ايلمر من نجاحه من انقاذ الكوت في هذه المعركة امر قواته بالتقهقر فجاء اليوم الثانى فعقبتهم مدفعية الاتراك بنيرانها . مع هذا كان من الخطأ الفادح الذى وقع فيه الجنرال ايلمر بعد ان تمكن من الوصول الى هذا القرب من الكوت وبعد ان علم بالخسارة الجسيمة التي مني بها الجيش التركى ان يعدل عن التعرض ويقرر الانسحاب في حين ان الواجب كان يقضي عليه بالاستمرار فى موقفه والعمل جهد الطاقة لانقاذ الكوت من الحصار فكان ذلك ميسوراً له بالنسبة الى عدته وعديده وتفوق وسائطه فاللائمة تقع على القائدين بالدرجة الاولى على الجنرال ايلمر لعدم ثباته وثم على الجنرال طاونزند لعدم اشتراكه بهذه المعركة ولا نرى مبرراً للجنرال ايلمر على عمله هذا لان الحركات كانت جارية في موسم الربيع وكثرة المياه فى منطقة الحركات مما يجعل اجراءها متيسراً له

ثانياً - تفوقه عدة وعدداً مما يجعله ان يثابر على القتال لا اقل من ثلاثة ايام فكان الاجدر به ان يجرب حظه في اليوم الثانى ايضاً حيث كانت معنويات الجيش العثمانى متزعزعة في تلك المحاربة بحيث ان قواده اصبحوا يشكون في استمرار المقاومة فيما اذا دامت الحرب فى اليوم الثانى حتى اصدروا اوامرهم استعداداً للانسحاب الى البغيلة (النعمانية) والشروع في نقل الاثقال الي الوراء ولولا مشاهدتهم توقف تعرض الانكليز تلك الليلة وانسحابهم صباح اليوم الثاني كاد وضع الحرب ان يتغير كل التغير . وعلى

اثر هذا الفشل عزل الجنرال ايلمر من القيادة في ١٢ مارت فعين بمحله الجنرال غورينج

ورقى خليل بك آمر القوات التركية في جهة الكوت الى رتبة امير لواء وعهدت اليه ولاية بغداد فارسل خليل باشا الى الجنرال طاونزند كتاباً يكلمه فيه بالتسليم ، فاجابه الجنرال طاونزند بالرفض واخذ نهر دجلة في الطغيان شيئاً فشيئاً فاغرق خنادق الطرفين الامامية حتى اضطر كل منهما ان يتقهقر الى الخنادق الخلفية في ١٥ مارت

وحضر المارشال فوندرغولتس الالماني ميدان القتال فحض الضباط والجنود على المقاومة وتشديد الحصار على الكوت بواسطة المدافع الثقيلة التي جلبها خصيصاً لهذه الغاية وكذلك بواسطة الطيارات لاجبار المحصورين على التسليم فباشروا القصف على المحصورين فقابلهم العدو بالمثل ولكن النتائج كانت بدون تأثير . وبعد ان مكث مدة عشرة ايام عاد المارشال فوندرغولتس الى بغداد فتوفى فيها في ١٩ نيسان بمرض التيفوس . فعين خليل باشا قائداً للجيش السادس عوض المارشال المتوفي

وعين الجنرال غورينج قائداً للجيوش البريطانيه فباشر حالا بتنظيم جيشه وللتهيء للهجوم على الجيش التركي وازاحته من محاصرة الكوت وفي الوقت نفسه تعززت قوته بفرقة عسكرية اخرى وردته من ساحة الدردنيل فاصبحت قوته تعادل ضعف قوة الاتراك كما فعل اسلافه القواد ومشى في نفس الخطط التي طبقوها وهي : اولا بهجوم قوي على الفلاحية فاحتل المواضع الامامية ولكنه لم يفلح في اقتحامها لرصانة موضع الاتراك الخلفي وانغمار منطقة الحركات بمياه الفيضان التي ازعجت جيشه المتعرض وعاقت تقدمه كما ان ضيق المنطقة لم يفسح له المجال لاستخدام قوته كلها في هذا التعرض مهما كانت جسيمة ، فانتقل في خطته التعرضية الى الجهة اليمنى وقام بالتعرض

في منطقة الشيخ عيسى ولكنه لم يفلح كذلك . فكانت المحاربات الاخيرة التي وقعت في اواسط شهر نيسان (ابريل) عظيمة جداً استعملت فيها انواع وسائط القتل والهدم فلم تجد نفعاً بل كانت النتيجة خسارة ماينيف على عشرة الاف شخص من الطرفين من اجل انقاذ الجنرال طاونزند ، واذا اضفنا الى ذلك التلفيات التي خسرها الطرفان خلال حصار الكوت لوجدنا مقدار الخسائر التي مني بها الجيشان المتقاتلان فى النفوس يعادل ضعفي عدد الجيش المحصور في الكوت

ولما علم الجنرال طاونزند بفشل جيش الانقاذ في هذه الهجمات زاد قلقه ونقص ثانية استحقاق الجنود الى الربع ليتمكن من الاستمرار على المقاومة حتى اواخر نيسان على ان تساعده الطيارات بجلب الارزاق التي تنقلها كل يوم فترميها على الكوت من الجو آملا بذلك ان ينجو من الاسر وقام الجنرال غورينج بتجربة اخيرة فى ٢٢ نيسان فهاجم الفلاحية بهجوم عنيف وحاول الالتفاف من جهة هور السويجة ففشل بعد ان تكبد خسائر فادحة . فطلب الانكليز عقد مهادنة وقتية لنقل الجرحى والقتلى من الميدان ونقل الفريقان قتلاهم وجرحاهم حتى المساء

وهكذا فشلت آخر محاولة في سبيل انقاذ الكوت ، فيئس الجنرال طاونزند من الخلاص وبات في حالة قلقة جداً . كما انه يئس من تقدم الجيش الروسي الذي كان فى طريقه الى كرمانشاه فى اول نيسان .

الباخرة الفدائية

بينما كنا جالسين فى مقر القيادة التركية على مائدة الطعام اذ وردت للقائد برقية رمزية من قائمقام (الحي) تنبئه بان خبراً اتصل بهم عن مشغولية الانكليز بالعمارة لارسال باخرة نقلية تحت

قيـادة ضباط وجنود فدائيين مملوءة ارزاقاً لنجدة المحصورين في الكوت فضحك القائد خليل باشا وضباط ركنه من هذا الخبر الذي لم يتصوره اي عاقل وطفقوا يتبدرون على هذا القائمقام وهو (سلطان بك الجبوري الذي تخرج من مدرسة العشائر في الاستانة وله خبرة بامور العشائر والادارة) ولكن برقيته اهملت ولم يحسب لها اي حساب

وفي مساء ٢٤ نيسان سمعنا بغتة مدفعية الانكليز تقصف القصف الشديد على مواضع الفلاحية لتستر حركة الباخرة (جرناله) التي غامرت واتجهت نحو الكوت وقد اطفأت انوارها فكانت الغاية من القصف بالمدفعية والرشاشات لفت نظر الاتراك اليهم وصدهم عن رؤية الباخرة وكانت الباخرة ماضية في طريقها ومصممة ان تخترق خط الحصار مهما كلفها الامر فنجحت ومضت في سيرها بمسافة بعيـدة ولم يعلم احـد عنها الا عند اجتيازها القطعات المرابطة امام موضع الصناعيات فلما استخبرت القيـادة بامرها اصدرت الاوامر بقصفها بالمدافع والرشاشات فلم يجد نفعاً لانها تمكنت من الابتعاد عن المواضع الامامية الخطرة ولكن وجود بطرية الصحراء احتياطاً في المقر وتعبأتها امام السن وقيامها بقصفها عند دنو الباخرة منها كما وان التفاف عجلات محرك الباخرة بسلك المعبر الممتد من الساحل الايمن الى الايسر (لتسهيل عبور المعبر) كل اولئك حال دون وصول هذه الباخرة الى الكوت وان اجتازت مواضع الخطر . فاضطرت ان تقف امام قلعة المقاصيص حيث جلست على ارض النهر وسلمت الى الجيش العثماني . وقتل قائدها الملازم (فيرمان) وجرح من نوتيتها بضعة انفار ، فلما بلغني خبرها ليلا نهضت من فراشي وركبت جوادي مهرولا الى محل الباخرة فوجدت الجنود والضباط منشغلين بنهب الباخرة التي كانت غنيمة ثمينة لاننا وجدنا انواع العلب

القونسروه والدقيق الابيض والسكر والشاي والبسكت مما جعلنا نتمون منها لمدة ثلاثة شهور . واسر الكابتن (كاولى) ومعاونه والبراد واثنا عشر شخصاً من النوتية الفدائيين واتى بهم الى مقر القيادة امام الكوت . واغتنمت الباخرة وحمولتها وسميت (كندي كلان) وكان فيها رشاشات وهي مجهزة بالصفائح الحديدية فلو وصلت سالمة الى الكوت لامكن المحاصرين ان يقاوموا الى مدة شهر آخر . ولما لم تنجح جميع المحاولات التي اتخذت لايصال الارزاق الى المحصورين في الكوت كما فشلت جميع المحاولات الهجومية لانقاذهم اضطر الجنرال طاونزند بتكليف الجيش التركي بالتسليم يوم ٢٥ نيسان ٩١٦

قضية القبطان كاولى

سبق ان بينا فيما مضى كيفية اسر الجيش العثمانى في حادثة ٢٥ نيسان ١٩١٦ باخرة انكليزية تدعى (جرناله) مع حمولتها بين الكوت والفلاحية فاطلقوا عليها اسم (كندي كلان) وجيء بربانها الكابتن كاولى ورفقائه النوتية اسرى الى مقر الجيش قرب الكوت فامر القائد بابقائهم فيه ريثما يصدر الامر بسوقهم الى معقلهم . غير انه لما كان (الربان كاولى) ضابطاً اذن له القائد بتناول الطعام معه على مائدة الضباط وفيما هو يحاوره على المائدة حدثت حادثة غريبة في بابها ، كان من الحاضرين اتفاقاً محاسب لواء العمارة والمعين لمديرية الشعبة المخصوصة في المقر احمد حلمى بك الشامي فتعرض فى اثناء الطعام الى الربان كاولى حيث ذكره بما بينهما من المعرفة السابقة قبل الحرب وذكر محاورة جرت بينهما قبيل الحرب العامة حينما كان الكابتن كاولى ماراً بالعمارة في باخرة (كميت) التابعة للقنصلية البريطانية في بغداد قاصداً خليج البصرة لآخر مرة .

فقد قال (الربان) له : أن الحرب القادمة ستكون وخيمة النتيجة على تركية اذا اشتركت فيها . فاجابه (احمد حلمي بك) كلا فان انكلترة دولة بحرية ولا تستطيع محاربة الدول البرية لانها اذا خرجت للبر ماتت مثل السمك اذا خرج من الماء . واراد بذلك ايلامه كما ان العقليات فى ذلك الزمن كانت مليئة من هذا الخيال في الدولة العثمانية ، اما الربان (كاولى) فاجابه جواباً حاسماً لايقبل التردد واخرج باوناً انكليزياً ذهباً وقبض عليه بين اصبعيه وبدأ يدحرجه على المائدة وقال له انظر الى هذا الفارس المصور على الباون واعلم بان الانكليز بهذا الفارس يستطيعون ان يدخلوا اية بقعة من بقاع الارض بكل يسر وسهولة واضاف الي ماقام به من التمثيل المملوء بالمعانى كالمثل العراقى العامي (تالي الليل تسمع حس العياط) هذه خلاصة المحاورة التي جرت بين الاثنين في حكم الاتراك ويظهر من اعادة احمد حلمي بك لها انه اراد التفاخر امام هذا الربان المأسور ، وقد اراد ان يفهمه ان ماقاله فى ذلك الزمن لم يقع وانما حدث بعكسه ولكن ارأيت الى هذا الاسير كيف اجاب امام قائد الجيش خليل باشا وبحضور ضباط الركن وغيرهم (لقد قلت لك : تسمع حس العياط في آخر الليل وليس بوسطه) حقاً انه جواب رجل جريء مخلص لبلاده وفيه من العبر والعظات مايحتاج اليه المرء الذي يريد ان يكون مخلصاً لمملكته ومما يثبت جرأة هذا الرجل واخلاصه هو تطوعه بباخرة نهرية لنجدة ابناء جلدته المحاصرين في الكوت ومروره بها بين خطوط النار ومعسكرات العدو دون ان يبالي بالموت الزؤام .

وقد غاظ كلام الربان الاسير القائد وضباط ركنه فاضطغنوه . وفي اليوم الثانى غاب الاسير عن الانظار ولم يزل مجهولا الى يومنا هذا .

اما ما قاله الربان كاولي قد ايدته مصاير الحرب العامة ومن قبله قال :

القائد العظيم (ابليون) ان الحرب تقوم على ثلاثة دعائم . الاولى المال ، والثانية المال ، والثالثة المال ، والوقايع قد ايدت لنا هذه النظرية

قضية جمال بابان

للحروب حوادث شتى منها ما يحتاج المرء الى الاطلاع عليها ولاسيما الحوادث التي تقع فى الجيوش المرتبكة والمغلوبة على امرها ولما كانت هذه المذكرة قد حوت الصغيرة والكبيرة من الحوادث التي شاهدتها بنفسي فلا بأس من ذكر الحادثة الآتية للاطلاع وهى :

كنت ملحقاً فى المقر كما ذكرت ذلك فى غير محل من المذكرات ، وجاءت ذات يوم قبل العصر سرية من المشاة بقيادة الضابط جمال بابان من خطوط دفاع الفلاحية لتلتحق بالقوات المرابطة حول الكوت المحاصرة وكانت هذه السرية منهوكة القوى وقد خسرت قسما من جنودها وضباطهـا فى حروب الفلاحية فسألني جمال بابان عن اسباب طلب السرية فاخبرته بان في النية هذه الليلة ان يشرع بالتعرض على الكوت وتهاجم ، وان سريته وسرايا أخرى غيرها جلبت لتعزيز القوات المحيطة بها، فلما سمع ذلك مني بدأ عليه الاضطراب لانه خاض من قبل حروبا كثيرة فى الفلاحية فاتعبته فلما شعرت باضطرابه وددت ان اجد له طريقة لانقاذه من ذلك التعرض واراحته من اتعاب الحرب فاشرت عليه بالبقاء في المقر وتفريق جنوده على خيام جنود المقر الى الصباح ففعل ، وهجم الجيش على الكوت فلم يوفق ورجع فاشلا بعد ان اضاع كثيراً من جنوده :

وفى اليوم الثاني التحق جمال بابان بالقطعة فاعترض عليه آمر الفوج لتأخره عن وقت الالتحاق المعين فاجابه بان السرية اضلت الطريق من المساء الى

الصباح فانطلت الحيلة على الآمر ولم يحقق صحة الخبر ونجا جمال بابان من ذلك التعرض الذي لم يكن الا لاجل تقديم ضحايا — بدون جدوى — لنار الانكليز الحامية في الكوت

قصة ظريفة

في اثناء معارك الكوت وردت الى القائد خليل باشا برقية باللغة العربية من عجمي باشا السعدون في ميدان الفرات تنبئه بحادثة صدامه لعشائر الظفير التي يرأسها حمود الصويط وانتصاره عليها فحسب القائد انه قد فهم معنى هذه البرقية لانه كان يتخيل في نفسه المعرفة باللغة العربية فلم ير حاجة الى ترجمتها غير ان يظهر انه كان يحاول معرفة المحل الذي وقعت فيه المصادمة في الخارطة التي كانت ممتدة على منضدته فطلبني لاساعده في التحري على الموقع . فلما علمت بالامر قلت له ان بحثه عن هذا الاسم في الخارطة عبث لان حمود الصويط ليس بموقع جغرافي ثابت لنتحراه في الخارطة بل هو علم لرئيس عشيرة الظفير . فضحك وضحكنا معه وانصرفت

سقوط كوت الامارة
وتسليم الجنرال طاونزند وجيشه

كانت جميع المحاولات لايصال الارزاق الى الكوت فاشلة غير انه كان في امكان الجيش ان يمون الكوت بواسطة الطيارات ولو موقتاً ريثما يتسع الزمن للجيش الروسى القادم من كرمانشاه فيمده ، بعد ان يئس الجنرال غورينج من نجاحه فى الانقاذ رغم استطاعته عليه ولكنه لم يفعل ذلك واضطر الجنرال طاونزند ان يسلم جيشه الى الاتراك لسبب الجوع فقط . فشرع يراسل

قائد الجيش التركي السادس خليل باشا في ذلك الوقت وتفاوضا في ٢٥ نيسان على شروط التسليم فلم يتفقا . وما كانت اشد دهشة خليل باشا واركان حربه حينما كاشف الجنرال طاونزند احضار ارزاق لاربعة عشر الف شخص في حين ان الثابت عندهم — حسبما التقطوه من الانباء — عن الجيش الانكليزي المحاصر كان يتراوح من خمسة آلاف الى ستة آلاف جندي ليس غير . وما كانت الاخبار التي نتسقطها من اهالي الكوت المتشردين والمخلصين منهم تؤيد لنا هذه الارقام عن الجيش الانكليزي لذلك فسر طلب الجنرال طاونزند بانه عنى مجموع الجيش الانكليزي واهالي الكوت كافة بـ (١٤،٠٠٠) نسمة فتردد خليل باشا اول وهلة في الاستفهام من رسل الجنرال طاونزند عن هذا العدد لئلا يشعر بجهل الاتراك قوته فيؤدي ذلك الى عواقب لاتحمد عقباها . لان الجيش التركي الذي كان يحاصر الكوت في آخر الايام يتراوح عدده من ثلاثة الاف الى اربعة الاف جندي ، وبعث هذا الخبر الارتباك في المقر التركي ولا سيما بعد ما تحقق لديه ان عدد الجيش المحاصر كان ١٤،٠٠٠ جندي ، وان سكان الكوت ليسوا بداخلين في هذه المجموعة فنشطت القيادة التركية تعزز قواتها المحاصرة لاحتمال طروء حادث جديد .

وفي ٢٨ نيسان ورد كتاب من الجنرال طاونزند يطلب اطلاق سراحه وجميع قوته المحاصرة في الكوت بمقابل تسليمه جميع الاسلحة والتجهيزات العسكرية التي لديه وفي ضمنها اربعين مدفعاً كلها سالم . وان تدفع حكومته للجيش العثماني مليون باون انكليزي وان يضمن الضباط والامراء لهم عدم خوضهم في حرب ضد العثمانيين في جميع الاقطار طيلة مدة الحرب . فرفضت القيادة العليا في الاستانة هذه الشروط واصرت على التسليم بغير شرط (غير ان هذا الرفض على ما اعتقد كان خطأً وذلك بالنظر الى افتقار الجيش العثماني

الى المال والتجهيزات الحربية وضعف الحكومة العثمانية في اعالة هذا العدد الكبير من الاسرى والقيام بلوازمه) ولذلك شرع الجنرال طاونزند في تخريب مدافعه ومعداته الحربيه باجمعها ثم اخبر قيادة الجيش التركي باستعداده للتسليم . فاوفدتني القيادة مع ضابط الركن المقدم امين زكي لاجراء معاملة التسليم والتسلم من الجنرال طاونزند فذهبنا يوم ٢٩ نيسان عصراً مع بضعة انفار من الجندرمة مارين بطريق قلعة الخضيري وكانت محصنة من قبل الجيش البريطاني فلم نقف هناك ولم يعترضنا احد من هذا الجيش لعلمهم بوقوع القدر حتى وصلنا الى الكوت فقابلنا الجنرال طاونزند في مقره وبحضرته اربعة جنرالية كانوا جالسين معه ، فشاهدناه أصفر اكدر يعلو محياه الاسى فرحب بنا واعتذر بان صحته المنحرفة تدعوه الى ان ينيب احد زملائه من الجنرالية ليقوم بمقامه واستأذن ان يذهب الى بيته فاذن له المقدم امين زكي العراقي ووجدت مقابلة الجنرال فرصة سانحة فذهبت اليه في داره واستأذنته في المقابلة هنيهة من الزمن فأذن ، فلما دخلت عليه حييته ثم سألته عن صحته وما يطلبه من الاسعاف فاجابني شاكراً وقال انه يحتاج الى راحة تامة تلك الليلة لانه منذ اشهر عديدة يقضي لياليه باضطراب وعناء في سبيل تنفيذ الواجب الذي كان على عاتقه فاجبته بما يوجب تهدأته ثم ذكرت له ان قصدي من زيارتي له هو ان اقص له المصادفات التاريخية الغريبة التي اتفقت معنا في حادثة اسرى في العمارة قبل عام وكيف اني نجوت منه فاستغرب كثيراً وقال انها في الحقيقة لقصة غريبة ، فبينما انت كنت اسيرنا اصبحنا نحن اليوم اسرى لكم . ثم انصرفت وشرع المقدم امين زكي يراسل القيادة التركية بالخبر وتم استلام الجيش المحاصر فكان ينيف على ١٣٠٠٠ نسمة بما فيهم ٥ جنرالية و٤٧٥ ضابطا وكان في ضمن هؤلاء الاسرى نحو ١٣٠٠ مريض

وجريح ، تم الاتفاق مع قيادة الجيش البريطاني بتبديلهم بمثل عددهم من اسرى الجيش العثماني عند الانكليز فجرت المبادلة في الحال

وتقرر سوق الاسرى الى الشمال في ولاية آطنة وسوق الجنرال طاونزند الى الاستانة فسيق الضباط في الباخرة التي نقلت بها مقر القيادة للجيش السادس الى بغداد عقيب استرداد الكوت وكنت انا معهم .

وقد لاحظت في اثناء تقديم القلاطة الى ضباط الركن الانكليز (القلاطة نوع من الصمون اليابس المنشف بالفرن) في الباخرة انهم ارتبكوا في امرهم وتحيروا في كيفية أكلها . فعقدوا جلسة تذاكروا فيها للوصول الى معالجة هذه القضية . فذهب احدهم الى ان القلاطة تؤكل بعد كسرها بالفأس وذهب الآخر الى ان كسرها لا يتم الا بالرصاص ولما طال جدلهم في معالجة هذا الأمر تقدمت منهم وافهمتهم باللغة الفرنسية انهم مخطئون في أمر أكل القلاطة وعلمتهم كيفية أكلها وذلك بان توضع داخل منديل مبتل بالماء مدة بضع دقائق حتى تلين فتتمكن الاسنان من قضمها فشكروني على هذا وقدروا وضع الجيش العثماني من حيث التموين والاعاشة التي لم يصادفوا مثلها حتى في حالة حصارهم . واما الجنود الاسرى فقد سيقوا مشياً على الاقدام الى بغداد ومنها الى الاناضول فى حالة يرثى لها من الجوع وكان لاسر قوة الجنرال طاونزند تأثير عظيم على نفوذ بريطانية في الشرق . فقد كان في امكانهم تحاشيه لو انهم عملوا الفطنة في سياسة اهل البلاد وقبلوا تكاليف جمعية العهد وفاوضوها على اساس الاستقلال

فهذه نتجت من اغلاط سياسة حكومة الهند فى العراق والتي مضت مستمرة على اغلاطها الخرقاء الى ان سببت خسائر فادحة — مادية وادبية — للجيش الانكليزي واهالي العراق طيلة السنين الخمس التي مشت عليها هذه السياسة وبالاخير نحمد الله على الرجال العراقيين القائمين بالحركة الوطنية وحكمة بعض

رجال الانكليز السياسيين ، المفكرين الذين قضوا على سياسة حكومة الهند الخرقاء واعادوها الى صوابها وأخذوا يتمشون على الخطة التي رسمتها جمعية العهد في باديء الأمر .

شعور العشائر نحو الجيش العثماني

لايخفى النقص الذي كان في الجيش العثماني من جميع الوجوه ومن جراء ذلك كان يصعب على القواد تطبيق الحركات تطبيقاً متقناً فيبوء اغلبها بالفشل أو الارتباك حيث لم يكن لدى الجيش خرائط منتظمة لهدايته الى الصواب فى التقدم والانسحاب حتى ان الضباط كانوا يقومون بتخطيط المواقع فى اثناء القتال والهجوم والانسحاب على اوراق عادية يكون المعول عليها . وان هذا النقص هوالذي احدث بعض الاغلاط المهمة فى اثناء الانسحاب من الكوت الى بغداد لاول مرة نذكر حادثة بسيطة حدثت لاحد الضباط وهو يوسف حنظل :

في وقت الانسحاب كنت انا والضابط المذكور في السرية التي كانت بمقدمة الجيش المنسحب وقد كان يرافقنا دليل من الاعراب يسمى (غرابا) وفى أثناء السير وددنا ان نطلع على شعور العشائر نحو الجيش العثماني فسألنا الدليل رأيه عن انسحابنا وعن حالة الجيشين العثماني والانكليزي فاجاب بكل بساطة (ياخوي هذي مكتوبة الكم بس تظلون اتطاردون للوراء) غير ان يوسف حنظل اغتاظ من هذا الجواب فأنبه فاعاد جوابا آخر ببساطة البدوية (يابيك لا تزعل الله ذكرها بالقرآن حيث قال (الم غلب الروم ، بعد انتم ايش ماتسوون مغلو بين ما الها چاره) ولما كان هذا الجواب لم يرض الضابط يوسف حنظل صرخ بالاعرابي واسكته ، ومن ذلك يتضح للقاريء ان الآراء التى كانت سائدة على الاذهان في العراق وهي ان كل اجنبي يحكم بلادهم رومي

ومن جملة أولئك الروم العثمانيون الذين حكموا على هذه البلاد عدة قرون ومع ذلك كان يطلق عليهم ما بين العشائر اسم الرومي !

اعمال القوات السفرية فى ايران

جحفل ايران التركى

كان قد تألف رتل بامر المارشال فون درغولتس باسم جحفل ايران وكان هذا الرتل قد احتل كرمنشاه في اوائل كانون الثاني ١٩١٦ ولكن القوات الروسية دحرته وارادت نجدة الانكليز المحصورين في كوت الامارة وتقدمت فى سيرها ببطء الى ان وصلت في اوائل شهر مايس (ايار) الى قرب خانقين تريد تهديد جانب الجيش العثماني فى العراق ولكن تقدمها جاء متأخراً جداً اذ احتلت الكوت ومضى على احتلالها زهاء عشرة ايام . غير ان سرية خيالة روسية التحقت بقطعات الانكليز المرابطين في علي الغربي آتية من كرمنشاه على طريق كرنت ولورستان الايرانية بعد ان امنت الارتباط مع الجيش البريطانى المرابط امام الكوت ثم قفلت راجعة الا ان عشائر لورستان انتهزت فرصة قلة قوتهم فهاجمتها وكبدتها خسائر فادحة بالنظر الى ان الموقف الجديد اضطر الجيش العثمانى ان يعزل قوة كافية لمقابلة تعرض الروس وصدهم من امام خانقين وأعد لذلك الفيلق الثالث عشر وعين له الزعيم علي احسان بك قائداً فسافر فى ٩ مايس من الكوت فوصلت هذه القوة واشتبكت بمعركة شديدة مع الروس دامت يوما كاملا فاسفرت النتيجة عن دحرهم وتعقيبهم الى كرمنشاه ومن ثم الى همدان .

قدوم القائد العام انور باشا الى بغداد

بعد ان نقل خليل باشا مقره الى بغداد ببضعة ايام جاء وكيل القائد العام للجيوش التركية انور باشا بغداد للتفتيش وكنت من جملة مستقبليه من ضباط المقر فلما اقتربت منه للسلام عليه كنت انتظر منه الالتفات الخاص للعهد الذي امضيناه معاً في حرب الايطاليين في طرابلس الغرب سنة ١٩١٢ اذ كنا نلتقي دائماً فى المقر وكانت حالتنا فى عسر جداً وقضينا سنة كاملة فى صحراء افريقية المحرقة متطوعين فى سبيل الواجب فكان الخليق به ان يتذكر تلك العهود والصداقة وان يلطفني ولو بالفاظ ناشفة ولكن الكبرياء والغطرسة قد وصلت بهؤلاء المخاليق الى درجة اصبحوا معها لا يلتفتون الى الاتعاظ بتقلبات الدهر وصروف الغير على انه لم يمض على هؤلاء زمن طويل حتى شاهدنا مصارعهم ونالوا ما كانوا يستحقون .

ثم ذهب انور الى الكوت ففتش القطعات واعاد مع مقره الى الاستانة اما جبهة دجلة الثانية فقد بقت بعهدة الفيلق ١٨ الذي كان يشتمل على ٦٠ مدفعاً و ١١٠٠٠ مقاتل فقط بينما كان الجيش البريطاني المرابط فى شيخ سعد يؤلف ثلاثة اضعاف هذه القوة وكان الجيشان المتقاتلان بعد سقوط الكوت قد انهكهما التعب من الحروب الشديدة التي قاما بها فى اثناء حصار الكوت . ولما كان موسم الحر قد اقبل فلم يبق مجال للدوام على الحرب كانت قطعات الفريقين المتحاربين في دجلة فى الاستراحة تقريباً ماعدا بعض المعارك الجوية الطفيفة التي كانت تقع من آونة واخرى بين طيارات الفريقين وبعض المصادمات بين الدوريات وبعض قصف المدفعية من حين الى آخر

المناورات السياسية

لو امعنا النظر في الوضع الدولي تجاه التيارات السياسية لرأينا هناك تنازعا شديداً يجرى فى الخفاء بين الانكليز والروس على ما بينهم من التحالف . يظهر ذلك جلياً عند التأمل في الحركات التي كان يقوم بها الجيش الروسي ، فانه لما طلب منه في شهر كانون الثانى ان يتقدم الى بغداد لانقاذ الجيش الانكليزي المحاصر في الكوت لم ينشط في سيره اليها نشاطه ولم تلح على الروس رغبة فى احتلال بغداد للانكليز فلو أنهم كانوا يريدون هذا لتقدموا اليها منذ كانون الثانى . غير ان الجيش الروسي بعد ان علم بسقوط الكوت وانكسار شوكة الجيش الانكليزي في العراق أسرع فاحتل خانقين . فلما علم الجنرال غورينج نيات الروس في احتلال بغداد لم يتحرك باى حركة جديدة امام الجيش العثمانى المرابط امامه في الكوت على زيادة قوته عليهم بثلاثة اضعاف ولم يضيق على الجيش العثمانى ليحمله على التقهقر الى بغداد بل افسح لهم المجال لسحب الفيلق الثالث عشر الذي سيره العثمانيون الى خانقين لنجدة القوات المرابطة هناك ولم يكن يود الانكليز ان يتقدم الروس قبلهم فيحتلوا ولايتي بغداد والموصل وفيهما المعادن الوفيرة والنفط الغزير

كل هذه اعتبارات سياسية لها قيمتها فيما يتخذه الروس والانكليز والالمان من مقررات فهاجم الجيش العثماني الجيش الروسي في خانقين ودحره واستمر بتعقيبه ويطارده من الاراضى الايرانية رغم ان الاتراك لم يكونوا في هذا العهد جاهزين للقيام بمثل هذه الحركات التي تحتاج الى وسائط استخبارات جيدة وخطوط مواصلات ووسائل سريعة . لاسيما وان المسافات كانت بعيدة تعد بمئات

الكيلو مترات وأخطأ خليل باشا خطأ كبيراً اذ سير جيشه الى مسافات بعيدة عن أس حركته حتى وصلوا الى همدان

وضع ايران فى الحرب العظمى

ان ايران وان اعلنت حيادها فى بداية الحرب العظمى – لم تكن قادرة على محافظة حيادها تجاه قوات الاتراك والالمان والروس والانكليز لأنهم جميعهم كانوا اقوى منها فلم تتمكن من مخاصمتهم وردعهم . اوفدت الروس بعثات عديدة الى ايران لتهديد الترك والالمان ظاهراً وتهديد الانكليز باطناً لتأمين مطامعها بها . ومن ثم احتل الروس منطقة اورمية في شمال ايران كما احتل ألانكليز منطقة الاهواز في الجنوب فازدادت اهمية هذا الوضع بتطور الموقف فى ميدان القتال فى العراق . ولما علم الالمان بفعالية الجيوش الروسية والانكليزية فى ايران فانها شرعت مع الاتراك بايفاد بعثات عسكرية سياسية متعددة الى ايران للقيام بمثل هذه الحركات للاستفادة بها كما استقر رأي المانية في اواخر سنة ١٩١٥ على الاقدام على حركات فرعية تستغل فيها العالم الاسلامي في افريقية وآسية فتضايق بها الانكليز والروس وكان اول هدفهم ايران فسعوا لحملها على الاشتراك في الحرب الى جانب تركية ولكن ذهبت مساعيهم سدى : لان رجال الالمان والترك السياسيين لم يتخذوا خطة صريحة للعمل ولم يتعاونوا التعاون المطلوب وكان الالمان منشغلين بفكرة التوسع الاقتصادى الالماني خلافاً لما كان ينديه سياسيو الاتراك في ايران فى السعي لزيادة النفوذ التركي ، وهكذا فشلت مساعيهم فى ايران . وكان هذا طبيعياً لان مكانة الروس والانكليز في منطقتي نفوذهما ووجود القوات العسكرية الروسية والانكليزية في اراضي ايران اكبر سبب لخيبة مساعي

الالمان والترك فى ايران . فكانت حكومة ايران مدركة عاقبة اللعب بالنار فبقيت لذلك متمسكة بحيادها تجاه الدول المتحاربة الى الاخير وكان عملها هذا حسناً جداً ولكن الالمان لم يعتبروا فى محاولاتهم الفاشلة فى ايران اذ الفوا بعثة ثانية من العشائر بامرة بضعة ضباط من الالمان فارسلت الى شط العرب لتهديد شركة النفط والنفوذ الانكليزي في خليج البصرة ولكن الانكليز قضوا على هذه البعثة واعمالها . كما اوفد الالمان لهذه الغاية بعينها الكابتن فون هناك الى الافغان ولكنهم فشلوا فى محاولة اثارة الافغان ايضاً

* * *

فى اثناء تقهقر الجيش الروسي من خانقين الى همدان صدر أمر فجائى بوجوب التحاقي انا وزملائى الضباط البغداديون بهجت زينل وابراهيم زهدي كتخدا والسيد حسن النقيب بامر قيادة الفيلق الثالث عشر القائم بتعقيب الجيش الروسي في ايران ، وقد كان ذلك بنتيجة مؤامرة دبرها بعض ضباط المقر من الاتراك لاخراجنا جميعاً من المقر لكوننا عراقيين فنجحوا بها لدى القائد خليل باشا الذي اصدر امره النهائى وسبب ذلك تافه جداً وخلاصته: اننا بينما كنا ذات يوم جالسين بمحضر هؤلاء الضباط نتناقش في النتائج السيئة التي سيحدثها تقدم الروس نحو بغداد وما عسى ان سيصيبنا من عواقب سقوط بغداد ، اجبناهم من شدة تألمنا بانهم اشخاص مجردون لاناقة لهم ببغداد ولا جمل متى ضاق بهم الأمر ركب كل منهم حصانه وانسحب كما وقع معهم فى الحروب الماضية ولكن الويل علينا نحن الذين ترابطنا ببغداد روابط قوية جداً من حيث الوطن والاسرة وذوو القرابة والاملاك وكل شيء فغاضهم هذا الكلام فارادوا ان ينتقموا منا بالوشاية بنا الى القائد خليل باشا حتى زعموا له اننا مسرورون من تقدم الروس للتخلص من الحكم التركي فغضب خليل باشا

واصدر امره الفجائي دون ان يحقق فسافر زملائي الى ايران وتخلفت بحجة اني ضابط درك (جندرمة) وطلبت نقلي الى احدى وحدات الجندرمة فنقلت الى فوج الجندرمة السيار في المسيب في اوائل حزيران سنة ١٩١٦

اسباب الثورة العربية الكبرى مهم

نحاول ان نوجز في هذا البحث وصف الروح التي كانت تسود المجتمع العربي ولاسيما الشباب والمفكرين ، والحالة النفسية التي كانت تملي على مجتمع الامبراطورية العثمانية ، وخاصة خطط حكومتها السياسية والثقافية والاجتماعية التي تسلكها مع الامة العربية واقطارها .

بعد القرن الثامن عشر الميلادي وخاصة في فجر القرن العشرين اصبح في مقدمة العلوم السياسية التي تدرسها الامم المتمدنة في جامعاتها الحقوقية والسياسية علم سياسة الاستعمار وفنون ادارة الاقطار والامم غير المنسوبة في قوميتها الى الدول المستعمرة و يستند هذا العلم الى التاريخ العام الذي يخص الامة المراد استعمارها أو المستعمرة بالفعل ، و يتناول هذا التاريخ درس خصائص تلك الامة منذ نشوئها الى يومها الحاضر فيستوعب تأريخها القومي (من دين وأدب وثقافة وسياسة وصناعة واقتصاد) استيعاباً واسع النطاق

وكذلك الحقائق والعوامل التي كيفت الميول والاتجاهات في ذلك المجتمع المراد استعماره ، وفي أي شيء يرغب ، وبأي امر يثق ، والى اية جهة يميل ؛ وما هي امانيه وغاياته ، وماهي الوسائل التي يستخدمها أو يستطيع الحصول عليها لبلوغ امانيه ؟ ثم يتخذ الاسباب التي تسهل الاستعمار وتضعف مقاومة تلك الامة حتى تصبح مستعمرة أما الاكراه على الخضوع فلا يدخل في حساب هذا العلم الا في حالات شاذة تقضي بذلك

لذلك نجد الى جانب وزارات الاستعمار في الدول الكبيرة مؤسسات وتشكيلات واخصائيين ومختبرات وعلماء في كل فرع من فروع العلوم والفنون عن البلاد المستعمرة وبذلك وسواء استطاعت الدول الاستعمارية من امتلاك البلاد واستغلالها واستثمارها مدى السنين الطوال

والمعروف عند من درسوا التاريخ وعرفوا تشكيلات الدول الاوربية ان لها مفوضيات وسفارات وقنصليات في البلاد العربية وغيرها ودوائر خاصة بها في عواصمها تدرس كل مايتعلق بشؤون العالم لتمهد لها بذلك الاستيلاء على البلاد التي تنتفع كنوزها

اما الحكومة العثمانية التي كانت تحكم اقطاراً عديدة غير تركية تفوق بمساحاتها وسكانها البلاد التركية الصرفة ، فلم تهتم بأي شأن من الشؤون العلمية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية في تلك الاقطار ولا بتنظيم علاقاتها بهذه البلاد وشعوبها الا عنايتها بعض الشيء بالقوة العسكرية .

وظلت الحكومة العثمانية مستمرة على سياسة الفتح (التي سارت عليها الدولة منذ عهود تيمور لنك وجنكيز وهلاكو الى زمن العثمانيين) وأذنها صماء وعينها مغمضة عن جميع التطورات التي حدثت في القرون الاخيرة في شتى مناحي الحياة والفنون السياسية التي اتسعت اتساعاً عظيما في اوربة وامريكة فالدولة لم تكن مهملة غير الترك من شعوبها فحسب بل كانت مهملة حتى شؤون العنصر) التركي ايضاً والامة العربية لاشك في انها في مقدمة الامم الكبيرة ذوات المجد الحافل والسلطان العظيم والملك الواسع واللغة المنتشرة والدين القيم الذي يخضع له زهاء اربعمائة مليون مسلم على الارض ، فامة هذا شأنها الجليل بين الامم ليس باليسر والسهولة ان يخضع لمثل هذه السياسة الخرقاء والادارة السيئة من سياسة ترك الحبل على الغارب واهمال حقوقها

وحاجاتها ثم محاولة استمرار السيطرة عليها لولا اواصر الدين وجلال الخلافة الاسلامية في النفوس وقد انتبهت الامــة العربيه وفي مقــدمتها شبابها الى ماوصلت اليه حالتهم خصوصاً وحالة الدولة العثمانية عمومها من التفسخ وما انتشر في الدولة من الفساد السياسي والاجتماعي فصارت تتكتل فى اكثر المدن العربية زمر الشباب وتتداولا فى امر مصيرهـا وماستؤول اليه حالتهم اذا ماستمرت الحكومة المسؤولة في الاستانة على هــذا التفكك السائرة اليه

فنشطت روح التذمر بنسبة ما كان يضيب الدولة العثمانية من انهزامات في مباديء الحرب والسياسة حتى كانت سنة ١٩١٤ التي اعلنت فيها الحرب العامة ، اذ نجد عندها الارواح الغير تركية الخاضعة للاتراك وقد بلغت الحدود القصوى من تشبعها بعدم جدارة الاتحـاديين فى حـكم بلادهم بأن مصيرهم ومستقبلهم معلقان بجهود ابناء قومهم فقط . وان لاخير يرجى من الحـكومة العثمانية سواء خرجت غالبة من الحرب العامة او مغلوبة ، وحيث ان الامة العثمانية وفي مقدمتها رجال حكومتها وشبابها كانوا لايعبأون من التصريحات العلنية والغير علنية من انهم سوف يقمعون بالنار والحديد كل حوكة من هذه الاقوام يكون هدفها المطالبة بتقرير لسانها رسمياً في بلادهـا او باستحصال نوع من الادارة المحلية تكون لها حق السيطرة او المشورة على الاقل على معارفها وماليتها واوقافها ومحاكمتها ودفاعها فكان الشخص يتهم بالخيانة بمجرد تفوهه اولفت نظر المسؤولين الى نقاط حيوية كهذه . والامم الغير تركية كانت قاطبة تشعر بروح الحقد والنقمة عينهـا التي كانت مستوليـة على رؤس الاتحـاديين وبمقدمتهم رجالهم المسؤولون فالتفاهم فى تلك الظروف كان من رابع المستحيلات وان جميع المحاولات التي بذلت في حينها لتقريب وجهات النظر ، وما عقد

من حفلات واجتماعات لهذه الغاية كان الرياء والتكاف باديين عليهما بصورة تقرأ مضامينها على الالسن والوجوه بصورة في ابلغ مايكون من الصراحة .

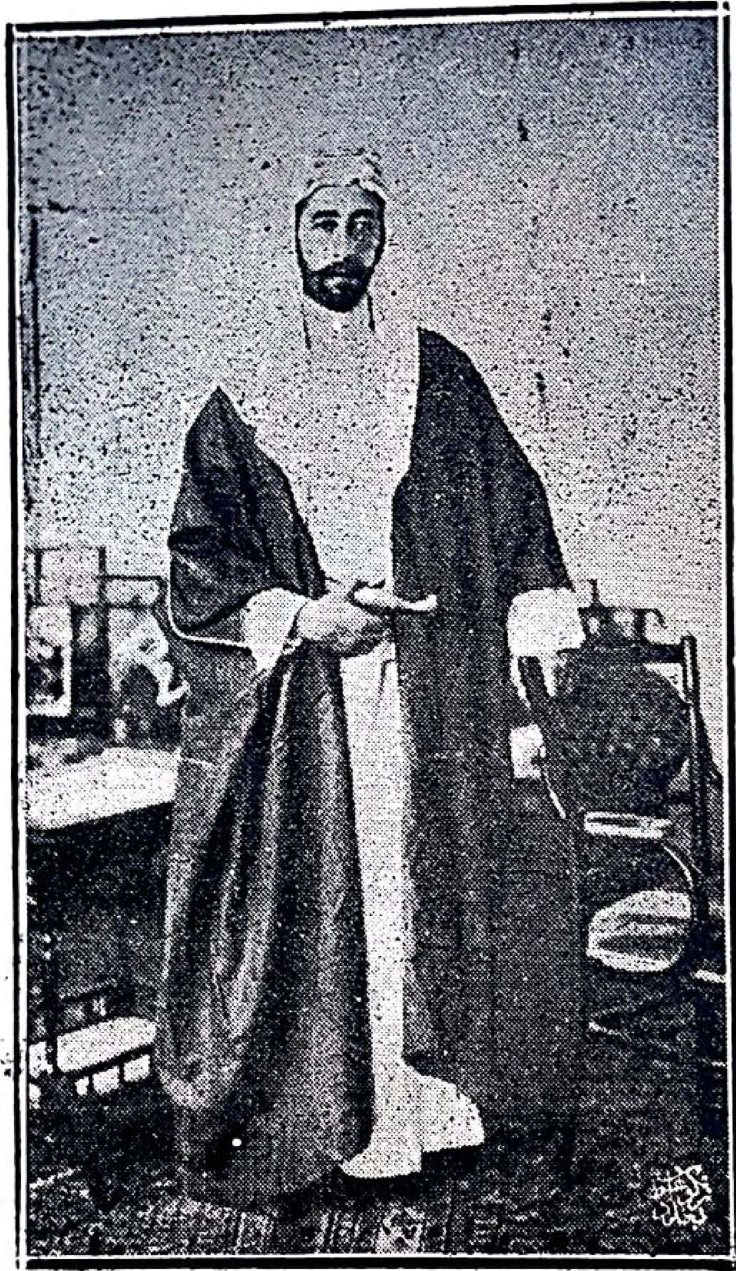
ومن الجهة الاخرى كانت الامـة العربية شـاعرة منذ اول يوم اعلان الحرب العامة ان كفة دول الائتلاف هي الراجحة ولا شك فى ان كفة دول الاتفاق هي المغلوبة فـلاحظت انهـا ان بقيت جامدة على طول الخط فدول الائتلاف المنتصرين الذين سيفتحون بلادها سيعاملونها معاملة الامة العدوة المغلوبة ويكون لهم حق السيف والفتح في استعمارها وحكمها ، وسوف لايبقى لهم اي حق او شبه حق فى مطالبة دول الائتلاف المنتصرين في الاستقلال وفي الانتداب (كما جرت الحالة مع بلاد تونس والجزائر وطرابلس الغرب) من جهة اخرى كانت وفود السياسيين المتنكرين من دول الائتلاف تبذل الوعود في منح الامة العربية كل ماتريد وتشتهي بعد الحرب العامة من حرية واستقلال ان هي اثارت على الامبراطورية العثمانية وانضمت بصفوفها الى كفة دول الائتلاف ولو كان هناك اية بارقة امل في الحصول على شيء من الاستقلال والحريـة والمساواة مع الدول العثمانية اذا ماانتصروا فى الحرب العامة لكان هناك مجال للتردد في الانضمام الى صفوف دول الائتلاف ولكن الاتحاديين لم يتركوا اي أمل للامة العربية فى ذلك ولا اي ثقة أو اعتماد عليهم في الحصول ولو على جزء من حقوقهم ومطالبهم فيما اذا خرجوا منتصرين من هذه الحرب العامة وكيف اذا اضيف الى هذا اليأس من الامة العثمانية اليأس التام من انتصارها فى الحرب ، ولذلك قد قلبت الامة العربية وعلى رأسها جلالة الملك حسين وانجاله العظام كل هـذه الاحتمالات وظلت تمحصها وتفكر فيها طيلة مـدة تربو على السنتين التي سبقت الحرب العامـة ، الى ان اظهر رجال الاتحاديين العداء الشديد والمظالم نحو الامـة العربية

بصورة علنية ، حيث قاموا بشنق خيرة بعض رجال العرب المفكرين ونفوا البعض الآخر الى خارج الاقطار العربية وان هذه الاعمال العدائية التي قام بها جمال السفاح مما عجلت تهيئة الاسباب الموصلة الى ثورة الحجاز ، وقررت في آخر الامر ان كلا الخطتين — خطة الاستمرار على البقاء فى ضمن الامبراطورية العثمانية وخطة الانضمام الى دول الائتلاف — شر ولكن الانضمام الى دول الائتلاف اهون هذين الشرين على الاقل وذلك للقناعة التامة التي كانت سائدة عندئذ عن انهزام دول الاتفاق فى الحرب العامة اولا وليقينها التام ايضاً من تصميم الاتحاديين على محو ومحق امتهم ، اذا ماخرجوا من الحرب العامة منتصرين ثانياً . وفعلا قد تحقق ماكان يدور في خلد الامة العربية وما انتجته وتكهن به الملك حسين وانجاله من انهزام دول الاتفاق وانتصار دول الائتلاف . ولنتصور عكس ذلك لو ان الامة العربية لم تلتحق بصفوف دول الائتلاف فهل ياترى ان هذا التحالف والانضمام الى دول الائتلاف كان يغير من مقدرات الحرب العامة ومن نتائجها شيء وهل كانت ترجح كفة دول الائتلاف ؟ اللهم لا انما غاية ما في الامر ان الحرب ربما كانت تطول بضعة شهور زيادة عن المدة التي استغرقتها وكانت دول الائتلاف تضطر الى صرف بضعة ملايين من الدراهم وسوق عشرات الالوف من الجنود الى ساحات الشرق الحربية ، علاوة على ماساقته الامة العربية الى جانبها فحينئذ ان عدم انضمام العرب الى دول الائتلاف ماكان ليغير من نتيجة الحرب العامة الحاسمة شيئاً عظيما . ولكن نتائج عدم الانضمام هذا كان يؤثر على مقدرات الامة العربية في الوقت الحاضر تأثيراً بعيد المدى جداً . اذ كانت الحجاز وهي مركز القيادة الاسلامية تبقى مهددة بالاحتلال ولربما كان يخشى عليها ان تصبح تحت سيطرة دولة اجنبية غير مسلمة

التطور السياسي

وقد شعر بعض ملوك العرب ، قبل اعلان الحرب ، بانحلال الدولة العثمانية وضعف ساحتها ومافي الاستمرار على الخضوع لادارتها وسيادتها من شر وضرر فثاروا عليها في ازمنة مختلفة ، وكان اسبقهم الى ذلك يحي حميد الدين امام اليمن والادريسي امير العسير ، وعبد العزيز آل سعود امير نجد ، والدروز في سورية

اما الثورة الحجازية فقد تأخرت عن يوم اعلان الحرب زهاء عامين تقريباً لان الملك حسيناً آثر ان يدرس الوضع ليصل مع الاتحاديين الى حل يضمن به للامة العربية حقوقها ، غير ان الاتحاديين كانوا ماضين في تطبيق برنامجهم على العرب لايصغون الى نداء ولاينثنون عن خططهم من نفي الاسر العربية وشنق خيرة الزعماء المفكرين منهم الى غير ذلك مما دفع العرب الى ان يقدموا على الثورة للخلاص من بغيهم وقد شعرت دول الائتلاف بشدة توتر العلاقات بين الاتحاديين وزعماء العرب ، وكان من مصلحتها ان تستغل العرب وتعدهم بالاستقلال ان انضموا الى صفوفها فاوفدت الى البلاد العربية كثيراً من السياسيين بالظاهر وبالخفاء ليعملوا على تحقيق هذا المطلب ، ولم يكن للعرب يومئذ مفر من تقرير مصيرهم ، فاتفقت المصلحتان مصلحة الامة العربية ومصلحة دول الائتلاف على التعاون في هذا السبيل . فاخذ الشريف حسين العهود الكتابية من الرجال البريطانيين المسؤولين بمنح العرب الاستقلال التام ، وانشاء مملكة عربية بحدودها الطبيعية من ولاية حلب حتى بلاد فارس شمالاً ومنها حتى خليج البصرة شرقاً ومن المحيط الهندي الى الجزيرة جنوباً والبحر المتوسط حتى شبه جزيرة سيناء غرباً وعلى ان تعاد الخلافة الاسلامية للعرب



الأمير فيصل بن الحسين قائد قواد الثورة العربية



سمو الأمير عبد الله

اذن فقد كان في انضمام العرب الى صفوف دول الائتلاف نفع كبير لهم لاشك، فى ذلك اقله انهم حافظوا على عنصريتهم ولغتهم واصبحوا لهم ايضاً الحق الطبيعى في التمتع بخيرات بلادهم . واصبحوا لهم تيجـان معترف بهـا عند الدول العظمى ، وحق المطالبة الدائمة بمـا لهم من حقوق سياسية قد تأخر نيل بعضها لاسباب دولية قاهرة يطول شرحها ولـكن من سعى سار على الدرب وصل ! الوفاء للحق ان نضيف الى ذلك ان هذه النهضة تكاد تكون عامة شاملة لا تنحصر فى قطر دون آخر من الاقطار العربية الخاضعة للنفوذ الاجنبي وتتجلى هذه النهضة بارزة ظاهرة في ذلك الاندفاع الشعبي الطامح للتحرر والانعتاق . فالعراق وسورية ونجد وفلسطين وشرق الاردن وتونس ومصر واليمن تمشي بخطوات جبارة الى غاية واضحة صريحة هي الاستقلال الصحيح . واعتقد ان فكرة الوحدة العربية ، على انها فكرة وعلى أنها غامضة لتسود من الناحية العملية هذه الاندفاعات الشعبية وتسير الفكرتان ، فكرة الاستقلال الموضعي وفكـرة الوحـــدة العربية جنباً الى جنب على رغم كل شيء !

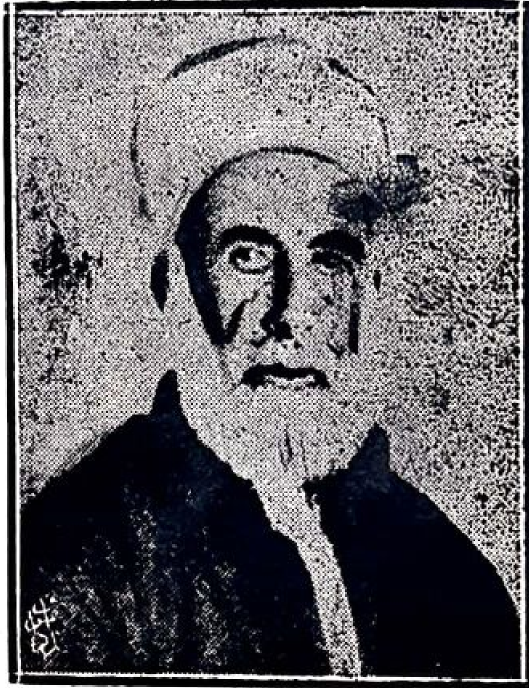
البدء بالثورة فى الحجاز في ٢ حزيران سنة ١٩١٦

ان الشريف حسيناً بعد ان اتفق مع الانكليز على اعلان الثورة على العثمانيين للانفصال عنهم لما رأى منهم ما يستوجب ذلك مما فصله في منشوره الذي اذاعه واعلن فيه استقلال بلاده عن الدولة العثمانية جمع رؤساء العشائر ومن يعتمد عليه من اعيان البلاد الحجازية فاوضح لهم الحالة الراهنة وعزمه على ايقاد نار الثورة على الحكومة العثمانية لانقاذ الحجاز من الموت الذي يهددها

وانقاذ البلاد العربية من الاسر حتى اذا اخذ موافقتهم اخبر نجليه الاميرين علياً وفيصلا بذلك وعين اليوم الذي تبدأ فيه الحركات فى مكة وجدة والطائف و ينبع والمدينة . وفي ٩ شعبان اطلق الشريف حسين من يده اول طلقة معلناً بدء الحركة فى مكة المكرمة .

ولما رفع العلم العربي المنشود تلاشت اوهام العثمانيين وحلفائهما الالمان باعلانهم الجهاد المقدس الذي كانوا يهددون به العالم منذ عشرات السنين و بذلك انتهى الفصل الخيالي من فصول التاريخ وحلت محله فكرة احياء الاتحاد العربي التي اساسها قائم على القومية ، مرتكزة على المبادئ الاوربية الحديثة . وفى ايام قليلة استسلمت حاميتا مكة وجدة واعقبتهما ينبع البحر فاستسلمت العرب بعد ان هاجمها الانكليز من البحر ولم تقاوم سوى حاميتي المدينة المنورة والطائف . واما الطائف بعد ان بقيت في الحصار ثلاثة اشهر سلمت الى الامير عبدالله ولم تسلم المدينة المنورة الا بعد اعلان الهدنة وسبب ذلك ان الشريف حسيناً امر قواد جيوشه ان لا يضربوها احتراماً لجده عليه الصلاة والسلام فبقيت لذلك في الحصار الى انتهاء الحرب ثم سلمت حاميتها للجيش العربي .

ولما اعلنت الثورة العربية الكبرى لم يكن للعراق علم بها كان ان الانكليز لم يذيعوا الخبر فى العراق خلافاً للاقطار الاخرى وفى العالم كأن العراق خارج عن العالم فكان ذلك من جملة الادلة التي كانت تؤيد ما تبيته حكومة الهند للعراق من المقاصد السيئة حتى كانت هذه السياسة وبالا عظيما عليها . فضلا عن ذلك اضمارهم العداء لكل من يتجاهر بالقومية العربية ، حتى اذا مضى على اعلان الثورة زهاء العام بدأ الناس في العراق يشعرون بوجودها و يعطفون عليها ، كما ان الضباط العراقيين المنتسبين لجمعية العهد



المغفور له جلالة الملك حسين

كانوا بعد اسرهم واتصال نبأ الثورة العربية بهم يطلبون من السلطات العسكرية والملكية في العراق ارسالهم الى الحجاز متطوعين في الجيش ولكن السلطات كانت ترفض هذا الطلب بل كانت تعتقلهم وتسوقهم الى الهند ، خلافاً لخطة السلطات الانكليزية في مصر فقد كانت هـذه قائمة بتشجيع حركة الثورة العربية وتساعدها مادياً وادبياً .

فى وادى الفرات

بعد ان التحقت بفوج الجندرمة السيار فى المسيب ومكثت هناك نحو شهر واحد مع الفوج تلقينا امراً بالسفر الى الحي فركبنا اليها احدى البواخر النهرية من بغداد الى الكوت ومنها الى الحي مشياً على الاقدام وكانت وظيفة هذا الفوج حماية الجناح الايمن للجيش العثمانى المرابط امام الكوت وترصد وادي الفرات الى شطرة المنتفك حتى اذا قضينا شهراً في الحي انتقلنا الى خضر الدراجي مع الفوج المذكور لحماية السماوة ووادي الفرات فكنا تحت امرة العقيد احمد بك اوراق العراقي وكان قائماً بقيادة جحفل الفرات المؤلف من فوجين من المشاة وسرية خيالة و بطرية مدفعية وكانت عشائر المنتفك التي هى برئاسة عجمي باشا المنصور وقسم من عشائر شمر نجد برئاسة عـكاب بن عجيل وعشيرة العجمان النجدية برئاسة ابن حثلين مرابطاً في السماوة تابعة لقيادة جحفل الفرات وكان فريق من المجاهدين المتطوعين من عشائر لواء الديوانية ومقر هذا الجحفل كان في عين الصيد فى التلول الرملية المسماة (الرميلة) التي تبعد عن خضر الدراجي عشرين كيلو متراً غرباً وماء هذا العين ملح اجاج واراضيها قفر فى وسط الجزيرة .

بعد وصولنا الى خضر الدراجي الحقني القائد بمقره مرافقاً له فانتقلت

من الخضر الى عين الصيد وكان ضابط الركن للجحفل توفيق وهبي العراقي .

وكانت حركات الانكليز في ميدان الفرات انحصرت في التشكيل بالعشائر والمجاهدين الذين يهاجمون السفن النهريه ومنع تقدمهم نحو الجنوب كما انهم جربوا بارسال قوة من المشاة تنقلها البواخر النهرية والزوارق المسلحة لاحتلال السماوة ولكن صد تقدمهم من قبل فوج الدرك السيار المرابط في خضر الدراجي والعشائر المتطوعون فعادوا الى الناصرية بغير جدوى .

اما طيارات العدو فكانت تقذف معسكر الرميلة بقنابلها من حين الى آخر ولكنها لم تؤثر عليه اي تأثير للين ارضه الرملية .

وفي ١٥ آب قام الانكليز بحركة اخرى في اتجاه السماوة وارسلوا ثلاث بواخر نهرية تحميها الغانبوطات (١) نهراً وهجانة عشائر الظفير من جهة الشامية فقابلها فوج الدرك السيار من على الساحل ومنع تقدمها الى الشمال كما ان عشائرنا الهجانة والخيالة التي كان يرأسها عجمي باشا السعدون هاجمت هجانة الظفير من جماعة حمود الصويط فردهم على اعقابهم خاسرين واسرت منهم ثلاثين شخصاً مع هجنهم واسلحتهم .

وقبضت دورياتنا ذات يوم على ساع هجان ينقل بريداً من بغداد الى ابن السعود في الرياض فعثر عنده على كتاب من سليمان الدخيل صاحب جريدة الرياض في بغداد الى ابن السعود يخبره فيه عن احوال العراق وسوء ادارة العثمانيين . فلما كانت عاقبة صاحب هذا الكتاب ستكون الشنق ، لا شك في ذلك ولا ريب — آليت على نفسي مجازفاً — اخفاء الكتاب السري الذي كتبه آمر الجحفل العقيد احمد بك الى قيادة الفيلق السادس وربطه بكتاب الدخيل فانقذت بذلك رجلا عربياً دون ان تكون لي معه معرفة سابقه .

---

(١) غانبوط — باخرة حربية خفيفة

ولما كانت شدة حرارة الصيف تحول دون الحركات في العراق فقد بقي الفريقان المتحاربان قابعين في مواضعهم يهيئون جيوشهم للنضال في الخريف المقبل وهكذا ساد السكون في العراق بضعة اشهر .

وعزل الجنرال غورينج من منصبه لخيبته في انقاذ الكوت واستخلفه الجنرال مود في حزيران ١٩١٦ .

الزحف نحو بغداد

استطاع الجنرال مود ان يعيد نشاط جنوده و ينسقهم في الثمانية الشهور التي اعقبت سقوط كوت الامارة في ايدي الاتراك كما انه جاءته نجدات كبيرة جعلته قادراً على ازاحة الجيش العثماني الضعيف عدة وعديداً وقد نظم وحدات جيشه المختلفة بكل اتقان ، وجلب الى دجلة احسن بواخر الاسطول النهري ، واخذ يمد السكك الحديدية واول خط شرع في مده من البصرة الى ناصرية المنتفك على الفرات والى العمارة على دجلة وكذلك مد سكة حديد ضيقة (ده قويل) من شيخ سعد الى الخطوط الامامية في ميدان الكوت ، فزاد عدد جيشه فبلغ (٩٥،٠٠٠) مقاتلا واما غير المقاتلة من الجند العمال فقد بلغوا الا (٦٥،٠٠٠) والمجموع (١٦٦،٠٠٠) بما فيها ٣١ سرية خيالة مع ١٧٦ مدفعاً . اما الجيش العثماني فلم يتمكن من عمل شيء من هذا القبيل لفقدانه الوسائل .

وكان افضع غلط ارتكبته القيادة التركية ارسالها الفيلق الثالث عشر من جبهة الكوت الى ايران راكضين وراء خيال الفتوحات في ايران والهند والافغان والطوران . ولم يعوض الجيش المرابط بالكوت الا بفرقة واحدة جاءت من ديار بكر وكان على الفيلق الثامن عشر الذي قاده الكولونل كاظم

قره بكر بك وهو لا يزيد على (١٥،٠٠٠) رجل و (٥٢ مدفعاً) ان يحارب وحده جيشاً كبيراً بمقابله ولا تنكر بسالة هذا الجيش الصغير وجهود قائده التي انقذه في تراجعه الى بغداد من الدمار .

سقوط بغداد

وفي ٢٥ شباط ١٩١٧ قام الجنرال مود بالتعرض على خنادق الجيش العثماني وهاجمهم بقوة مؤلفة من ٤٥،٠٠٠ من المشاة و ٣٥٠٠ من الخيالة وفرز من هذه القوة فرقة من المشاة ومفرزة من الخيالة ودفعهم الى الامام للالتفاف حول الجيش العثماني ليأسره . ووصلت هذه القوة الى ام الطبول فى شمال الكوت بمسافات بعيدة حيث جعلت هذه الحركة بقاء الجيش العثمانى فى الصناعيات مستحيلا لنقص عدده الى الـ ٦٠٠٠ جندي بعد وقع معظمه في الاسر، من هذا الالتفاف فاضطر الجيش العثماني الى التقهقر بسرعة خارقة الى ميدان سلمان باك فى ٢٨ منه . وتقدم الانكليز في ٥ مارت مستمراً فاضطر الجيش العثماني الى التراجع الى وراء ديالى واستطاع في هذا الحين ان يناضل الجيش الانكليزي بقوة تقارب عشرة آلاف جندي مستعيناً بالنجدات التي جاءته وفي ٩ منه عبرت خيالة الانكليز نهر ديالى بمعونة المشاة وجربت جناح القوات العثمانية وانقضى هذا اليوم بمعارك شديدة جداً تراجع فيها الجيش العثماني امام قوات الاعداء الكثيرة . وجدد الانكليز حملاتهم في ١٠ منه حتى وصلوا الى ابواب بغداد ووقفت القوات العثمانية في جنوبى بغداد تدافع عن المدينة . فدفعتها القوات الانكليزية عن الخط الذي وقفت فيه على دفاعها المستميت واحتلت محطة بغداد الغربية فرأى خليل باشا انه اخذ من جناحيه بقوات تزيد على قواته اربعة اضعاف فامر جيشه — مضطراً —

باتلاف مالديه والجلاء عن المدينة . وهكذا احتلها الجيش البريطانى فى مساء ١١ مارت ٩١٧ بعد ان ظلت سيادة العثمانيين زهاء ٣٠٠ عام (اي منذ احتلها العثمانيون في ٢٤ كانون الاول سنة ١٦٣٨ م)

* * *

وعلى اثر ذلك تقهقر الجيش العثمانى المرابط في كرمنشاه لنجدة بغداد وفي هذا الحين اخذ الجيش الروسي بأمرة الجنرال بارانوف يتقدم الى خانقين وكان مؤلفاً من فرقة عسكرية نظامية . ولو ان الفيلق الثالث عشر الذى كان مرابطاً فى ايران بنية الاستيلاء عليها وصل الى منطقة الكوت في شباط لكان مصير الجيش العثمانى خيراً مما آل اليه . ونلاحظ انه كلما طال امد الحرب ضعف هذا الجيش العثمانى . وقد امتازت الحركات التي اعقبت سقوط بغداد باستمرار ازدياد القوات الانكليزية ونقصان القوات العثمانية التي مع فقدانه مايمونه . وفي الوقت الذي اخذ فيه الاعداء يستولون على هذه البقعة الثمينة من البلاد العثمانية كانت قوات اخرى من الجيش العثماني تحارب خارج الحدود العثمانية على بعد مئات الكيلو مترات عن بلادها بدون اي فائدة وانما ادى ذلك الى ضعف قوتها وعجزها عن مقاومة الاعداء فى ميادين القتال فى العراق وفلسطين

كان لاحتلال الانكليز بغداد اثره العظيم في العالم عامة وفي الجيش العثماني خاصة واشده فينا نحن البغداديين المنتسبين للجيش التركي بالنسبة لما لنا من العلاقات المادية والمعنوية بهذه المدينة كيف لا وهي مسقط رأسنا ووطننا الذي نقدسه ونمجده ولاسيما بعد ان تركنا فيها اهلنا وكل عزيز وغال لدينا حتى لم نعلم بمصايرهم بعد ان احتلها العدو ولا هم يعلمون بمصيرنا بعد ان انتهت اليهم انباء الدمار والابادة في ساحات الحروب فاصبحنا جميعاً فى قلق شديد من الوضع الحربي وما سيصيبنا من ويلاته . واثرت هذه الحادثة

حادثة سقوط عاصمة العراق أسوأ تأثير فى الدولة العثمانية وفى حلفائها لما لها من المكانة الدولية فهي منذ اعلان الحرب العظمى الى يوم سقوط بغداد لم تجابه صدمة قوية كهذه لانها بسقوطها مزقت جميع آمال الترك في النجاح وخسرتها نصف الحرب لا اسراف فى ذلك ولا مبالغة ، كيف لا وابغداد من الاهمية الجغرافية والسياسيه والاقتصادية والعسكرية فى الدرجة الثانية بالنسبة للعاصمة العثمانية ويزيد في اهميتها قدراً تاريخها المجيد الحافل بالعظائم

فكانت مطمح انظار جميع العالم ولذلك كان النزاع قائماً طيلة ايام الحرب العظمى في العراق بين قوات الانكليز والروس من جهة ضد الترك والالمان من جهة اخرى ظاهراً ولكنه في الحقيقة كان من قبل الانكليز ضد الروس ومن قبل الترك ضد الالمان باطناً والخلاصة نجد اطماع هؤلاء الدول منفردة للحصول على هذه البلاد لاهمية موقعها الجغرافى ولمنابعها الثمينة فكم كانت التضحيات التي بذلتها الدول في سبيلها جسيمة وهي حقاً مدينة خليقة بهذه التضحيات وزيادة ...

من الغريب جداً ان لا يخبرنا مقر قيادة الجيش عن وضع الحرب ولا يخبر جحفل الفرات بما يجب عمله بعد انحدار الجيش العثماني في حروب الكوت وتقهقره نحو بغداد وكان على القيادة ان تفكر في ذلك ولا تهمله في زوايا النسيان . ولولا جهاز اللاسلكي الالماني الذي في مقر آمرية جحفل الفرات في السماوة والتقاطه اذاعة الاخبار من الاذاعة الانكليزية التي كانت تبث انباء انتشارات الانكليز وافراحهم لما علمنا بمصاير الحرب بل ربما كنا نبقى مع جحفل الفرات قابعين فى مواضعنا في خضر الدراجي وعين الصيد فيشيع فى عشائر الفرات خبر انهزام الجيش وسقوط بغداد وينتهز الانكليز الفرصة

فيأسروننا او يشتتوننا بالدعاية التي يبثونها بين العشائر واغرائهم بسلاحنا وحيواناتنا . لذلك اخذ آمر الجحفل احمد بك براءل مقر قيادة الجيش السادس في بغداد ليتلقى الاوامر اللازمة لينظم رجعتنا فاجابته القيادة بضرورة الانسحاب الى الحلة والبقاء فيها ريثما ينجلي الموقف واخذنا حذرنا فكتمنا الخبر وانسحبنا الى الديوانية . بعد ان امنا الوضع بالجندرمة (الدرك) وضباطها وفعلنا مثل ذلك في الديوانية وانسحبنا الى الحلة.ولكننا لم نكد نلبث هناك ليلتنا حتى جاءتنا برقية من مقر القيادة في بغداد بوجوب الانسحاب الى (سدة الهندية) وذلك صباح ١١ مارت ٩١٧ فتقهقرنا اليها فبلغناها ظهراً وطلبنا من دائرة البرق محادثة بغداد فاجابتنا دائرة برق المحمودية بتعذر ذلك لاحتلال خيالة الانكليز المحمودية . فصرنا نتحرى مقر قيادة الجيش السادس باللاسلكي الذي لدينا فظفرنا به في سامراء وامرنا بنسف سدة الهندية والتقهقر الى الفلوجة فاخذتنا الدهشة من هذا الامر القاسي الذي نفذناه فسوف يقطع اسباب معيشة تلك المنطقة ويقضي على زهاء مليون نسمة من سكان العراق تجلب لهم هذه السدة الخيرات والبركات فآليت على نفسي ان احول دون تخريب هذه السدة لانقذ حياة كثيرين من ابناء بلادي ورحت ابث الخبر بين العشائر ليقاوموا التخريب فانتشر بينهم بسرعة البرق فقاموا لذلك وقعدوا وهوسوا في الحال ودنوا من السدة يترصدون المخربين عن كثب حتى اذا جاءت سرية الاستحكام(الهندسة)تضع الديناميت تحت قناطر السدة هاجمتها هذه الجموع المحتشدة من العشائر مهددة ومتوعدة فهربت وجاءت تنبيء آمرية الجحفل بخبره بهذه المناهضة فأمرهم بالعدول عن النسف لئلا نصبح امام مشكلة كنا في غنى عن مجابهتها ولا سيما بعد ان انتشر نبأ احتلال الانكليز بغداد في تلك الساعة الرهيبة

فانسحب الجحفل بعد الظهر الى المسيب ومكثنا ليلتنا هنـاك وفي ١٢ منه استمررنا على الرجوع باتجاه الشمال معقبين الجانب الايمن من الفرات دون عائق يعوقنا الى ان بلغنا الفلوجة في ١٥ منه وفي اليوم الثاني شاهدنا طيارات العدو تحلق فوق السماء ثم امطرتنا بقنابلها وبساميرها الفولاذية ورشاشاتها ولكنها لم تصبنا بخسارة تذكر غير انها ارجعتنا . وعليها انسحبنا الى الرمادي واتخذناها قاعدة لجبهة الفرات

بعد سقوط بغداد

لما دخل الجنرال مود الانكليزي بغداد نشر على اثر دخوله منشوراً عاماً للاهلين يقول فيه : ان غاية دول الائتلاف من دخولهـا الحرب هي تحرير الاقوام المغلوبة على امرها ومن جملتها العراق وانهم لهذه الغاية حاربوا الاتراك فهم لم يدخلوا بغداد فاتحين بل محررين ليس غير

وقد بذل خليل باشا جهوداً عظيمة بعد سقوط بغداد في ايقاف تقدم الانكليز والروس وكان يؤمل ان تأتيه نجدات كبيرة لاجل استرجاع بغداد وقد وقف الفيلق الثامن عشر بعد تقهقره من بغداد على وادي دجلة في موقع (المشاهدة) واما جحفل الفرات فانه بعد ان وقف بضعة ايام في (الفلوجة) لم ير بـداً من التقهقر الى الرمادي للشدة التي لاقاها من طيارات العدو وخيالته وسياراته المدرعة

اما الفيلق الثالث عشر فكان في ذلك الحين في حالة حرجة تجاه الروس في اراضي ايرو لكنه تمكن بفضل قائده الهمام الزعيم علي احسان من التملص في هذا الموقف الحرج من شر الجيش الروسي الذي كان خلفه والاسراع بنجدة القوات التركية في العراق وقد اضاع الجنرال مود وقتاً ثميناً في بغداد ومهد



الضابط عبد الرحمن شرف بك

السبل لاتصال الفيلقين العثمانيين فى شمال بغداد حيث تمكنا من توحيد جبهتهما فاصلحا بذلك وضع جيشهما وقد احتل الجيش الانكليزي (شهربان) في ٢٣ مارت ولكنه اصطدم هناك بفيلق علي احسان التركي وبعد ان اشتبك بحرب دامية اضطر الى التقهقر وهكذا اضاع الجنرال مود الفرصة في منع اتصال الفيلقين العثمانيين. وقد عبر علي احسان باشا جيشه بعد انتصاره الاخير على الانكليز الى الضفة اليمنى من ديالى وعبأ فيلقه في منطقة دلتاوة. اما في جبهة دجلة فقد اضطر الفيلق الثامن عشر ان يتقهقر الى خط نهر العظيم قرب سامراء. ومكث الروس في اعالي نهر ديالى طيلة هذا الحين ساكتين يترقبون ولكنهم امتدوا على طول الضفة اليسرى من ديالى. وقد استمر الانكليز فى هجومهم على القوات العثمانية المرابطة مابين (دلتاوة) والعظيم (فى ٦ نيسان) وبعد معارك طويلة تمكنت من دحرهم في ٢٤ نيسان الى خط الزابين من الشرق واستولت في ٢٣ نيسان على سامراء وقد استأنف الانكليز والروس بحملة مشتركة قتال الفيلق الثالث عشر واشتبكوا معه في منطقة جبل حمرين بعد فى قتال دام يومين من ٨ مايس الى ١٠ منه فتقهقر امامه الروس والانكليز خاسرين الى اماكنهم التي جاؤا منها

الضابط عبد الرحمن شرف

قلنا فى المذكرات السابقة عن ارسال البعثة العسكرية العثمانية الى ايران المؤلفة من فيلق وسردنا التفصيلات عنها وعما حدث لها فى الذهاب والاياب على انه ينبغي ان نلفت الانظار الى ان معظم ضباط البعثة من العراقيين المنتسبين الى حزب العهد وقد كان المقصد من التحاقهم انتهاز فرصة تمكنهم من تنفيذ مباديء الحزب فوقعت حادثة مهمة غريبة من احد

الضباط نروي ذكرها للاطلاع على مجازفات ضباط الحزب في كل فرصة والى القاريء تفصيل الحادثة المذكورة :

بعد ان احتل الانكليز بغداد انسحب الجيش العثماني من همدان حتى اذا وصل كرمنشاه اجتمع الضباط هناك لتعيين الخطة التي يجب اتباعها بعد التطور الذي حدث بسبب سقوط بغداد ولاعطاء القرار عن لزوم التحاق الضباط والجيش العثماني والانسحاب معه او التخلف عنه والذهاب الى بغداد والانشغال مع العشائر لاعداد وسائل الثورة على الانكليز وارغامهم على تحقيق مطالب الحزب . فتقرر بالاجماع عدم الالتحاق والذهاب الى بغداد حيث وجدوا ذلك ارجح من وجهتين : الوجهة الاولى ، هو ان يقوم الضباط الذين ينجون من اسر الانكليز بما يلزم لاحداث الثورة اما الذين يؤخذون اسراء فسوف يلتحقون بالشريف حسين في الحجاز . وهكذا تم الاتفاق واول من قرر الالتحاق من الضباط عبد الرحمن شرف فخرج من الاستحكام بجوار قزلرباط مهرولا نحو خطوط الانكليز بقصد الالتجاء اليهم طبقاً للقرار ولكن جنوده ظنوه هاجماً على العدو فهجموا وراءه وبهجومهم ظنت الوحدات الاخرى المتصلة بهم ان الهجوم عمومي فهجمت كل الوحدات الوحدة تلو الاخرى وعلى اثر هذا الهجوم العنيف تقهقر الانكليز امام الوحدات الهاجمة ولم ينته هذا الهجوم الحادث بطريق الصدفة الا بجرح عبد الرحمن شرف من قبل العدو فحمله جنوده واخذوه الى موضعه الاصلي .

ولما بلغ الخبر قائد الفيلق علي احسان بك اصدر امراً يومياً يشكر فيه عبد الرحمن شرف على شجاعته ثم منحه نوط الشجاعة مع قدم في الخدمة وهكذا نجا عبد الرحمن شرف من موت محتم مع موفقية حربية وتقدير جزيل دون اختياره بينما كان المقصد الاصلي خدمة بلاده وامته ومن هذه

الحركة التي قام بها هـذا الضـابط يتضح للقارىء درجة تضحية الضبـاط العراقيين المنتسبين لحزب العهد وتفانيهم فى سبيل مبـادئهم والوصول الى ضالتهم المنشودة .

* * *

وقد قررت القيادة العثمانية العليا ايجاد جيش سابع يتعـاون مع الجيش السادس لاسترجاع بغداد ولاجله قامت الاستعدادات في حلب لتأليف هذا الجيش وكان جحفل الفرات طوال هذه المدة مرابطاً في الرمادي وقائمـاً بتحصين خطوطه الدفاعية وتقويتها . وقد عين عبد الرزاق منير قائداً للعشائر فى منطقة الرمادي وقام بجمع المجاهدين وتنسيقهم استعداداً للدفاع .

فى الرمادى

الضابط ابراهيم الراوي

قلنا ان اعضاء حزب العهد كانوا جادين فى عملهم تحقيقاً لمبادئهم فما كانوا ينتهزون فرصة الا استفادوا منها لانهم كانوا في الحقيقة من الرجال الاكفاء المخلصين لبلادهم ولم يكونوا لتنفيذ خططهم يترددون من فداء نفوسهم (وقد ورد فى اوائل مايس ١٩١٧ كتاب من الضابط العراقى ابراهيم الراوي الى والده قد وقع في اسر الانكليز قبل التاريخ المذكور بسنتين . ولما علم نبأ ثورة الشريف حسين لم يتردد في التطوع لخدمتها فالتحق بها في الحجاز) وهو يتحدث بكتابه هذا عن اسبـاب الثورة العربيـة الكبرى وعن موقف الشريف حسين وغاياته وكذلك عن محـاصرة المدينة المنورة ووضع الجيش التركي وعن قصدهم التقدم نحو سورية وفتحها ثم الالتفاف نحو العراق من الشمال لانقاذه وتحريره وغير ذلك من الكلمات المشجعة والدعاية للثورة . فكان هذا الكتاب مرسلا الى الرمادي حيث يقطن والده فوقع في يد قائد

جحفل الفرات احمد بك وكان مقره فى الرمادي ايضاً وكنت يومئذ مرافقاً له ولما كان احمد بك يجهل هذا الضابط طفق يحقق عنه وكانت تربطني وابراهيم صلة الصداقة والحزبية فلما سألني عنه كتمت الحقيقة عنه ثم فكرت في طريقة تمكنني من ابادة هـذا الكتاب فاقنعته بوجوب القيام بالتحقيق السري عن صاحب هذا الكتاب واقاربه فعهد الي بذلك حتى اذا اطلعت على مضامينه وعرفت المغزى والاخطار التي تستهدفها اسرته من اجله . عاد القائد يسألني عما وصلت اليه فاجبته ان الامر لايزال قيد التحقيق وانه ليس من الامور المستعجلة ومع هذا فانى مستمر في عملي وهكذا ماطلته وعملت كل جهدي لاعدل به عن فكرة التحقيق عن اسرته فتمكنت من ذلك بعد مضى شهر فابدت الكتاب وانتهت هذه القضية .

من هذا الطريق سمعت عن ثورة الحجاز لاول مرة ، فشاع في السرور حتى جعلت آمل بهـا خير للعرب ويقظة شـاملة بعد ان بقوا عدة اجيـال راقدين . ورحت اخبر بها اعضاء جمعية العهد فى العراق ليكونوا على علم بأمرها ولكن خبر الثورة اتانا متأخراً جداً اذ مضت عليها سنة كاملة ونحن نجهل امرها ولولا كتاب ابراهيم الراوي لامتد جهلنا بها فى العراق الى زمن بعيد وقمنا بالدعاية السرية للثورة في القطر وتبجيل القائمين بها مبينين للجمهور انها ستكون فاتحة لاستقلال البلاد العربية

وقررنا جميعنا انتهاز الفرصة للالتحاق بهذه الثورة حالا غيران سياسة حكومة الهند ومعاملاتها الشاذة مع الضباط العراقيين في اعتقالها لهم في محال بعيدة فى الهند مما حرم الكثيرين من هؤلاء الضباط الالتحاق اليها من بغداد .

اما الالتحاق من غير هذا الطريق فصعب جـداً لان المسـافة مابين العراق والحجاز كانت شاسعة وطرقها مجهولة وكان يجب اعداد حملة خاصة

للقيام بها ولكن القيام باعدادها في ظروف كهذه كان من المستحيلات لان الرقابة الشديدة ووضع الحرب وتشتت الضباط في مواقع عديدة وبعيدة مما جعل الوصول اليها من المستحيلات وظللنا نترقب الفرصة للخروج من هذا المأزق

* * *

قام الانكليز بهجوم قوي في ١٠ تموز ١٩١٧ على جحفل الفرات في الرمادي لاسره ولكنه عاد متقهقراً وتكبد خسائر فادحة .

وعقيب هذه الحرب قدمت عائلتي مع طفلي البالغ من العمر ثلاث سنوات وعائلتان اخريان للضباط هاربين من بغداد من شدة ضيق المعيشة في قافلة حمارة متنكرين بازياء فلاحين مارين بعشيرة الزوبع الموالية للحكومة العثمانية والتي رؤساؤها من اصدقائي فاخفوهم وسيروهم ليلا الى ان بلغوا بهم الرمادي بعد تعب قاسوه ، فزاد قدوم عائلتي الي من بغداد في الصعوبات التي بينتها في سبيل الالتحاق بجيش الثورة وجعلني في موقف حرج جداً .

رحلة في البادية

بحثنا عن جحفل الفرات الذى كان مرابطاً في الرمادي طوال هذه المدة يقوم بتحصين خطوطه الدفاعية ، وفي مايس سنة ١٩١٧ قررت القيادة العثمانية العليا ايجاد جيش سابع يتعاون مع الجيش السادس لاسترجاع بغداد فعهدت قيادة هذين الجيشين للجنرال فالكن هاين باشا الجرمني الذي اتخذ حلباً مقراً له فوجد الجيشين واطلق عليهما اسم (جيش الصاعقة) . وللقيام بالحركات الحربية في الخريف القادم طلب هذا القائد من آمر الجيش السادس خليل باشا وجوب كشف الطريق البري بين الرمادي وكربلاء مهما كلفه الامر وذلك لاجل الزحف على بغداد واسترداده فعهد خليل باشا

بذلك الي وكان في ذلك مشقة وخطر لان هذه المنطقة مجهولة المسالك عندنا اولا ولان الوقت كان شديد الحرارة ، ثانياً ولقلة الماء في هذه المنطقة ، ثالثاً ولانها كانت في نفوذ الجيش البريطاني واحتلاله ، رابعاً فلم أر بداً من تلبية الامر ولكنني اردت من يعينني في هذه المهمة فوقع اختياري على الضابط ابراهيم خلف فوافقت القيادة على ذلك .

ولما اتصل نبأ هذه الرحلة بالبعثة الالمانية في الموصل انتهزت الفرصة فأوفدت ضابطاً المانياً منها ليرافقنا ويقوم برسم الخرائط معنا ولكن وجوده معنا ادى الى مشكلة يصعب معها القيام بعملنا لاختلاف لونه ولغته بحيث لا يمكن ان يتنكر فيخفى . غير اننا لم نستطع معه البقاء فتنكرنا وامتطينا متون الابل مستصحبين من شيخ عنزة دليلا وكان سفرنا من الرمادي الى هيت فى اواسط حزيران سنة ١٩١٩ بعد ان اذعنا ان وجهتنا الشام حذرة من استعلام الجيش حتى اذا بلغنا كبيسة غيرنا الوجهة شطر المحمديات ومنها الى ابي قير فالروضه فالرحالية فشفاثة فالرزازة حيث ضربنا خيامنا بعد ان استغرق سفرنا سبعة ايام ، فقدم علينا رجلان عنزيان من سكان الرزازة فسألنا عن بغيتنا ، فقلنا : تجار غنم نريد شراءها من الاعراب ، فلمحنا عليهما عدم الاطمئنان الى صحة كلامنا وشربا القهوة ثم قاما فدعوا الدليل العنزي فاشرا اليه بأننا نكذب في مدعانا وان اثنين منا تركيان والثالث ذو اللون الاحمر جرمني . وقالا ان تجوال هؤلاء هنا جرأة عظيمة ، وانصرفا الى المضارب التي كنا نشاهدها على بعد زهاء ثلاثة كيلو مترات ، فجاءنا الدليل يقول ان الامر قد افتضح فخير لنا ان نتحول عن هذا المكان خشية ان يتصل النبأ بالسلطات الانكليزية فتكون فى موقف حرج .

واني وان كنت متيقناً وقوع الخطر لكن لاجل والاطلاع على هوية هذه العشيرة التي ينتمي اليها دليلنا السحالي سئلته عن اسباب تحذيره ايانا ولاسيما

وهو دليلنا الذي نعتمد على نفوذه فى هذه المنطقة فاجابنا بكل سذاجة بان العمارات عشيرة قوية فى هذه المنطقة فعقد الروابط برؤساء مثل هؤلاء هي السياسة الوحيدة التي تمشت عليها حكومة بريطانية فى العراق فلا بد لهذه العشيرة من منافع مادية عند السلطات البريطانية تقضي عليهم باخبارها بكل حادثة صغيرة او كبيرة . فظهر لنا هنا بغتة امر لا بد ان يحسب له الف حساب ولا سيما بعد ان اعتبر هذان البدويان تجوالنا جرأة عظيمة ، ثم لم يلبثا ان عادا الى مضربهما كما انهما رفضا دعوتنا اياهما الى العشاء الذي يكون جاهزاً بعد هنيهة .

و بعد المداولة مع رفيقي الضابط ابراهيم والالماني فى الموضوع رأى ابراهيم اننا بعد ان اكملنا واجبنا لا ضرورة لمكوثنا هنا فى هذه الليلة وانما الضرورة فى ان نغادره ونعود الى الرمادي حالا اما الضابط الالماني فقد اقترح عكس ذلك فرأى ضرورة اكمال الرحلة الى كربلاء والبقاء في محلنا تلك الليلة متظاهراً بالجرأة والشجاعة غير ان السبب الذي جعله يعارضنا التعب الذي انهكه من مواصلة السير في النهار وشدة حرارة الشمس التي كانت فى حقيقة الامر مضنية ولا سيما لرجل اوربي لم يتعودها غير ان حراجة الموقف كانت تقضى علينا ان لا نبالى لاى عذر من هذا القبيل . ولكنه اصر على رأيه . ولاحظت انه لا يزال لم يحط علما بالوضع من جميع وجوهه فاغلظت له القول اريد اخضاعه لارادتي وقلت له انني انا الموظف المسؤول عن هذه الرحلة فيجب اتباع اوامري بدون اي اعتراض والوبال يقع على من يخالفه ولا سيما بعد ان ادينا الواجب المطلوب منا اداؤه كاملا غير منقوص فكشفنا الطريق واكملنا المخطط اللازم له .

فاجتمعت ثانية بالضابط ابراهيم خلف والدليل السحالي وتداولت معهما

لتعيين ساعة السفر والطريق الذي تسلكه حذراً من وصول الخبر الى السلطات الانكليزية فى كربلاء التى تبعد زهاء ٢٠ كيلو متر عن الرزازة واحتمال تعقبهم اثرنا للقبض علينا . فقر الرأي على أن نغادر المحل عقيب تناول العشاء اي بعد غروب الشمس بنصف ساعة حتى يجن الليل فيسترنا ظلامه عن الابصار ووجهتنا الملح الذي بقرب الشثاثة ثم نستمر على الاتجاه نحو تلك الناحية ، ثم نميل الى الرحالية و بعد مسيرة اربعة ايام بلغنا الرمادي وقد ادينا واجبنا ، وكان لهذه الرحلة اثرها الحسن في القيادة .

وقد علمت بعد مضى ثلاث سنوات على هذه الحادثة من احد عبيد الشيخ فهد الهذال . انه لما وصل خبر هذه الرحلة الى الكرنل لجمن الحاكم السياسى في كربلاء أمر باعداد ستين هجاناً لمرافقته وقدم الرزازة في صباح تلك الليلة فاتى مخيمنا وشرع يحقق عن مسيرنا فافرز ثلاثين هجاناً وارسلهم الى الجنوب نحو اطلال (الاخيضر) لعلنا قصدنا النجف او الفرات الاوسط ثم صحب بقية الهجانة واخذ السير فى الطريق الذي كنا سالكيه فى مجيئنا وذلك بناء على الارشادات التي تلقاها من سكان تلك المنطقة فبقى اسبوعاً كاملا مستمراً يبحث عنا فاخفق ولم يظفر بطائل .

ولولا اننا اتخذنا الحيطة فى تلك الليلة فبدلنا طريقنا ثم اسرعنا في السير لكان نصيبنا اما القتل في المصادمة التى لابد انها كانت تقع واما الشنق او السجن المؤبد في اقل تقدير . كيف لا ونحن ضباط ثلاثة لدول مخاصمة قدمنا الى هذا المحل متنكرين ومعنا عشرة جنود نظاميين متنكرون ايضاً ومدججون بالسلاح ومعهم النظارات وآلات التصوير والتخطيط فما كان يكون عذرنا تجاه الديوان العسكري لو قبض علينا ؟

اليس بعض ما اشرنا اليه ؟

فنجاحنا بهذه الرحلة أوجبت سرور الامراء والقواد حسب درجاتهم نالتم على الملك بالوسام المجيدي ذي السيفين وزادوا في قدمي تمهيداً لترقيتي .

قضية الضابط يوسف العزاوي

قلنا فيما سبق ان القرار صدر بعد اتفاق الضباط العراقيين على ضرورة الذهاب الى بغداد ولزوم الاشتغال اما في العراق واما في الحجاز لمساعدة الشريف حسين وقلنا ايضاً ان الضابط عبد الرحمن شرف لم يفلح في خطته عندما حاول الالتجاء الى خطوط الانكليز وذكرنا كيفية المحاولة التى جلبت الموفقية للجيش العثمانى ونذكر الآن بعد تلك المحاولة :

لم يفلح عبد الرحمن شرف فرجع دون ان يستطيع الوصول الى خطوط الانكليز فاصبح يحاول اعادة الكرة مرة ثانية فدخل المستشفى لمعالجة جرحه فلما شفي منه بذل ان يلتحق بوحدته ، ذهب الى قزلرباط وسلم نفسه الى الانكليز وكنا ننتظر ما يجري بحقه كي يستطيع العمل بنسبة ذلك فبلغنا بعد ايام ان الانكليز اسروه وانهم رفضوا التحاقه بالشريف حسين ايضاً ، فجعلنا ذلك نفكر فيما سنعمل والخطة التى ينبغي اتباعها ولا سيما بعد ان تأكد لدينا بان حكومة الهند البريطانية لا تضمر خيراً للبلاد العراقية فاجتمع ضباط حزب العهد و بعد المداولة تقرر ما يأتى :

١ — الغاء القرار السابق بشأن التحاق ضباط حزب العهد ببغداد والاستمرار على البقاء في الجيش العثماني .

٢ — مقاومة الانكليز وايقاد نار الثورة فى المنطقة التى يحتلونها وللشروع في التنفيذ .

ولما كانت عشيرة العزة يومئذ اقوى العشائر في منطقة الحركات

الانكليزية وكان يوسف العزاوي اصله من العشيرة المذكورة كافة ضباط الحزب بالذهاب الى عشيرته لتحريضها على القيام بالثورة على الانكليز على شرط موافقة قائد الفيلق التركي علي احسان باشا لتستفيد العشيرة المذكورة في قيامها من مال الاتراك ومساعدتهم الادبية ، وهذا تدبير دبره كي لا يشتبه بامرهم وكي تعرف ان الحركة لاجل حساب الاتراك فذهب يوسف وقابل رئيس العشيرة وكان يومئذ الشيخ غضبان فوجد مستعداً للثورة على الانكليز وانه كان ينوي ذلك وانما تعوزه المساعدة المالية غير ان مجيء يوسف العزاوي وتشجيعه اياه جعله يقدم على قتال الانكليز بكل شجاعة وفعلا باغت الانكليز ليلا بالقرب من سد العظيم واغتنم منهم غنائم كثيرة وكبدهم نقصاً فى النفوس ليس بيسير ورجع بالغنائم الى الصلاحية (كفري) فاخبر قائد الفيلق بذلك ، فانعم عليه وعلى رفيقه الشيخ سلوم بساعة ذهبية ووسام و بندقية لكل منهما وشكرهما ورجاهما ان يستمرا على المهاجمة في كل فرصة فشجع ذلك شيخ العزة على توسيع نطاق الحركات فرجع الى محله يحرض العشائر الاخرى المجاورة له واتفق معهم على مهاجمة خطوط مواصلات الانكليز هناك .

وكذلك هاجم سامراء واغتنم بجوارها احدى عشر الف رأس من الغنم كانت تعود للجيش الانكليزي .

فهذه الموفقيات التى حصلت بنتيجة تحريض ضباط الحزب شجعت الضباط على توالي عقد الاجتماعات وغيرت من موقفهم تغييراً جعل القائد يشتبه بأمرهم فعين عليهم سراً الضابط التركي احمد جان ليراقب حركاتهم وليكتشف نياتهم .

واخذ الضابط احمد جان فى المراقبة فكتب الى القيادة تقريراً جاء فيه

ان هنالك جمعية سرية تشتغل ضد الاتراك وانهــا تجتمع في دار يوسف العزاوي فسيق يوسف العزاوي الى المجلس العسكري ومن حسن الصدف كان المشاور الحقوقي للفيلق احد الضباط العراقيين مصطفى كامل فكان خير نصير لازالة التهمة عن يوسف كما ان الضباط العراقيين الذين لم يكونوا من الحزب ساعدوا مصطفى كامل كل المساعدة ومن جملة اولئك الضباط امين خالص وحسن النقيب وامين شناسي وعارف الاعظمي وداود المدفعي وغيرهم وبعد المحاكمة صدر القرار ببراءة العزاوي غير ان آمر الفيلق لم يقتنع بتلك البراءة وانما اصدر امراً اداريا يتضمن نفي كل عراقي يشتبه منه و بالاخص يوسف العزاوي واستخدامهم باماكن بعيدة عن العراق وعن الجيوش المجاورة للعراق ؛ فسيق الى ديار بكر ومنها الى بتليس داخل الاناضول .

سفري الى حلب

بمناسبه حلول موسم الصيف توقفت الحركات الحربية فى ميادين العراق بضعة شهور وفى اوائل ايلول ٩١٧ تلقيت امراً من قيادة الجيش السادس بخصوص سفرى الى حلب والالتحاق بمقر قيادة الجيش السابق لتعييني ملحقاً عسكريا فى الشعبة المخصوصة للجيش المذكور (لخبرتي في امور العشائر) فسافرت مع اسرتي من الرمادي في عجلة قافلة البريد (وكانت الواسطة الوحيدة لنقل الركاب بين الرمادي وحلب) و بلغنا حلب بعد مضي ١٥ يوماً .

فالتقيت بقائد الجيش الرابع مصطفى كمال باشا فاستقبلني فى مقره بكل بشاشة وعطف لمعرفته السابقة بي اذ اشتركنا معاً في حرب (ليبيا) فى ولاية طرابلس الغرب ضد ايطاليا سنة ١٩١٢ كما ان المقدم ضابط الركن

امين زكى العراقى وكان مدير شعبة في اركان حرب هذا الجيش اظهر لي سروره لهذه المصادفات اذ سبق فتوظفنا بمقر الجيش السادس ابان حروب سلمان باك وكوت الامارة فى نفسي الوظائف وقام بمساعدتى خير قيام وكان هذا الجيش على الاهبة الكاملة للزحف في وادي الفرات على بغداد لاسترجاعها من الانكليز .

واستأنف الجنرال مود في اواخر ايلول الهجوم على جبهة الفرات فهاجم الجحفل في الرمادي؛ و بعد معركة دامت يومين اضطر حاميتها الى التسليم مع قائدها الزعيم احمد بك اوراق ولكن ضابط ركنه توفيق وهبي العراقى قد تمكن من الهروب والنجاة من الاسر . ثم هاجم الانكليز (في اوائل تشرين الاول) الفيلق الثامن عشر في دجلة فاستولوا على (الدور و (تكريت) وتقهقر قوات العثمانيين الى (الفتحة) .

ولاسباب مجهولة تقهقر الانكليز الى (سامراء) في ٩ تشرين الاول فعادت القوات العثمانية واحتلت (تكريت) احتلالا لم يدم وقتاً طويلا لان الانكليز عادوا بعد شهر فاستولوا على تلك المواقع .

وفي ١٨ الجاري توفى الجنرال مود بالتيفوس فاستخلفه الجنرال مارشال .

وكان لوفاة الجنرال مود تأثير عظيم في الجيش البريطاني ، كيف لا وهو من خيرة قوادهم فهاجم الجنرال مارشال حامية (قره تبه) في جبهة الفيلق الثالث عشر بعد معركة دامت ثلاثة ايام استولى عليها في ٧ كانون الاول سنة ١٩١٧ .

الثورة الروسية

بينما الحكومة الامبراطورية الروسية كانت منشغلة بالحرب العظمى

فاجأتها في اوائل كانون الاول سنة ١٩١٧ ثورة شعبية قوية على الانظمة الامبراطورية جعلت اعاليها اسفلها بزعامة (كرنسكي) صاحب المذهب الشيوعي المعتدل باسم (البلشفيك) فقتل الامبراطور واكثر افراد اسرته وشتت شمل قواده ورجاله على انقاضها وعلى اثر ذلك اعلنت حكومة روسية الجديدة الصلح مع جميع الدول المحاربة ووقعوا الهدنة مع الاتراك في ٧ كانون الاول ٩١٧ وانسحبوا من ميدان القتال . (ولم يكن لانسحاب الروس تأثير كبير على الجيش البريطاني لان المساعدة التي ساعد بها الروس حلفاءهم فى هذه الجبهة لم تكن بالمساعدة الصادقة)

وبعد مضي شهر على حكمه اذ اسقطه (لنين) واعلن البلشفة المتطرفة تحت زعامته وعليه تأسست دول عديدة بأسم جمهوريات السوفيات المتحدة واصبحت جميع الاملاك الخاصة ملكا شايعاً للامة حسب النظام الشيوعى .

فى سورية والحجاز

سبق لنا ان بحثنا عن اعمال جمال باشا الارهابية في سورية والحجاز وشنقه خيرة شباب العرب وما ولد ذلك من نفرة في قلوب العرب وبينا الاسباب التي انتجت الثورة الكبرى فى الحجاز . ولم يمض على ذلك زمن طويل شعر جمال باشا بغلطه الفادح الخطر الذي راح يهدد بلاده وحكومته ولم يكتم ذلك في تقريره الرسمي الذى كتبه الى القيادة العليا فى الاستانة في تموز ١٩١٧ اذ : (... يظهر من آراء ضباط العرب ان وضع الدولة العثمانية كسفينة في بحر هائج وان العاصفة لابد ان تحطمها وتغرقها وان على العرب العثمانيين ان يجتهدوا للنجاة من هذه السفينة لئلا يصابوا معها بالنكبة التي ستصيبها)

لاشك ان افكار جمال باشا كانت كهذا الشعور الذي تكهن به شاكان فى تقريره ومهما تكن الحالة فان ما فكر فيه ضباط العرب كان حقاً لانهم مخلصون لقومهم ولبلادهم حيث تمكنوا من تقدير الوضع وخطورة الموقف فاستدركوه وعملوا جهدهم لتخفيف وطأته .

ذكرنا سابقاً ان قد قرر اعداد جيش قوى باسم جيش الصاعقة يؤلف من الجيش السادس المرابط بالعراق الذى كان قائده خليل باشا والجيش السابع الذى كان قائده مصطفى كمال باشا ومقره بحلب ويودع هذان الجيشين للجنرال فون فالكنهاين باشا الالمانى . واكثر ضباط ركنه كانوا من الالمان والمرء عند اول مشاهدته هـذا المقر يجده مقراً المانياً صرفاً بعيداً عن اية صبغة تركية وشؤون هذا المقر كان يديرها ٦٥ ضابطاً المانياً وتسعة ضباط اتراك فقط .

وقد اعطيت للجنرال فالكنهاين رتبة مشير تركي لقيادة جحفل الجيوش المسمى (جيش الصاعقة) والغاية من تأليف هـــذه الحملة كما بينا سابقاً استرجاع بغداد من ايدى الانكليز.

فاول عمل قام به هو تأسيس دائرة خاصة فى مقره (باسم المكتب العربي) لادارة شؤون الاعراب والعشائر في منطقة الحركات لان الجنرال بمباحثة عن الوضع السياسي كان يظهر آرائه فى احاديثه مع امراء الاتراك عن وجود اختلافات عظيمة بين الترك والعرب وكان يفكر ان يقوم الالمان بادارة شؤون العشائر العربية مباشرة بهذا المكتب العربى الذي اسسه فى مقره للغاية نفسها بحجة ان الالمان على الحياد في هذه القضية . غير ان قواد الاتراك وامراءهم كانوا يعتقدون خلاف ذلك ويتجـاهرون بسوء نيات الالمان نحو السيـاسة العربية ويقولون ان الغاية من تأسيس المكتب العربى هي ربط العرب

وعشائرهم بالمقر الالماني وايجاد العلاقات المباشرة معهم لتقوية النفوذ الالماني في العراق وسورية لذلك وضعوا ضابطين من ضباط الركن لتدوير شؤون هذا المكتب احدهما تركي والاخر الماني ولهذا الالماني ضباط ارتباط المان آخرون موزعون بين العشائر و يصرف الذهب الالماني للغاية التي لا يعلم بها الا الجنرال فون فالكنهاين باشا فقط ! ...

ولما كان هذا الضابط التركي يعوزه المال فهو لا يستطيع عمل شيء مع العشائر بدونه وكنت تجد المراجعين على باب دار الضابط الالماني في حلب مزدحم لانه كان يبذل المال بسخاء لما كان الضيق قد اخذ بالخناق على الاهلين والعشائر كنا نجد المراجعين والمتطوعين ضروباً مختلفة يظهرون استعدادهم للخدمة في سبيل البلاد ولما كان هؤلاء من سواد الناس فهم لا يميزون بين خدمة البلاد او خدمة الالمان لانهم بالنظر لوضع البلاد كانوا يحسبون ذلك خدمة عامة كما انهم يستفيدون مادياً من هذه الخدمة الوطنية التي يتخيلون بها .

فاما الضابط التركي فكنا لم نجد احداً يراجعه اذ لا احد يعرفه على كونه رئيساً للمكتب العربي ، لانه كان يعوزه اهم شيء للعمل في الدنيا . نعم كان يعوزه (المال ! .) فكان وجوده وعدمه فى هذا المكتب السياسى سواء ، فقواد الالمان جادون فى عملهم ومحاولاتهم لاسترداد بغداد وكان الجميع يعتقدون بذلك ويصرفون له اهتمامهم الزائد كما ان القطعات الفنية كانت مؤلفة من الالمان وقائمة بالاستعدادات فى المانيا وكانت هذه التشكيلات تجري خصيصاً باسم (الفرع الاسيوي)

ان القوة الجوية القائمة في ميدان فلسطين تجاه الانكليز كانت المانية كلها وكانت الي ذلك اليوم متفوقة على القوة الجوية الانكليزية كما ان الفرع

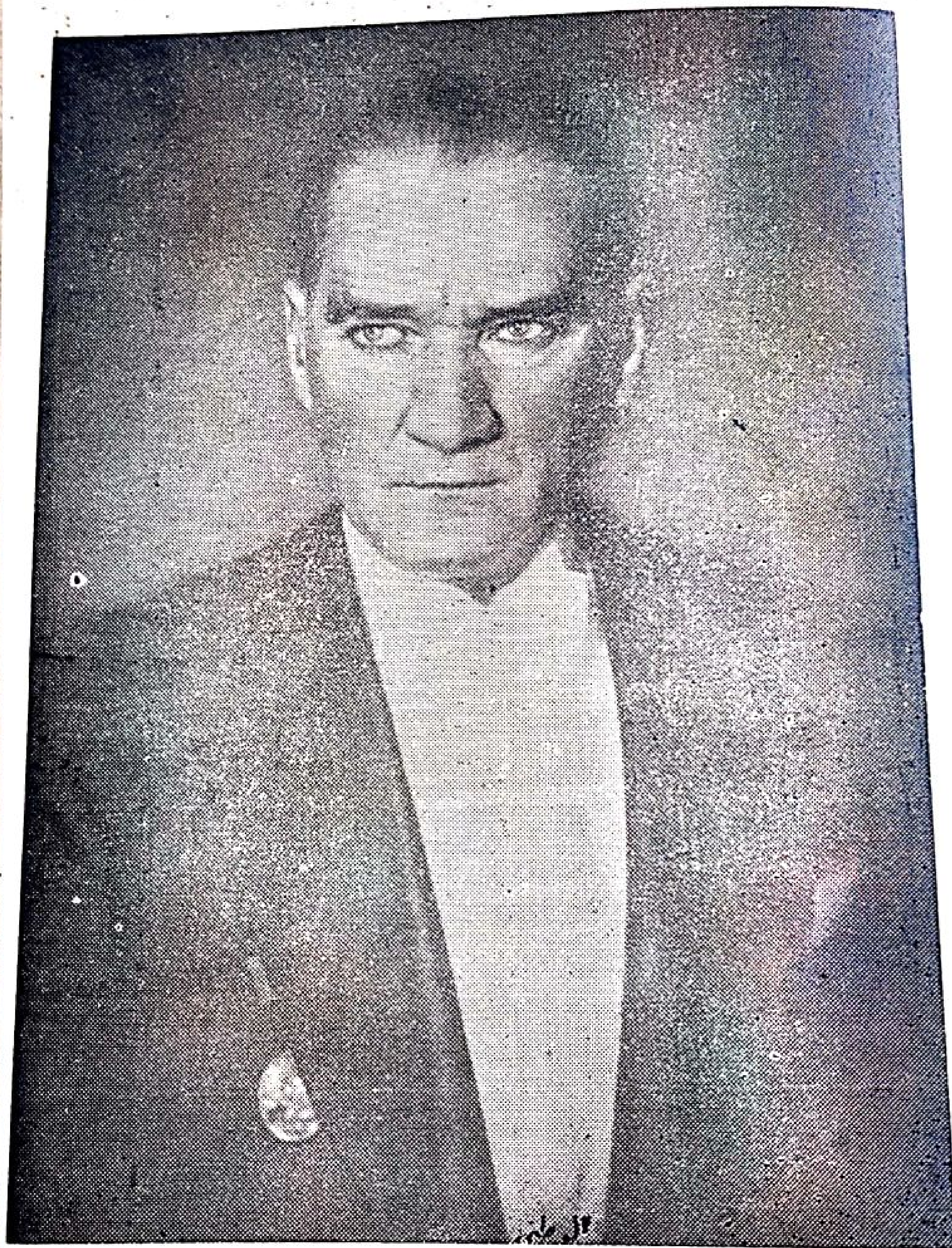
الاسيوي المذكور قد اتى اربعة اسراب من الطيارات التي بلغ مجموعها (٣٢) طيارة لمساعدة جيش الصاعقة في حملة العراق لو امعنا النظر في الاوضاع الحربية العمومية في الدولة العثمانية لوجدنا الاتجاهات مابينها وبين حلفائها مختلفة ومتباينة تماماً فملاحظة قصيرة على هذه الاوضاع تدلنا على العاقبة الوخيمة التي ستؤول اليها المملكة في نتيجة الحرب العظمى . والدليل على ذلك عندما طلب اركان حرب الجيش السادس الى وزير الخارجية العثمانية بان يزوده ببعض التعليمات عن مهمة المارشال فون دوغولتس السياسية في ايران والعراق فان الوزير اكتفى بان رد عليهم بعبارات فارغة تظهر لك كذب الميثاق الذي شاع بان تركيا والمانيا عقدتاه حول ايران وهي :

(عدلوا مااستطعتم من شهوات الالمان في مشاريعهم في ايران ومطامعهم الاستعمارية في هذه البلاد وقاوموا اكثر من هذا اية بادرة تبدر منهم للنيل من حقوق سيادتنا فى العراق)

فلما كان الوضع بين الحلفاء والحالة هذه فكيف يمكن الاطمئنان اليها وترك المقدرات تمشى على هذا المنوال ؟ فهذه نتركها الى نباهة القوم وفطنتهم

* * *

ولما علم الانكليز بنيات الالمان فقد قاموا بتضييق ميدان فلسطين وشرعوا فى الهجوم على مواقعها المهمة فاسقطوا بئر السبع وتقدموا نحو القدس فاضطرت القيادة العليا في الاستانة الى اصدار اوامرها بالعدول عن انقاذ بغداد وتوجيه الاهتمام الى ميدان فلسطين وسورية التي ضايقها الانكليز بكل قوة ونشاط . وذلك في اواسط ايلول ١٩١٧ ولما كانت الحالة العامة فى البلاد العثمانية قاطبة رديئة جداً فلا يسعني تصويرها كما ينبغى غير اني اجد في تقرير قائد الفيلق السابع مصطفى كمال باشا ذلك القائد العظيم السياسي



الغازي مصطفى كمال باشا

الكبير الذي بعث به الى وكيل القائد العام انور باشا في ٢٠ ايلول خيروصف لحالة البلاد العثمانية وما آلت اليه ويلات الحرب كما انه خير دليل على نباهة مصطفى كمال باشا ونبوغه ووطنيته وجرأته في الاقدام على تقديم مثل هـذا التقرير الخطير :

تقرير مصطفى كمال باشا
عن الحالة العامة

١ — احوال البلاد واوضاعها جالبة للنظر قبل كل شيء ، وان ويلات الحرب اضعفتنا قبل جميع الشعوب التي خاضت الحرب العظمى والتآزر قد تزلزل بين الحكومة والشعب ، فبلغت الحالة من السوء مبلغاً اصبح معه الشعب يرى في الابتعاد عن دوائر الحكومة خيراً له . فان الذين وصفناهم بالشعب هم (النساء والعجزة والفارون من الحرب) وهم هؤلاء ان يحتفظوا بالقوت الذي يتمكنون من الحصول عليه لادامة حياتهم في حين ان الحكومة قائمة بأخذه منهم غصباً لسد احتياجاتهم . اما ضعف الحكومة من الوجهة الادارية ففي اسوأ حالة فلا يمكن الركون اليه ، فلا يوجد اثر للعدل ولا في النواحي الاخرى في ادارة شؤون المملكة وحقوق الاهلين ضائعة بالمرة ولذلك نجد ان جميع الوسائل التي ينفر منها الاهلون متوفرة .

ان عجز الحكومة متأت من فقدان الضابطة الاجرائية مطلقاً . وان سوء التصرفات والارتشاء الذي تفشى بين الموظفين تفشياً هائلا لشدة الضرورة والعوز الذي استحوذ عليهم وما انتشر من الفساد والسفاهات في الفئة المحتكرة منهم ووقوف الادارة العدلية ، كل ذلك ادى الى الاضمحلال في جميع نواحي الدولة وفي كل بلدة من بلاد المملكة العثمانية . فلا يخفى ان

هذه العوامل منبعثة من انحطاط المعيشة العامة وامور التجارة والاقتصاد في البلاد انحطاطاً هائلا . اما قضية المال فقد اصبحت معضلة شعبية خطيرة حيث افقدت الامن من الموظفين والاهلين حتى اصبحت تؤثر في ذوي العفة والشرف منهم .

فاذا دامت الحرب فستجابه البلاد كارثة عظيمة كما دب الاضمحلال في جميع جوانبها وسوف لا يمضي زمن طويل الا وترى هبوطها من الداخل بالمرة .

٢— يظهر من الموضع الحربي العام ان الحرب قد لا تضع اوزارها في وقت قريب فاصبحت الحالة مع حلفائنا بحيث لا تمكنهم من فرض الخطط لاجبار العدو على انتهاء الحرب . بل غاية ما هنالك انهم اخذوا يدبرون الخطط الدفاعية تجاه العدو لمجابهتهم عند التعرض تاركين المصير للقضاء والقـدر .

اما العدو فلم يصبه اي انحلال من تطاول الحرب بل يعتقد العدو انه بامكانه ان يمد مدة الحرب كثيراً لحسن حالة شعبه بالقياس الى بقية الشعوب اذن فان الحرب ستدوم كثيراً ويجب ان نستنتج من هذا الوضع ان مقاليد الحرب ليست في ايدي حلفائنا .

٣— ملخص الوضع التركي العسكري كما يلي : ان الجيش العثماني بالنظر الى زمن بداءة الحرب اصبح ضعيف جداً فقد نزل عدد الجيش الى الخمس والشعب اصبح في حالة من الضعف لا يمكن معها من سد هذا النقص فاذا نظرنا الى الجيش السابع الذي تألف حديثاً و بذلك الهمم من اجله فاننا مازلنا غير قادرين على اكمال نواقصه وعلى سبيل المثال اود ان استعرض حالة الجيش السابع ولا سيما الفرقة ٨٩ منه التي لا تقل افواجها عن الألف جندي

والتي تألفت لمجابهة انواع مشاكل الدنيا . فهي الضعف المستحوذ عليها لا يتمكن خمسون فى المئة من مجموعها الوقوف على الارجل ؟ ! واما اكثرية القسم الباقى فؤلف من الجنود الشبان الذين تتراوح اعمارهم من الـ ١٧ الى ٢٠ عاماً او من الكهول الذين تتروح اعمارهم من الـ ٤٥ الى ٥٠ عاماً . واما بقية الفرق المربوطة بهذا الجيش فلم يصل من الاستانة منهم الى حلب الا خمسون في المئة فقط .

اما اسباب كل هذا فمردها الى الحياة العامة وفي قابلية للادارة الملكية التي هى خارجة عن نطاق الجيش . واما النقص في عدد هيئة الضباط فامر غني عن الايضاح .

(لا تماس بالعدو في ميدان القتال الغربي ولا اتصال بلادنا بحراً مع العالم الخارجي لا يستبعد وقوع الهجوم على ميدان القتال الغربى . اما في ميدان القتال في القفقاس فالحركات متوقفة ولا يمكننا عمل اي شئ جديد تجاه الموقف هناك : واما الروس فانهم اذا ارادوا القيام بحركة هنا فلا يمكننا والحالة هذه عمل اى شئ تجاه الوضع . غير انهم يعملون بقدر ما تسنح لهم الوسائل والوسائط التي لديهم .

اما الانكليز فقد نالوا مايبتغونه فى العراق واظن انه ليس ثمة اسباب سياسية أو اقتصادية أو عسكرية تدعوهم الى التقدم اكثر مما بلغوه اليوم . ولو فرضنا انهم ان ارادوا التقدم نحو الموصل فسوف لا يؤثر ذلك على الوضع اكثر مما عليه الان اذن فلسنا نستطيع عمل اي شيء جديد فى ميدان القتال في العراق) .

اما في ميادين القتال في سينا أو الحجاز فان العدو لم ينل بعد مايرغب فى الحصول عليه من الوجهة العسكرية والسياسية لذلك فانه الان قائم باستعدادات

قوية وسريعة وذلك لتكوين حكومة اسلامية تحت نفوذ بريطانية في الشرق وتشكيل حكومة اخرى في فلسطين تحت ادارة بريطانيا ايضا و بذلك تحتفظ بمصالحها الى الابد في مصر والسويس والبحر الاحمر التي تبعد تركية من قواتها الدينية (يقصد بها الحجاز) وكذلك من عطف بلدانها المعمورة (التي يقصد بها سوريا والعراق) والتي هي من جملة الاهداف التي قامت الحرب من اجلها .

ولا شك انها ضربة علينا لا يمكن تلافيها بالمرة . ولما كان الوضع العام في هذه الحالة فلا يمكننا تركه والذهاب الى استرداد بغداد .

ان قوة العدو التي تجابهنا بعدتها الوافرة هي في ميدان (سينا) ولا يسعنا مقابلتها كما ان تشبثنا باسترجاع بغداد ليس في مقدورنا اذ كان جيشنا ضعيفاً جدا واذا مضى على حركاته شهران آخران فسيصبح طائفة من خدم

ان العـدو يستخدم البواخر والقطارات وسائل لنقلياته العسكرية الى بغداد ونحن نستخدم الشخاتير والجمال .

ولاجل اثبات عدم الامكان اذكر دليلا آخر وهو :

مضى علينا شهران ونحن نحاول (ولسنا قادرين) افراز كتيبة واحـدة من حلب نسوقها الى ميادين القتال من كتائب هذا الجيش وكفى ... انتهى

تلك ترجمة شطر من تقرير مصطفى كمال باشا الذي رفعه من مقره في حلب الى وكيل القائد العام فى الاستانة موضحا له الوضع العـام السائد في البـلاد والذي جاء خير برهان على صحة ماكان يفكر فيه شباب العرب في مستقبل بلادهم وشعبهم تخلصاً من تلك العاصفة الشديدة التي وصفهم بها جمال باشا فى تقريره الذي قدمه قبلا عن شباب العرب .

لو امعنا النظر على ماجاء في تقرير مصطفى كمال باشا لوجدناه مبتمضاً من

اعمال الاتحاديين الذين كانوا حاكمين البلاد بدون جدارة والمام بالنظر للاحوال السيئة التي كانت سائدة في البلاد سيما بعد ان وصفها باسهاب ذلك القائد الكبير السياسي العظيم .



بينما انا قائم بواجباتي في مقر قيادة الجيش السابع بحلب اذ علمت من ضباط اركان الجيش خبر احتلال العقبة من قبل فرقة عسكرية بقيادة جعفر باشا من جيش الحكومة الحجازية الثائرة . فشرعت القيادة على اثر ذلك تحقق مني ومن زملائي الضباط في المقر عن ماهية هذا الخبر وعن شخصية القائد وهو شقيقي جعفر المعروف في تركية والذي كان قائدا للسنوسيين في منطقة ليبيا بمقاطعة طرابلس الغرب والذي اسره الانكليز سنة ١٩١٦ في الحرب فلما شعرت بحراجة الموقف حاولت ازالة الشبهة من مخيلتهم فاجبتهم سلباً مبيناً لهم عدم امكان وقوع ذلك لسبب تشابه هذا الاسم بأسم احد بشوات مصر .

وانا اريد دفع الشبهة عن الضباط العراقيين الكثيرين في الجيش فان اكثريتهم كانت تتصل بجعفر بصلي الصداقة وان كان خامر المحققين بعض الشك فيما ابديته انا والضباط العراقيين .

ثم بعد ان مكثنا بحلب مع الفيلق زهاء شهرين صدر الامر بسوق الجيش السابع من حلب الى ميدان القتال في فلسطين فانتقل الجيش ومقره الى نابلس وصدر امر خاص بنقلي الى مقر القيادة للفيلق الخامس عشر في دمشق .

وفي دمشق اجتمعت بتحسين قدري واخيه الدكتور احمد قدري اللذين كانا عازمين على الفرار الى الحجاز وكانت اجتماعاتنا بهم انا وابراهيم حلمي العمر

وقد قابلت ثابت عبد النور فى نزل (داماسكوس بالاس) مع انه كان فارا من الجيش العثماني فى الموصل وسائرا فى طريقه الى الحجاز ليشترك في الثورة ولما تقرر اشغالنا الاوتيل من قبل مقر قيادة الفيلق فتش له على بيت صغير فى سوق ساروجه ليعيش فيه الى ان يجد وسيلة للهرب وكان على اتصال بالوطنيين في دمشق ومنهم رستم حيدر واحمد مريود والدكتور احمد قدري . فبعد ان مهد السبيل متنهزاً ظلمة احدى الليالي حيث ساعده بذلك سليم عبدالرحمن من وطنى فلسطين وكان ضابطا وركب معه بعربة حيث كان بانتظاره الدليل مع فرس وهكذا ذهب مع الاعراب سالك البادية فارا وفر كذلك كثير من الشبان السوريين بطرق شتى فانضموا الى الجيش العربي حوالي (معان) ولما ازدادت الحركات العدائية للاتحاديين واشتدت الدعاية للثورة الحجازية اشتدادا اصبح موقف ضباط العرب خطرا عليهم صرت اشعر بوخامة العاقبة ببقائي فى المقر وعليه قررت على الخروج من هذا المأزق فطلبت من القيادة نقل خدماتى الى صنف الدرك فوافقت وحصلت على اذن بالذهاب الى الاستانة لتأمين بقائي فى كتيبة الدرك في حلب لانها مدينة عربية وقريبة من ميدان القتال وأملي ان انجو بسهولة ان اصابنى اي اذى فنجحت وجرى نقلي الى مقر قيادة كتيبة درك حلب .

الضابطان صبيح نجيب العزى ونوري فتاح

حينما كنت في الاستانة بالاجازة فى كانون الثاني سنة ٩١٨ اجتمعت بالضابطين العراقيين صبيح نجيب ونورى فتاح فوجدت الحماسة الوطنية آخذة منهما ماخذها خاصة بعد ان علما بثورة الشريف حسين فازداد



الضابط صبيح بك نجيب



نوري فتاح احد اعضاء حزب العهد من الضباط

املهما في النجاح كيف لا وهما من الاعضاء الاقدمين في حزب العهد وقد بذلا كل غال ورخيص لتحقيق غاياته ومقاصده فانتهزا فرصة الاجازة التي كانا يتمتعان بها في الاستانة فقررا الا يعودا الى وحداتهما في ميدان القتال في الاناضول امام الروس فالافضل ان يتركا الجيش العثماني هاربين الى الجيش العربي في الحجاز خاصة بعد ان سقطت بغداد بايدي الانكليز اذ لم تبق لهما اية علاقة بهذه البلاد وزادهم رغبة في تنفيذ هذه الخطة الاشتياق الى الوطن والاهل في بغداد اذ انقطعت اخبارها فكان ذلك من الاسباب المهمة التي جعلتهما يعجلان في الهرب مهما كلفهما الامر فطلبا ان اساعدهما على تنفيذ خطتهما واني على علمي بخطتهما رأيت الواجب الوطني يقضي على ان امهد لهما السبيل فوعدتهما خيراً وبينت لهما بانني بعد عودتي الى حلب سأهيء لهما كل مايحتاجان اليه لسهولة تمكني من مساعدتهم عدت الى حلب في اوائل شهر شباط سنة ٩١٨.

صفحة من حروب العراق

تعرض الانكليز في ميدان الفرات لجحفل الرمادي في اوائل تشرين الاول سنة ٩١٧ بقوة مشاة فائقة وكان تعرضهم باديء بدأ من الجنوب في استقامة وادي الفرات ممتداً نحو الغرب على خط طويل . وفي اليوم الثاني عززوا هذه القوة بقوات اضافية ارسلت في سيارات الحمل وكتائب فرسان من الجنوب في استقامة جدول العزيزية للالتفاف وقطع خط رجعة الوحدات العثمانية نحو الشمال فنجحوا في هذه الخطة حيث اسروا جحفل الفرات المرابط فى الرمادي برمته مع قائده الهمام احمد بك اوراق (ولم يتمكن ان

ينجو بنفسه من الاسر الا ضابط الركن توفيق وهبي العراقي وبعضة ضباط آخرين بمهارة خارقة) .

وكانت خطة الانكليز في هذه الحركات محكمة التدبير حتى لقد اخفوا امر تعرضهم بكل مهارة واتقان ولم يمكنوا خصمهم ان يعرف نياتهم ومقاصدهم فكان تعرضهم يعد من المفاجآت النادرة في حروب العراق .

وفي اواسط تشرين الاول سنة ١٩١٧ هاجمت عصابة يزيدية السيارات المسلحة العثمانية في طريقها من الموصل الى نصيبين في موقع (تل العوينات) فقتلت جندياً وجرحت اربعة وفي هذا اليوم القت الطيارات الانكليزية قذائفها على هيت في وادي الفرات . وتقدمت سيارات الانكليز المصفحه الى مقربة من هيت حيث قابلها الجنود العثمانية بنار حامية اضطرتها الى التقهقر .

الاستاذ سامي السراج

اسعدني الحظ وانا في القطار مسافراً من الاستانة بالتعرف الى رجل سامي المكانة رأيته في المركبة التي تقلني وهو في الحق سام في اعماله وحركاته اذ وجدته صادقاً ومخلصاً لبلاده وفياً لأصدقائه شديد الكتمان لأسراره اميناً في تجارته حاذقاً في السياسة وثابتاً على مبدئه كيف لا وهو ينتسب الى تلك الاسرة الشريفة والبيت العربي الصميم في حماه تعرفت اليه في القطار وجعلنا نتحدث عن مصير البلاد وعن نتائج الحرب الكبرى وكان معنا شبان سوريون يشاركوننا في حديثنا والجميع ملتهبون حماسة ويفيضون نقمة على الاعمال القاسية التي قام بها الاتحاديون في جميع الاقطار العربية ولاسيما سورية والعراق وكانوا ينقمون خاصة من جمال السفاح اذ شنق ٢١ شاباً من خيرة رجال سورية في الحرب العظمى .

بعد ان وصلنا الى حلب عزمنا ان نشتغل معا حسب منهاج حزب العهد . واجتمعنا في دار اخيه محمد السراج الذي يشتغل في التجارة بحلب فوجدته لا يقل فطنة وذكاء عن اخيه فقام بكل مايفرض عليه الواجب الوطني خير قيام . واهم عمل قمنا فيه في هذه الفترة تهيئه الافكار العامة للاشتراك في الثورة العربية الكبرى وتفنيد مزاعم الضالين من الاتحاديين واذنا بهم الذين كانوا قائمين بالدعاية الباطلة ضد الشريف حسين وانجاله غير اننا لم نلبث ان فندنا هذه الدعايات باساليب شتى كالنشرات وغيرها من الوسائل وقد كنا باتصال دائم مع اشراف البلاد واعيانها وتمكنا من استمالة بعض رؤساء العشائر المهمين الى جانبنا كرئيس الفدعان من عشيرة العزة الشيخ محجم بن مهيد وحاجم بن مهيد ورئيسي عشيرة الموالين والحديدين في ولاية حلب ووثقنا الروابط معهم واثرنا عليهم تأثيراً حسناً وجعلناهم يتيقضون به من غفلتهم التي كانوا فيها غارقين .

***

حوالي شهر شباط سنة ١٩١٨ وصل الى (حلب) الضابطان صبيح نجيب ونوري فتاح بأذن من جهات ارضروم عن طريق الاستانة وكنت حينئذ ضابطاً ملحقاً للواء الدرك (جندرمة) في ولاية حلب كانا قد قررا الالتحاق بالقوة العربية وابلاغ جعفر العسكري ونوري السعيد ببعض المعلومات الثمينة وتقرر تسفيرها واشترك معنا الملازم يوسف حنظل في اجراء المساعدات لانه كان ضابط الارتباط للعشائر في مقر الجيش في حلب وباتصال مع محمد العصيمي (وكيل عجمي السعدون) حسب وظيفته فهيأنا لهما ابلا وادلاء لمعرفة طرق البادية لايصالهما الى مقر الجيش العربي وليلة هروبهما ابقيناهما في دار يوسف حنظل لتبديل زيهما العسكري بزي اهلي وطني واخرجناهما الى المحل المسمى

باب النيرب يصحبهما علي رضا العسكري الذي كان آمراً لقوات الدرك السيارة في ولاية حلب وغادرا حلباً بكل هدوء وسكون دون علم احد من قوات الترك بأمل الاتجاه نحو ميدان الحرب ولكن علمت اخيراً انهما لم يتمكنا من الذهاب الى حيث تقرر ذهابهما بل سافرا الى بغداد على طريق دير الزور ليلتحقا بالثورة عن طريق بغداد البصرة فعند سفرهما تركا ملابسهما العسكرية بعضها في داري والقسم الآخر في دار يوسف حنظل ولما كنا جسما بمقياس واحد وكانت ملابسهما جيدة استفدنا منهما وصرنا نلبسها وبعد مضي بضعة ايام جاءني يوسف حنظل واخبرني بان رئيس شعبة الاستخبارات في الجيش التركي الثاني لاركان الحرب كمال بك سأله عن لوحة الكتف (التي كان حاملها) فارتاب من هذا السؤال لأنه كان يعتقد بان كمال بك مطلع على كيفية هروب الضابطين المذكورين وان اسرارنا منكشفة له فكان يهتم بالهروب ايضاً لئلا يصدر ايضا امراً بالقبض على كل منا ولكنني صرت ادقق جريان المحاورات ووصيت يوسف حنظل بتكثير المحاورة معه لنطلع على حقيقة الامر وما زلنا به نحاوره حتى غيرنا رأيه وجعلناه لا يخطر بباله شيئاً من هذا القبيل .

ملخص حروب فلسطين

اراني مضطراً ان ابحث في مذكراتي ولو بايجاز عن الوقائع المهمة التي حدثت في ميدان فلسطين الحربي ، في التواريخ التي صادفت اقامتي في سورية لئلا تبقى هذه الصفحة غامضة لما لها من الاهمية خاصة عند من يرغب في معرفة احوال البلدان العربية في اثناء الحرب العظمى .

بعد انقضاء موسم الصيف الذي وقفت فيه الحركات شرعت القوات

البريطانية في الحركات التعرضية لجبهة الجيش العثماني في انحاء فلسطين في اوائل تشرين الاول سنة ١٩١٧ . وكان اول تعرض قامت به نحو بئر السبع . بعد ان دامت الحرب عدة ايام اضطرت الجيش العثماني الى التقهقر غير ان الانكليز لم يقفوا عند حد بل استمروا في الزحف على غزه فاحتلوها واتجهوا شطر (يافه) ، فاتخذت القيادة العثمانية على اثر ذلك (القدس) مقراً لهـا .

وفي اواخر تشرين الثاني احتل الانكليز (يافه) فانسحبت القوات العثمانية الى خط القدس الدفاعي ولكنها لم تمكث هنالك لشدة تضييق القوات البريطانية المتعرضة فاضطرت ان تتقهقر الى الوراء وتخلى القدس في ٩ كانون الاول سنة ١٩١٧ وعلى اثر انسحابها احتل الجيش البريطاني القدس قبل ظهر هذا اليوم .

الجيش الشريفى والحركات الحربية في جهة الحجاز

لم نقف على اخبار ميدان الحرب الحجازي الا من التقارير الرسمية التي كانت ترد للمقر كما سبق لنا ان ذكرنا عن بعضها . ولما كانت الحركات واقفة فى صيف سنة ١٩١٧ من قبل الانكليز فى ميدان فلسطين فقد علمنا ان جيش الامير فيصل بن الشريف حسين كان يتقدم بنشاط زائد . وكان احد قواده الشريف ناصر مع جملة من العشائر يتقدم نحو (معان) و (عمان) وذلك فى شهر آب سنة ١٩١٧ وقد قام بايفاد الوفود الى عشائر سورية يحضهم على الالتحاق بالجيش العربي وكانت النشرات توزع بين القبائل بكثرة ومن جملتها النشرة الآتية الموقعة بتوقيع فيصل : —

«الى ابناء يعرب اني قائم بمحاصرة المدينة وانقاذها كما ان الروس قد استولوا على قسم كبير من الاناضول . الانكليز ايضاً استولوا على العراق بكاملها والقدس على وشك السقوط . استيقضوا واتبعوا السلطنة الجديدة التي تأسست في مكة . وقد حان الوقت الذي فيه التضامن لقلب الحكم الحالي»

ولم تمضي سنة على اعلان ثورة الحجاز الا والجيش الشريفي يدخل البلاد السورية منتصراً . فاتصلت قواته باهالي جبل الدروز وشرعت تهدد خطوط المواصلات للجيش العثماني المرابط بفلسطين وبهذه الحركات اخذ نفوذ الحكومة الاتحادية يتقاص في سورية شيئاً فشيئاً . ثم وردت اخبار اخرى تبين منها ان قبيلة الحويطات التحقت بالثوار وان الشريف ناصر تعرض على موقع (الكويرة) التي هي اول موقع حربي للترك فاحتله بعد ان اجبر كتيبة الخيالة على التقهقر وكبدها خسائر في النفوس فاغتنم منها مدفعاً فانقطعت المواصلات بين العقبة ومعان واضطر قائد الفيلق الرابع للجيش العثماني الاعتراف بشجاعة القوات العربية واهميتها في الوضع الحربي في تقريره الى القيادة العامة في ١٣ آب سنة ١٩١٧ حيث قال (يجب ان نعترف اننا تجاه حركة عربية قوية فيجب علينا ان نمحوها ونقطع دابرها في اسرع وقت) .

ويتضح للقارئ مما تقدم مبلغ الاهمية التي كانت للقوات العربية وتقرير موقف القائمين بالحركة القومية وما يجابهونه من الصعوبات امام قوات الاتحاديين الناقمة تلك القوات التي يرأسها اشخاص مبدؤهم البطش والتنكيل بكل من يظفرون به من الامة العربية دون ان يفكروا في النتائج وما يحدث من جراء ذلك البطش القاسي ولا يلتفتون الى اي مطاب من مطاليبهم في حين كان بامكان هذا القائد ان يتحرى الاسباب لازالة



سمو الأمير زيد

عوامل الثورة وتخفيف وطأتها خاصة في مثل هـذه الاوقات الحرجة التي تتطلب الحكمة والسياسة مع العرب .

لذلك قامت قوات الحكومـة في الحركات التأديبية الشريفية فحدثت مصادمات في اوائل آب سنة ١٩١٧ وجرت معركة عنيفة دامت ثلاثين ساعة في جوار (الـكويرة) واضطر الجيش العثماني الى التقهقر الى عمان بعد ان ترك ١٢ قتيلاً فيهم ضابط برتبة رئيس وصف ضابط وجرح قائد العقبة في هذه المعركة وهو برتبة رئيس ايضاً .

بقية حروب العراق

وقد مرت الشهور الثلاثة الاولى من عام ١٩١٨ بغير حرب ولكنها كانت شديدة وبيلة على الجيش السادس الذى خسر الـكثير من رجاله بالمجاعة التي بدأت به من اول الشتاء وقد تجدد القتال في آذار فازاح الانكليز الفرقة (٥٠) من هيت وكان الجوع والمرض قد اثر بهما اسوأ تأثير فتراجعت القوات العثمانية الى موقع (البغدادي) في وادي الفرات حيث تأسرت فيها .

وقد هاجم الانكليز حوالي نهاية نيسان سنة ١٩١٨ بقايا الفيلق الثالث عشر في غربي قره تبه فتراجعت البقايا الى كركوك واستمر الانكليز في تقدمهم فاحتلوا هذه المدينة في ١٨ مايس وتقدموا حتى التون كوبري .

ولـكن الانـكليز تراجعوا من كركوك في ٢٨ مايس لاسباب قـد تتعلق بقضية اطمئنانهم على وضعيتهم فعادت القوات التركية واحتلت المدينة من جديد .

وقد مرت شهور اربعة عظيمة الحرارة من غير معركة تذكر بين

الطرفين وكانت هذه الشهور فرصة غالية كان على الاتراك ان يستغلوها لتقوية الجيش السادس وتنظيمه ولكنها اضيعت عليهم بالكلية وازداد فيها فناء جنودهم بالامراض وقلة الارزاق. وفي تموز سنة ١٩١٨ تولى علي احسان باشا قيادة الجيش السادس عوض خليل باشا الذي ارسل الى قيادة الجحفل المؤلف في القفقاس .

اما قوة الجيش السادس فقد اصبحت عبارة عن ثلاث فرق لا غير وكانت واقفة على شاطئ دجلة في خط يمتد في جبال الفتحة وهي مؤلفة من ١٦ فوجاً ناقصة العدد الى حد عظيم بحيث لم يزد عددها على ٥٠٠٠ جندي و ١٢ بطرية .

اما خط دفاع كركوك فكان مؤلف من فرقة واحدة لا يزيد عدد جنودها على ١٨٠٠ اما الفرقة الثالثة فكانت نجدة لهاتين الفرقتين في منطقة الموصل .

فكان مجموع هذه القوات التي تؤلف الجيش السادس عبارة عن ٨٠٠٠ بندقية و ٥٠ مدفعاً وحوالي ٣٠٠ خيال وكانت هذه القوات محرومة من مصالح الجيش المختلفة وكانت خيالتها اقل من ان تتمكن من القيام بوجائبها الكثيرة . وفي هذه الظروف ذاتها بادره الجنرال مارشال بحملة قوية استعمل فيها فرقتين من المشاة واربعة الوية من الخيالة ولواء من الرشاشات الآلية ومدفعية قوية للغاية وقد اشتبكت مشاة الجيش السادس في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٨ اسبوعاً كاملاً مع الانكليز الذي كان اكثر منها بعشرة اضعاف وحاربته في ظروف قلما وجد لها تاريخ الحرب الحديثة مثالا وقد شن الجنرال مارشال حملة بسبعة ارتال كان يريد بها تطويق القوات التركية وسد كل طرق الرجعة عليها .

وكانت هذه الخطة من غير حكمة اذ كان بوسع خصومه لو ان لديهم القوات الكافية السريعة الحركة ان يهلكوا هذه الارتال التي انفصلت عن بعضها بعوارض طبيعية كبرى كنهر دجلة ووديان جبل حمرين لكن الوضعية لم تكن في ذلك الحين لتساعد الجيش السادس على القيام بمثل تلك الحركة. وقد نجحت القوات التركية في الجلاء عن الفتحة والتخلص من الأسر، والانسحاب الى الشرقاط.

من مضحكات حروب العراق

فاتني ان اذكر المدافع الاربعة التي كانت ترجع الى عهد قبل التاريخ تقريباً والتي حصنا بها موضع سلمان باك الدفاعي بغية اخافة الانكليز. فهذه المدافع في الواقع قد افادت في حصار الكوت حيث اجبرتهم لاسكاتها على صرف كمية كبيرة من العتاد. غير ان في ميدان سلمان باك ادت الى عكس العمل حيث ان اول طلقة اطلقت من احدى هذه المدافع القديمة ادت الى انقلاب المدفع للخلف اثناء استعماله واعقبها انفلاق القنبرة على الجنود المنكودي الحظ الذين كانوا قائمين في الدفاع مع رشاشاتهم وقتلت ستة انفار منهم وهكذا كلف الجيش العثماني هذه التجربة خسارة هؤلاء الجنود.

نقدات وملاحظات

وقد حدث في العراق ماحدث في اكثر بلاد السهول فكانت السيـــادة للجيوش التي تكون كثرة عتادها وكثرة مدافعها السريعة الطلقات من آلية او غير آلية حسب لوازم طبيعة الارض.

اما الخيالة فكانت كلها باستثناء الشهور الاربعة التي مرت في حصار الكوت

في حرب حركات دامت اربع سنوات فهذا الشكل من طبيعة الارض وسهولتها ووسعة انبساط سطحها يؤدي الى احوال مناسبة جداً لاستعمال الخيالة والاستفادة منها .

ولكن الواقع ان اعظم نقص عاناه الجيش التركي في العراق واعظم ناحية اهملت هي الخيالة . وكان لواء الخيالة الوحيد في جبهة العراق على بسالته وعلو همة رجاله اضعف من ان يقوم وحده بالواجبات الكبيرة التي ترتبت عليه وكان لا بد من ان يكون مع الجيش التركي في هذا الميدان — وهو احسن ميدان لاستعمال الخيالة — مالا يقل عن فرقة كاملة مجهزة بكل مايلزمها من عدد ورشاشات . اما الانكليز فقد استفادوا من خيالتهم استفادة عظيمة . لانها كانت مجهزة بأحسن المعدات العصرية .

فمن الاغلاط الكبيرة ان تجد مملكة في العالم لديها احسن واجمل سلالات الخيول ولديها مراكز تربيتها وهي كثيرة في جزيرة العرب وسورية والعراق ومع ذلك فهي تدخل الحرب وخيالتها اسوأ ماتكون في ركائب عدد الخيول.

ولاشك ان هذه النتيجة التي ضربت الجيش التركي ضربة قاضية ترجع الى اهمال مصلحة الركائب في البلاد . وكانت الخيالة في الجيش العثماني تركب على الاكثر — باستثناء كتيبتين او ثلاث ممتازة اعطيت خيولا اصيلة — الخيول الاناضولية الصغيرة الجسم البطيئة الحركه وان كانت اكثر صبراً على السير واقوى قدماً في الارض الوعرة . وقد تكون هذه الخيول واسطة نقل حسنة ولكنها في الهجوم والحركة اسوأ ماتكون .

وقد رأى الجيش العثماني في العراق في حروبه ضد الانكليز والروس ثلاثة الوية متتالية من الخيالة وكتيبة من الهجانة مؤلفة من ٢٠٠ رجل وكانت افراده من العرب وكانت ركائبهم غير جيدة وتدريبهم ناقصاً وضباطهم قليلين . ولذا لم تنتج منه الفوائد المطلوبة لبطء سيره اولا ولعدم

قابليته للهجوم ثانياً . وعليه كان الاجدر ان ينتفع منه بخفارة المدخرات وطرق المواصلات.

كانت الخيالة تستخدم في تأمين اجنحة الجيش في جهات نائية جداً في حين ان الجيش نفسه كان يعجز عن حماية مواقعه حتى في الجهات القريبة . وقد جاءت ساعة تضرر فيها الجيش العثماني ضرراً بليغاً من الخيالة لأنها اعطت الجيش في اثناء الحملة التي قام بها على الجنرال طاونزند معلومات غير صحيحة لو لم يتدبر القائد نور الدين بك الأمر لسار الجيش الى مصير مهلك .

الخيالة غير النظامية المؤلفة من القبائل العربية المتطوعة اهم دور كانت تقوم به في الحروب هو المطاردة والتعقيب فقط .

اسباب ونتائج الحرب العظمى

لكل حرب هدف سياسي ولقد عرفت في القديم الحروب الدينية والحملات الصليبية وحروب الفتح وحروب التوسع الاستعماري وحروب الاستقلال وحروب الانتقام ولكل من هذه الحروب اهدافها التي قد تكون فى بعض الاحيان نبيلة للغاية . اما اليوم فالمحرك الاول هو عن الاستعمار الاقتصادي والتجاري.

والمعلوم ان المانيا كانت تبحث عن منفذ تجاري في العراق تحاول وضع يدها على منابع النفط الغنية في هذه البلدان وقد كانت سكة حديد بغداد البادرة الاولى لهذه الفكرة وكانت بريطانيا من جانبها تحاول الاستيلاء على منابع النفط فى خليج البصرة وفي ولاية الموصل لو كانت المانيا تريد من نفوذها عن طريق بغداد وانكلترا عن طريق خليج البصرة وكان لابد لهذه المصالح الاقتصادية من التضارب آجلا او عاجلا ولذلك فقد دارت الحرب على خيرات بلادنا ونحن نائمون.

وهذا يبرهن على ان اهم مطالب الدفاع عن تركيا ان تستغل مرافقها وثروتها الطبيعية بيدها وتزداد اهمية هذه الحاجة في سككها الحديدية وفي طرق مواصلاتها وعليها ايضاً ان تنتج في بلادها كلما تتطلبه من اللوازم الحربية . غير ان الاتحاديين لم يعيروا هذه الاعتبارات اهتماماً وبقوا سائرين على خططهم الهمجية للبطش بالاقوام التابعة لأمبراطوريتهم ليتم لهم الحكم وحدهم ولكن العدالة الالهية انتقمت منهم وجعلتهم مشتتين هنا وهناك ولحقتهم النوائب والمصائب بطرق شتى وعلى ايدي اعدائهم.

مبدأ الثورة العربية الكبرى ومنتهاها

ياسين الهاشمي

عند اعلان الحرب العامة كانت الحالة في بلاد العرب على لا بأس بها بالنسبة للترك وكانت الجهود كلها متجهة نحو تأييد الدولة وقد اجمع رجال الجمعيات وفي مقدمتهم جمعيتا العهد والفتاة على تأييد الدولة والمدافعة عن كيانها خوفاً من الوقوع في شرك الاستعمار الاوربي الذي اعظم شر من عدم تمتعهم بحقوقهم بالدولة التي كانوا يطالبون بها . الا ان الخطة التي سار عليها الاتحاديون في بلاد العرب وظلمهم الاهلين وتشريدهم وظهور نيتهم في البطش ببيت الامارة بالحجاز وتطبيقهم ذلك على احرار العرب بمحكمة عالية العرفية وشنق جمال باشا لرجالاتهم في بيروت ودمشق جعلهم يبحثون عن وسيلة تساعدهم على الخروج من هذه الحالة الخطرة لينجوا من الحكم العثماني والاستعمار الاوربي لذا كان يهددهم ترددهم في الاستقرار على العمل لاستقلال العرب وحفظ كيانهم وكانت جميعتا العهد والفتاة هما الجمعيات الاساسية تعمل للوصول الى تلك الغاية ومن خططها الاتصال بجميع الجمعيات العربية .



فخامة ياسين باشا الهاشمي

وعند وصول الفيلق الثاني عشر « جيش الموصل » في باديء الحرب العظمى الى سوريا التي كانت خالية من القوى العسكرية بسبب تسفير الفيلق الثامن الى جهة القتال قويت الآمال فقررت فوراً الاتصال بضباط الجيش المذكور وكان معظم ضباط العرب الاحرار منسوبين لجمعية العهد وكان عبد الغني العريسي واسطة الاتصال بين الفتاة والعهد فاتصل بالضابط «عبد المجيد» من ضباط مقر الجيش الثاني عشر وطلب منه ان يبلغ ياسين الهاشمي رئيس اركان حرب الجيش المذكور رغبة جمعية الفتاة بالاتصال به فاجتمع معه عبد الغني العريسي والامير عارف الشهابي فقر القرار وتم الاتفاق على مواصلة العمل المشترك للوصول الى الغاية المنشودة وجددت بعد ذلك حدود الدولة العربية المقبلة على الخارطة وفقاً لما تقتضيه طبيعة الاراضي من الوجهة العسكرية والجغرافية والجنسية واسترشد الشريف حسين بعد ان بلغ بها بواسطة الامير فيصل بذلك عندما قدم شروطه لبريطانيا لتدخل العرب في صف الحلفاء وعندما وصل الشريف فيصل لدمشق كان وضع العاملين لتحرير العرب قوياً فاتصلوا به فطلب ان يعرف موقف الجيش فاجتمع بياسين الهاشمي وعلم منه ان الوحدات المعسكرة في منطقة درعا ودمشق مستعدة للقيام بواجبها وان بدأ العمل في سوريا لايحتاج الا لاعطاء القرار المشترك بسرعة مستطاعة وللقيام بالحركة العامة وكان لهذه المقابلة اثر عظيم في نفس الامير فقالت من مخاوفة وعزم على اقناع والده بالاسراع الى العمل بعد ان يئس من اقناع جمال باشا بتغيير خطة البطش التي كان يسير عليها فى سوريا من وقف المظالم وتقتيل الابرياء فتم له ما اراد وعزم الشريف حسين على رفع لواء الثورة وكان لشنق القسم الثاني من زعماء العرب الابرياء اثر عظيم في الاسراع باعلان الثورة وفي خلال ذلك استمر الترك فى تطبيق خطة ابعاد الزعماء .

والضباط العرب عن بلادهم ولم يبق في سوريا عند اعلان الثورة احد من ضباط العرب الاحرار فانحصرت في الحجاز وكان من بقي في سوريا من اعضاء الجمعيات على اتصال بالامير فيصل لتغذية جيشه بالخطط ونوايا الحكومة الاتحادية وعندما بدأ الامير بالعمل وتقرب من منطقة حوران ابلغ مركز دمشق في اوائل حزيران بانه من الاوفق لصالح العرب التحاق المركز به لما يكون لذلك من تأثير على الرأي العام فغادر دمشق في اواسط يونيو (حزيران) رفيق التميمي ورستم حيدر والدكتور احمد قدري وخليل السكاكيني وتحسين قدري وسليم عبد الرحمن ومحمود المغربي والشيخ سعيد الباني والتقوا في جبل حوران بعبد اللطيف العسلي واخيه لطفي والشيخ فريد الخازن وساروا الى ابي اللسل عن طريق الصحراء ورأوا بالهويدة طلائع الجيش العربي والمحاصر لمعان فحلوا ضيوفاً على علي جودت الايوبي ثم واصلوا سفرهم للمقر العام والتحقوا بالامير ورافقوا الحملة التي كان يقودها بنفسه لانقاذ سوريا بقيادة نوري السعيد وفي ٢٨ ايلول سنة ١٩١٨ اتصل الجيش العربي في درعا بخيالة الجيش البريطاني بعد ان قام باعمال عسكرية عظيمة سيسطرها التاريخ بمداد الفخر ودخل العرب دمشق صباح اول اكتوبر ١٩١٨ وعلى اثر ذلك نودي بالامير فيصل اميراً على سوريا وفي ضمنها بيروت ولبنان وحلب وعمان والشام . ثم بذلت الجهود لتأسيس حكومة مدنية على اساس حكومة دستورية نيابية ملكية . وقد كللت هذه الجهود بالنجاح .

بعد دخول الشام

دخل الجيش العربي الشام في اول تشرين الأول ١٩١٨ وبلغها الامير فيصل في اليوم الثاني منه فاستقبله اهالي البلاد واعيانها استقبالا عظيما لما



قائد موقع دمشق جميل بك المدفعي

ناله من ثقة ومكانة لم ينلها غيره للخدمات الجليلة التي اسداها وفي ٥ تشرين الأول اصدر منشوراً رسمياً اعرب به للسوريين عن شكره لهم على ما ابدوه من المؤازرة للجيش العربي وبيعتهم للشريف حسين ثم اوضح لهم تشكيل الحكومة السورية العربية على اساس دستورية مستقلة مطلقاً واناطت برئاسته الحكومة المذكورة باسم (الحاكم العسكري العام) برضا باشا الركابي واعلانه الادارة العرفية وحث الناس على الطاعة للحكومة . وعين جعفر العسكري حاكماً عاماً لمنطقة شرقي الاردن ومقره (عمان) . وقد الحق ياسين الهاشمي بالجيش العربي وعين رئيساً للشورى العسكري وعين جميل المدفعي آمراً لموقع الشام . وعلى اثر هذا الانتصار اصدرت دول الحلفاء البيان الآتي :

تصريح ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨

نقلا عن كتاب

الثورة العربية الكبرى لمؤلفه امين سعيد

ان السبب الذي من اجله حاربت فرنسا وانكلترا في الشرق تلك الحرب التي اهاجتها مطامع الالمان انما هو لتحرير الشعوب التي رزحت اجيالا طوالا تحت المظالم تحريراً تاماً نهائياً واقامة حكومات وادارة وطنية تستمد سلطتها من اختيار الاهالي الوطنيين لها اختياراً حراً ولقد اجمعت فرنسا وانكلترا على ان يؤيد ذلك بان تشجعا وتعينا على اقامة هذه الحكومات والادارات الوطنية في سورية والعراق — المنطقتين اللتين اتم الحلفاء تحريرها وفي الاراضي التي مازالوا يجاهدون في تحريرها وان تساعدا هذه الهيئات وتعترفا بها عندما تؤسس فعلا — وليس من غرض لفرنسا وانكلترا ان تنزلا اهالي هذه المناطق

على الحكم الذي تريدانه ولكن همها الوحيد ان يتحقق بمعونتهما ومساعدتهما المفيدة عمل هذه الحكومات والادارات التي يختارها الاهلون من ذات انفسهم وان تضمنا لهم عدلا منزلا يساوي بين الجميع ويسهل عليهم ترقية الامور الاقتصادية في البلاد باحياء مواهب الاهالي الوطنيين وتشجيعهم على نشر العلم ووضع حد للخلاف القديم الذي قضت به السياسة التركية. تلك هي الاغراض التي ترمي اليها الحكومتان المتحالفتان في هـــذه الاقطار المحررة .

الزحف الى الشمال

ولما كان القسم الكبير من الممالك العربية في انتصار الجيش العربي وكان لا بد للجيش العربي من تحرير هذه البلاد واتمام خطته التي انتهجها فقد غادرت الحملة الشمالية التي كانت مؤلفة من لواء هجانة وبطرية مدفعية من النظامية وزهاء الف فارس من العشائر بقيادة الشريف ناصر الذي كان يرافقه علي جودت الايوبي في ١١ تشرين الاول سنة ١٩١٨ فدخلوا (حمص) في ١٤ منه في مهرجان كبير من استقبال الشعب وهتاف لهم ولحياة جلالة الملك حسين ثم تقدموا الى (حماه) فدخلوها في ١٨ منه بعدما جلا عنها الجيش العثماني فاظهر الحمويون مااظهره اهالي حمص من الفرح والبهجة في استقبالهم .

احتلال الجيش العربي لحلب

قلنا في الابحاث المتقدمة من المذكرات ان جملة من الضباط العراقيين هربوا من وحداتهم الى الجيش العربي الزاحف نحو الشام ولم يتأخر ضابط



علي جودت بك



الامير فيصل في الوسط وعن يمينه القائد العام جعفر العسكري ومعهما اركان الحرب

عراقي عن هذا الواجب في جميع وحدات الجيش العثماني المرابط في سورية .

ونحن بعد ان علمنا بدخول الجيش العربي الشام فاتحاً اجتمعنا بحزب العهد في حلب وقررنا ان نقصد العشائر المجاورة لها نستحثها على الانضمام الى هذا الجيش اتفقنا مع الضباط العراقيين . علي رضا العسكري . ويوسف حنظل . ومهدي الرحال وانا معهم على ان نغادر مدينة حلب متنكرين الى عشائر الفدعان (عنزه) وعشائر الحديدين والموالين وبعد ان التحق بنا عشرون فارساً من الدرك النظامي الاهلي وتركنا اسرنا فى حلب مختفين غادرنا حلب في اوائل تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وثم قابلنا رؤساء العشائر المذكورة فى الصحراء ونظمنا معهم الحركات التى يجب الاستعداد اليها عند تقرب الجيش العربي من حلب وفي ١٧ تشرين الثاني سنة ٩١٨ دنونا من (حماه) فعلمنا ان الجيش العربي قد احتلها في هذا اليوم نفسه فقررنا ان نخبر قيادة الجيش العربي العليا عن نياتنا قبل ان ندخل مدينة حماه بدون سبق انذار . ولاجله ضربنا خيامنا في محل يبعد عشرة كيلو مترات عن البلدة ثم ارسلنا رسولاً من اتباعنا يحمل منا كتاباً يتضمن الغاية من مجيئنا فذهب الرسول ثم عاد ليلا ومعه ضابط وفصيل من لواء الهجانة من مرتبات الحملة الشمالية الشريفية فرحب بنا ودعانا الى مقر القيادة للجيش العربي الشمالي فذهبنا معه حتى اذا بلغنا المقر فابانا الشريف ناصر الذي كان يرافقه الامراء العراقيون وهم الزعيم نوري السعيد . ورئيس اركان الحملة علي جودت . وحميد الشالجي . وقائد لواء الهجانة تحسين علي . وكان من ضمن الحملة ضباط عراقيون لا اتذكر اسماءهم .

وفى اليوم الثاني تلقينا امراً من القائد المذكور بضرورة عودتنا الى ضواحي حلب واثارة العشائر العربية هناك والدخول بها الى المدينة تحت

قيادة علي رضا العسكري وكان القصد من هذه الخطة القاء الرعب في الجيش المقابل لتمزيق صفوفه وتمهيد السبيل للجيش النظامي والهجانة الى حلب رجعنا فوراً بكل شوق ولهفة نحمل كتباً عدة من الشريف ناصر الى رؤساء العشائر القريبة من المدينة يحثهم بها على معاونتنا واتباع اوامرنا والقيام بما يلزم لاحتلال حلب وادخالها ضمن المملكة العربية . فوصلت اول مفرزة عشائرية تحت قيادة علي رضا العسكرى المواقع الجنوبية المحيطة بحلب فوزعت الكتب على اصحابها وهم العشائر الذين سبق لنا ان بينا اتفاقنا معهم وانها كانت مستعدة للقيام بكل مساعدة بعد ان شاهدوا الاستعدادات من عامة عشائر حلب وسكانها لمعاونة الجيش العربي فانقسم هذا الجيش الى ثلاثة اقسام : القسم الاول بقيادة علي رضا العسكري يدخل مدينة حلب من الجهة الشرقية والقسم الثاني من الجهة الجنوبية تدخله القوات الشريفية النظامية . والقسم الثالث بقيادة الضابطين يوسف حنظل ومهدي الرحال يدخلها من بين القوتين . وكان مجموع العشائر التي تحشدت لهذه الغاية زهاء خمسة آلاف مقاتل . وقام هؤلاء بتنفيذ ما وكل اليهم فدخل المدينة قائد الحركة المحلية علي رضا العسكري من المكان الذي عين له وقصد تواً الى سراي الحكومة في حلب وقد التحق به افراد الجندرمة وضباطها المحليون لمعرفتهم السابقة واطلق سراح السجنى واعلن سلطان الحكم العربي باسم جلالة الملك حسين في القسم الشرقي من المدينة وكان نصف المدينة الشمالي لا يزال تحت نفوذ الجيش العثماني وكانت العشائر تهزج بالاهازيج البدوية وبعضهم ينشد اناشيد وطنية .

ووصل الزعيم نوري السعيد بالسيارات المصفحة مساء ذلك اليوم فتولى القيادة العامة للقوات العربية وهاجم حلب من خط الشمال الغربي واشرك

مساعيه مع قوات علي رضا العسكرى فاحتلها تلك الليلة .

فكان ذلك يوماً مشهوداً ارتبك فيه الجيش العثماني السابع حتى لم يصب من هذه العشائر المهاجمة الا القليل على استعمال العدو الرشاشات الكثيرة في هذه المعركة التي وقعت داخل المدينة وضواحيها وهي تعد المعركة الحاسمة للحرب والثورة العربية الكبرى .

ودخل الجيش العربى الظافر من جهة الغرب وتم احتلال المدينة برمتها من قبله وعلى الاثر خرج اهالي حلب عامة لاستقباله وكانت الاناشيد الوطنية والاهازيج العربية تعلو ى الافاق وكانت مظاهرات حماسية قائمة في طول البلاد وعرضها ٠ فاتخذ قائد الحملة العربيه مقره في اوتيل (بارون) وكان من قبل مقراً لقائد الجيش العثماني السابق وكذلك اشتبكت قوات الشريف العربية مع الجيش السابع على مقربة من حلب في موقع (خان السبيل) يوم ٢٥ تشرين الثاني فاضطر هؤلاء ان يتقهقروا الى شمال حلب.

وفي صباح ٢٦ منه اخذ بمطاردة الجيش المنهزم حتى محطة (المسلمية) التي تبعد ١٦ كيلو متر عن حلب .

صورة من تقرير علي رضا العسكري المقدم الى رئيس اركان الحرب للجيوش العربية الشمالية

١ ــ غادرنا من مدينة حلب في ١٢ محرم سنة ١٣٣٧ فاراً من الجيش التركي والتحقنا بالجيش العربى في ١٨ منه في حماة . وبناء على الأمر الذي تلقيناه من سمو الامير الشريف ناصر قمنا بتأليف قوة من عشيرة العنزة فرقة الكمة ، السبعة والفدعان وعشيرة الحديدي واللهيب والموالي . وزحفنا

بهذه القوة بغية احتلال مدينة حلب واخراج القوات التركية منها وفي اثناء سيرنا هذا اصطدمت كشافتنا بقوة من قوات العدو المتحصنة بالقرب من قرية شيخ سعيد التي تبعد عن مدينة حلب بمسافة ثلاثة كيلو مترات تقريباً فقابلها العدو برشاشاته واضطرها للانسحاب الى الجهة الشرقية . وبناء على الامر الذي تلقيناه من حضرتكم توجهنا نحو حلب بكل ما لدينا من القوة المؤلفة لهذا الغرض وبصحبتنا الرشاشات الاربعة الخفيفة من لواء الهجين الاول سالكين الطريق الشمالي المؤدي الى قرية (النيرب) .

وفي الساعة الثانية بعد ظهر اليوم نفسه تحركت قوتنا وما كدنا نقترب من مدينة حلب إلا وامطرتنا رشاشات العدو بنيرانها ولكننا قابلناهم بأشد من ذلك فأرغمناهم على الانسحاب نحو الشمال وكان النصر حليفنا فدخلنا حلب واشغلنا دار الحكومة ورفعنا فوقها العلم العربي . ثم تقدمت قوتنا نحو الجبهة الغربية وقسم من فرساننا استولوا على محطة بغداد — الشام وكان القائد العام للجيش التركي مع والي الولاية آنذاك في فندق بارون ولم يكن لهما علم بما حدث ولا بهذه الحركات .

إلا ان في الوقت نفسه باغتنا العدو برشاشاته من دائرة قائد المركز التركي كما فاجئتنا خيالته بالقرب من فندق بارون . وكان عدد الخيالة المذكورة اربعمائة . فلم نر بداً من الانسحاب تواً الى دار الحكومة . وعندما جن الليل اخذت قوات الاتراك بالتعرض علينا ولكننا قاومناها بدفاع مستميت حتى منتصف الليل . ولما تحقق الاتراك حراجة الموقف وسوء المصير اضطر القائد التركي لاخلاء المدينة في خلال النصف الاخير من الليل، وفي الصباح تم لنا اشغال المدينه برمتها واخذت قواتنا بتعقيب العدو فدحرته الى ابعد من خمسه عشرة كيلو مترات غرباً .



تحسين بك العسكري يوم كان مرافقاً للحاكم العسكري في حلب سنة ١٩١٩

٢– وفي ٢٢ محرم عقبت قواتنا الجيش التركي على استقامة (مسلمية) فاجبرناهم على الانهزام الى جهة (تل ارفاد. وكان يلوح لناظرنا من بعيد غبار كثيف تثيره اقدام الجيش المنهزم الى جهة (قطمة)

٣– بهذا التعرض استشهد من مجاهدينا عشرون وجرح منهم سبعة عشر فقط.

٤– وهنا لا يسعني إلا الثناء العاطر على البسالة والتضحية التي ابرزها بهـــذه الحركات الخطيرة كل من الرئيس المدفعي مهدي الرحال رئيسي الدرك تحسين العسكري ويوسف حنظل ورئيس العرفاء صبري وجنود الرشاش المدونة اسماؤهم بالقائمة المرفقة فان هؤلاء كانوا من اقوى العوامل للاستيلاء على مدينة حلب وبهذه الوسيلة نرجو ترفيعهم وتلطيفهم ولاجله عرضنا الكيفية لسيدي.

في ٣٠ محرم الحرام سنة ١٣٣٧

قائد عموم العشائر

علي رضا العسكري

واستمرت الدعوات والحفلات من قبل كبار ووجوه حلب مدة ثلاثة ايام رفعت الاعلام العربية على جميع الاماكن الرسمية والخاصة في جميع انحاء البلدة تضاف الى هذا مهرجانات الاهلين اعلاناً للفرح بدخول الجيش العربي ظافراً.

الهدنة:

ثم بدأت بعد ذلك التشكيلات الحكومية النظامية وفي الوقت نفسه استمرت قطعات الجيش العربي التي وردت تدريجاً على حلب في تعقيب

فلول الجيش العثماني الهارب نحو الشمال على طول خط السكة الحديدية وبعد بضعة ايام بلغت القيادة العربية بالهدنة بين المتحاربين فذهب نوري السعيد مع جنرال بريطاني حاملين شروط الهدنة التي كان يجب ان يبلغوا بها القيادة العثمانية في جوار اطنة . وبعد اجراء مراسيم امضائها وتصديقها انتهت المعارك والحروب بين الدول المتخاصمين في اواخر تشرين الثاني ١٩١٨ وهي حادثة تاريخية لانها كانت خاتمة للحرب العظمى.

***

وبعد ان تم احتلال ولاية حلب وملحقاتها قام الزعيم نوري السعيد بالاشتراك مع الشريف ناصر بانشاء حكومة وطنية في ولاية حلب فعين المقدم علي رضا العسكري حاكما عسكريا على حلب .

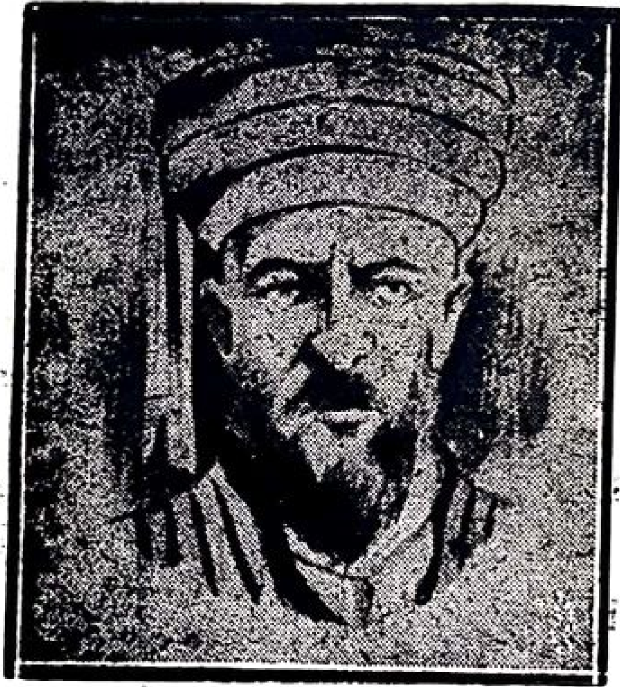
وبذلك انتهت الاعمال الحربية للثورة العربية الكبرى . غير ان الثورة كانت اخطر عمل تقوم به الرجال الوطنيين السياسيين فقد كان نجاحها وفشلها منوطين بنتيجة الحرب العظمى بالنظر الى تحالف القائمين بها مع الدول المخاصمة للدولة العثمانية وكانت مغامرة من الخطل التكهن بمصيرها غير ان الحظ ساعد اللاعب الجسور وسار تاريخ البطولة في طريقه الوعر يتخلله الصعوبات والآلام والشكوك في النصر وهي نهاية لمجازفة هائلة حتى جاء النصر فجاء وقت زال فيه الامل الخادع واعقبته ايام القي المحاربون ان جميع آمالهم قد ضاعت ولكن الاطمئنان عاد اليهم اخيراً حين ادركوا ونالوا جزءاً من آمالهم التي لايزالون ساعين لتحقيقها والظفر بها .

عجمي باشا السعدون

لما انسحب الجيش العثماني من السماوة في ربيع ١٩١٧ وانسحب عجمي باشا السعدون مع هجانته الى (الصف) من بلاد نجد للتخلص من شر



الشيخ عجمي السعدون رئيس قبائل المنتفك



جلالة الامام يحيى حميد الدين

الجيش الانكليزي وكانت مسايلته مع نجد فمكث هنالك مدة ثم انتقل الى (وادي المياه) في الشامية الى احتلال الجيش العربي لدمشق ولما علم الامير فيصل بوجود عجمي باشا في وادي المياه ارسل اليه بدعوة الى الالتحاق به ولكنه لم يجب دعوته لعدم اطلاعه على الوضع العام بسبب بعده عن الحركة العربية وعدم ركونه الى رأي في تقرير مصيره النهائي فبدا له ان في استمراره على خطته حتى النهاية خيراً له ففعل . ولما اراد العودة من الشامية والالتحاق بالاتراك في جهات ماردين علم الانكليز بقدومه فبثوا العيون والارصاد على طول وادي الفرات لمنع عبوره الى الجزيرة لكنه نجا من ايديهم واستطاع ان يعبر من قرب (راوة) ودلت حركته هذه على جرأة عظيمة اذ صمم على العبور مهما يكلفه الامر عملا بحكمه البدوي المأثورة (قارب الخوف تأمن) ففعل فنجا وأمن .

الوضعية العمومية
والسياسية في البلاد العربية

بعد الحرب العظمى سنة ١٩١٨

سبق لنا أن ترجمنا جزءاً من تقرير مصطفى كمال باشا عن الوضع العام في الدولة العثمانية التي اولد رد فعل ادارتها اضطرابات وثورات على الدولة في الاقطار العربية اعقبتها اعلان العرب استقلالهم في بلادهم شريف مكة في الحجاز والامير ابن السعود في نجد والامام يحى حميد الدين في اليمن والامير فيصل في سورية واما العراق وما فيها لواء دير الزور وفلسطين فقد كانت تحت الاحتلال البريطاني المباشر .

تم الجزء الاول

ويليه الجزء الثاني

في

الثورة العراقية الكبرى

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	١٢	يستقى	استقيه
٣	١٧	صار	جاء
٣	١٨	او يمثل	او يحيط
٤	١٠	يداني	يدانيني اليها
٥	٥	وتوجيه	توحيد
٦	٥	من مقر	مفراً
٢٢	١٢	اراحتنا	ازاحتنا
٤٦	١٢	لأجل	جلّ
٥٣	١٢	المنقد	للناقد
٥٤	١٤	يقصى	يستقصى
٦٢	١١	اسمى وظيفة	اسماً ووظيفة
٦٢	١٩	منهما	معهما
٦٦	٤	فلفته	فاستلفته
٦٧	١٦	اصد	صدّ
٦٨	١٢	وعلى شدة	ومع شدة
٧٠	١٥	طبعاً	طبيعياً
٧٣	٢٢	للممثل	الممثل
٧٤	١	الفسية	النفسية
٧٦	١٨	مكونه	مكوني
٨٠	٣	ول لامرة	لأول مرة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٥	١٢	يقلبثا	يتريثا
٨٥	١٧	في الشرطة	فى الشطرة
٨٩	١٩	اسحلتها	اسلحتها
٨٩	٢١	او بقية	وبقية
٩٠	٧	من وجه	من وجاهة
٩٠	٩	ينثير	يشير
٩٥	٤	العدائية	الفدائية
٩٥	١٧	القوج	الفوج
٩٥	٢١	للتي	التي
٩٦	٢٠	موضع	بوضع
٩٦	٢١	وتعيئته	وتعبئته
٩٧	٥	والمجوع	والمجموع
٩٧	١٩	وجعله	وجعل
٩٧	٢٠	الـ ٤٨	الـ ٣٨
٩٧	٢٢	في الجانب	فى الجانب
٩٧	٢٢	فاها	فابقاها
٩٨	٦	عنبقة	عنيفة
٩٨	٩	٣٥	٣٨
٩٨	١١	دت	ادت
٩٨	١٤	عور	عبور